



جامعة القدس المفتوحة

إعجاز القرآن

5323

حقوق الطبع محفوظة

2007

أ.د. فضل حسن عباس

أ.د. عبد العزيز الخياط ، أ.د. نصرت عبد الرحمن

أ. إبراهيم محمود حمدان

أ. صابر سعدي أبو طالب

أ. محمد جمعه الطيطي

أ. عيسى سعد الهندي ، ندى المولا

.....

اعداد المادة العلمية :

التحكيــــــــــــــــم :

التدريــــــــــــــــر :

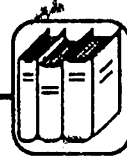
التصميم التعليمي :

التصميم الفني :

التنفيذ الطباعي :

ضبط النوعية :

منشورات جامعة القدس المفتوحة



الطبعة الثانية: 1997

حقوق النشر والطبع محفوظة لجامعة القدس المفتوحة ، لا يجوز إنتاج أي جزء من هذا الكتاب على أي وجه ، وبأي طريقة إلا بموافقة خطية من الجامعة .
يطلب هذا الكتاب والوسائط المساندة له من جامعة القدس المفتوحة
☎ 822561 عمان - الأردن (77) أم السماق

تم إنتاج هذا المقرر بتمويل من
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / تونس

ان هذا المقرر التعليمي من حيث المحتوى والأسلوب لا يعكس بالضرورة آراء
وتوجهات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

رقم التصنيف 225,3ف

المؤلف ومن هو في حكمه بجامعة القدس المفتوحة

عنوان المصنّف اعجاز القرآن

رؤوس الموضوعات 1- الديانات

2- القرآن الكريم - اعجاز

رقم الايـــــــــــــــــداع (1996/11/1541)

بيانات النشر عمان : جامعة القدس المفتوحة

* تم اعداد بيانات الفهرسة الاولى من قبل المكتبة الوطنية *

مقدمة المقرر

أخي الدارس، أختي الدراسة :

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده. (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ
عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا)، (كِتَابُ أُحْكِمْتُ أَيْلَتُهُ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرحمة المهداة والنعمة المسداة صلاة
وسلاماً تامين دائمين إلى يوم القيامة أما بعد:

فقد كانت حكمة الله تعالى أن جعل الكتاب الذي أنزل على عبده سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم، كتاباً خالداً باقياً إلى يوم القيامة، جعله معجزة عقلية، تجدى بها الناس
جميعاً فعجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى: قُلْ لِّبَنِي آجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ
أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ظَهِيرًا... وقد
تحداهم في نواحي كثيرة، في بلاغة القرآن وبيانه، وفي علومه، وتشريعاته وغيبياته وغيرها.
ولذا كانت الحاجة الماسة أخي الدارس ، أختي الدراسة، - الى وضع مقرر بعنوان -
اعجاز القرآن، والذي يحمل الرقم (5323) لتتعرف إلى جوانب إعجاز القرآن الكريم . وقد
وضع هذا المقرر لطلبة تخصص التربية الإسلامية ، وطلبة تخصص اللغة العربية ، بحيث يقوم
طلبة تخصص التربية الإسلامية بدراسة جميع وحدات المقرر بواقع (3) ساعات معتمدة. بينما
يقوم طلبة تخصص اللغة العربية بدراسة الوحدات الثلاث الأولى بواقع (2) ساعة معتمدة .
وبالرغم من ذلك نأمل قيام طلبة تخصص اللغة العربية بدراسة الوحدة الرابعة وقراءاتها لفائدتها
في اثراء معارفهم المتعلقة بسر المعجزة الخالدة - القرآن الكريم

الأهداف العامة:-

- ينتظر منك أخي الدارس، أختي الدراسة: بعد دراسة هذا المقرر وتنفيذ جميع الأنشطة
والتدريبات الواردة فيه تحقيق الأهداف التالية:
- 1- تتعرف معنى الإعجاز والتحدي وعجز العرب عن المعارضة.
 - 2- تتبين القدر المعجز من القرآن الكريم .

- 3- توضح أن الإعجاز دليل على صدق النبوة، وإثبات مصدر القرآن.
- 4- تستخلص أن التحدي للناس كان بالبلاغة والبيان القرآني وغيره.
- 5- تعدد وجوه الإعجاز البياني.
- 6- تتبين أهم الخصائص البيانية في القرآن الكريم ومزايا الأداء فيه.
- 7- تبين العلاقة الوثيقة بين الإعجاز البياني ووجوه الإعجاز الأخرى.
- 8- تذكر أمثلة لأنواع الإعجاز الغيبي والعلمي.
- 9- توضح مفهوم الإعجاز التشريعي من حيث توازنه وتكامله.
- 10- تستخلص تفوق التشريع الإسلامي على التشريعات الوضعية.
- 11- تلمس التكامل بين أنواع الإعجاز القرآني ..
- 12- يتعمق إيمانك بأن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة .

ولتحقيق الأهداف المشر إليها فقد اشتمل هذا المقرر على أربع وحدات دراسية:

الوحدة الأولى:- مدخل إلى الإعجاز، بينا فيه المقصود بالإعجاز من حيث اللغة والإصطلاح، وزمن ظهور هذا المصطلح، وتحدثنا فيه عن التحدي وآياته، والمعارضة، وعرضنا بعض وجوه إعجاز القرآن بإيجاز .

الوحدة الثانية:- وعرضنا فيها لأهم المؤلفات في إعجاز القرآن، القديمة والحديثة، فقد درسنا بإيجاز رسالتي الخطابي والرماني وكتاب الباقلاني، ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وذكرنا أمثلة تطبيقية لنظرية النظم من تفسير الإمام الزمخشري.

الوحدة الثالثة:- وعرضنا فيها لوجوه إعجاز القرآن، وتحدثنا فيها عن الإعجاز البياني والبلاغي من حيث كلماته وحروفه وجملته.

الوحدة الرابعة:- وتحدثنا فيها عن وجوه إعجاز القرآن العلمي والتشريعي والغيبي.

وتتضمن كل وحدة من الوحدات السابقة مجموعة من القراءات المساعدة والتدريبات والأنشطة واسئلة التقويم الذاتي التي تمكنك -أخي الدارس، أختي الدارسة- من إثراء تعلمك للمادة الدراسية ومن الوقوف على مدى نجاحك في تحقيق أهدافها التعليمية .

نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديم ما يحقق لك الفائدة والخير في الدنيا والآخرة آمين تزويد الجامعة بالملاحظات التي تراها مناسبة حول هذا المقرر .

والله ولي التوفيق

محتويات المقرر

رقم الوحدة	عنوان الوحدة	الصفحة
(01)	مدخل إلى إعجاز القرآن	1
(02)	دراسات لأهم المؤلفات في إعجاز القرآن	49
(03)	من وجوه إعجاز القرآن (الإعجاز البياني) ...	145
(04)	من وجوه إعجاز القرآن (العلمي، التشريعي، الغيبي)	255

الوحدة الأولى

مدخل إلى إعجاز القرآن

محتويات الوحدة

الصفحة

الموضوع

5	1. المقدمة
5	1.1 التمهيد
6	2.1 الأهداف
6	3.1 أقسام الوحدة
6	4.1 القراءات المساعدة
7	5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة
7	2. الإعجاز
7	1.2 معنى المعجزة لغة واصطلاحاً
7	1.1.2 معنى المعجزة لغة
9	2.1.2 المعجزة اصطلاحاً
9	2.2 شروط المعجزة
10	1.2.2 الفرق بين المعجزة والكرامة
10	2.2.2 الفرق بين المعجزة والسحر
11	3.2.2 توخي الحكمة في المعجزة
12	4.2.2 بقاء معجزة النبي صلى الله عليه وسلم
13	3.2 معنى مصطلح إعجاز القرآن
14	4.2 تاريخ ظهور هذا المصطلح
17	3. التحدي والمعارضة
17	1.3 المتصود من التحدي
21	2.3 المعارضات
22	1.2.3 شروط المعارضات
26	3.3 ما الذي تحدهم فيه
27	1.3.3 مراحل التحدي
28	2.3.3 دراسة آيات مراحل التحدي
29	4. وجوه إعجاز القرآن

29 1.4 الإعجاز العلمي
34 2.4 الإعجاز التشريعي
34 1.2.4 كيف يفهم الإعجاز التشريعي
37 2.2.4 جوانب التشريعات القرآنية
38 3.2.4 الرق
41 3.4 الإعجاز الغيبي
43 5. الخلاصة
43 6. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية
44 7. إجابات التدريبات
46 8. مسرد المصطلحات
47 9. المراجع

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً يوافي نعمه ويكافيء مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وبعد.

فإن كتاب الله تعالى، هو الكتاب المعجز الخالد، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وهو كتاب لا يخلق على كثرة الرد.

وهذه هي الوحدة الأولى من وحدات هذا المقرر "إعجاز القرآن"، وهي تحتوي على مقدمات لا بد منها لمن يريد دراسة إعجاز القرآن الكريم، إذ لا بد لمن يريد التعرف إلى هذا العلم، من معرفة معنى المعجزة من حيث اللغة والإصطلاح، وهذه المعجزة لا تسمى كذلك إلا إذا توافرت فيها بعض الشروط.

وستحدث في هذه الوحدة عن معنى مصطلح إعجاز القرآن، و تاريخ ظهوره؛ إذ لم يكن معروفاً زمن نزول القرآن الكريم أو زمن الصحابة رضوان الله عليهم.

كما نتحدث عن الفرق بين معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزات الأنبياء السابقين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، التي حدثنا القرآن الكريم عن بعضها، وتحدي الناس على الأتيان بمثل تلك المعجزات ومع ذلك لم يستطيعوا ذلك .

كما نتحدث عن معنى التحدي والآيات التي ذكرها القرآن الكريم في هذا الأمر وهو الأتيان بمثل القرآن، وسنعرض أيضاً للمعارضة، المقصود منها، وهل عارض أحد القرآن، وسنرى أن القرآن جاء على نسق معين لم يستطع أحد من الناس معارضته.

أخي الدارس؛ أختي الدارسة

سترد في ثنايا هذه الوحدة بعض التدريبات التي يمكن الإجابة عليها، بعد القراءة المتأنية لما ورد في هذه الوحدة، وهذه التدريبات ستجد الإجابة عليها في آخر الوحدة مع ملحقاتها، أما أسئلة التقويم الذاتي فقد تركنا لك الإجابة عليها بالاستعانة بالنص.

وسترد كذلك بعض الأنشطة التي لا بد لك من القيام بها لتزداد حصيلتك العلمية. نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياك إلى الصواب في القول والعمل، وأن يجنبنا الزلل والخطل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .



2.1 أهداف الوحدة

- يتوقع منك أخي الدارس، أختي الدارسة بعد دراستك لهذه الوحدة وتنفيذك لتدريباتها وأنشطتها أن تصير قادراً على أن:
- 1- تتعرف إلى معنى المعجزة في اللغة والاصطلاح.
 - 2- تتبين الشروط التي ينبغي توافرها في المعجزة.
 - 3- تتعرف إلى المقصود من مصطلح إعجاز القرآن وتاريخ ظهوره.
 - 4- تتبين أقوال العرب الأوائل في القرآن الكريم وأسلوبه.
 - 5- تتبين مراحل التحدي في كتاب الله وآياته.
 - 6- تفرق بين مراحل التحدي من حيث الأسلوب.
 - 7- تستنتج وجوه إعجاز القرآن من خلال آيات التحدي،
 - 8- تتعرف إلى وجوه الإعجاز البياني والعلمي والتشريعي والغيبي وغيرها.

3.1 أقسام الوحدة

هذه الوحدة تحتوي الأقسام التالية:

- القسم الأول: الإعجاز: معنى المعجزة لغة واصطلاحاً، وشروط المعجزة، ومعنى إعجاز القرآن، وتاريخ ظهور هذا المصطلح.
- القسم الثاني: التحدي والمعارضة: ضمناه معنى التحدي، وأقوال العرب في أسلوب القرآن، والمقصود من المعارضة وهل عارض أحد القرآن، مع بيان شروط المعارضات، وضمناه كذلك دراسة لآيات التحدي، ونبذة عن وجوه إعجاز القرآن.
- ويدراستك للقسم الأول تحقق أخي الدارس، أختي الدارسة الأهداف الأول والثاني والثالث والرابع، ويدراستك للقسم الثاني تحقق الأهداف الخامس والسادس والسابع والثامن.



4.1 القراءات المساعدة

- أخي الدارس، أختي الدارسة: قراءة ما ورد في الوحدة لا يكفي وحده؛ لذا لا بد لكي تزيد من معلوماتك أن تطلع على الكتب الإضافية، وما نرشدك الرجوع إليه.
1. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، ص76-107- دار القلم.
 2. الحمصي، محمد نعيم، فكرة إعجاز القرآن، ص7-34- مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثانية.

5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة

قبل أن تبدأ دراسة الوحدة تأكد بأنك هيات المكان الهادئ والمريح للدراسة، ولديك المراجع والمصادر اللازمة للاستعانة بها في أثناء دراستك للمادة.

وفي أثناء دراسة الوحدة حاول الإجابة عن جميع أسئلة التقويم الذاتي لأنها تساعدك في مراجعة أجزاء الوحدة الرئيسية، ولا تغفل التدريبات فهي تمنحك الفرصة لاختبار تعلمك وتطبيق المعارف والمهارات التي اكتسبتها حديثاً في معالجة مشكلات جديدة. كما أنها تعينك على تعلم المادة. فهي جزء أساسي من طرائق عرض المادة.

ولا تتردد في الاتصال بمشرك أو موجهك كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما يعرض لك من صعوبات أو معضلات أو مسائل مثيرة للاهتمام.

2. الإعجاز

1.2 معنى المعجزة لغة واصطلاحاً

1.1.2 معنى المعجزة لغة

يقول الراغب الأصفهاني: "عجز: عجز الإنسان مؤخره، وبه شبه مؤخر غيره، قال تعالى:

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (النمر: 20) والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز

الأمر، أي مؤخره كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد

القدرة، قال تعالى: قَالَ يُولِيَّتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ (المائدة: 31) وأعجزت فلاتاً وعجزته وعاجزته

جعلته عاجزاً، والمعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور، قال تعالى: إِلَّا عَجُوزٌ أَوْ فِي السُّبُرِينَ

(الشعراء: 171) وقال تعالى: قَالَتْ يُولِيَّتِي أَلِئلاً وَأَنَا عَجُوزٌ (مريم: 72).

(الراغب الأصفهاني للمفردات في غريب القرآن - ص 323).

وذكر ابن فارس: أن العين والجيم والزاي تدل على أصلين: أحدهما الضعف، والآخر

مؤخر الشيء (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 232/4).

إن الوجهين اللذين ذكرهما ابن فارس يرجعان إلى أصل واحد وهو التأخر كما ذكر

الراغب، فأصل العجز في اللغة مؤخر الإنسان واستعير لغيره، وهناك صلة وثيقة بين هذا

المعنى وبين القصور عن الشيء، فإن التأخر والقصور متلازمان لأن من تأخر عن غيره، إنما

يرجع ذلك إلى تفصيله.

والمندبر لآي القرآن الكريم يدرك هذه القضية، واللغويون والمفسرون مجتمعون على أن ليس للعجز إلا هذا المعنى. للمبالغة أو للنقل التاء في كلمة معجزة؛

أخي الدارس، أختي الدارسة جمهور العلماء مجتمعون على أن التاء في كلمة معجزة ليست تاء التانيث، ولكن بعضهم جعلها للمبالغة، وبعضهم جعلها للنقل.

قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد " والتاء فيها - المعجزة - للنقل، كما في الحقيقة، أو للمبالغة كما في علامة وقال الفيروز ابادي " والتاء فيها للمبالغة (التاموس المحبط/ ص 663) .
ومن المفيد أن نشرح لك ذلك:-

التاء التي تلحق الأسماء، قد تكون للتانيث كما في مؤمن ومؤمنة، ومبصر ومبصرة، ومسلم ومسلمة، فإن كلاً من هذه الأوصاف إما مذكر وإما مؤنث، فالمسلم وصف للذكر، والمسلمة وصف للأُنثى، وهكذا مؤمن ومبصر ومحسن، وهكذا تأتي التاء لتمييز الأُنثى من الذكر.

وقد تكون التاء للمبالغة كما في علامتونسابه، يقال رجل علامة ونسابه إذا كان كثير العلم، ومشتهراً بمعرفة الأنساب.

وقد تكون للنقل، كما في حقيقة وذبيحة، ونطيحة، وكافة، أي النقل من الوصفية إلى الأسمية فلفظ حقيقة أصله وصف، ولكن جاءت التاء لتنقله إلى الأسمية، كأنما تنوي الوصف فيه، وهكذا ذبيحة ونطيحة، ألا ترى أننا نقول هذا اللفظ حقيقة وهذا الكبش ذبيحة.

ولا يجوز أن تكون التاء هنا للتانيث، لأنها لو كانت للتانيث لم يجوز أن يوصف بها المذكر، فإننا نعلم بداهة (أن الصفة تتبع الموصوف في أربعة من عشرة) منها التذكير والتانيث، فلا يجوز أن يقال، رجل مؤمنة وامرأة مؤمن، وإنما يقال، رجل مؤمن وامرأة مؤمنة، وقال

تعالى: وَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ

يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ^{البقرة: 221}. ولكننا نقول هذا الكبش

ذبيحة وتلك الشاة ذبيحة فتأتي كلمة ذبيحة وصفاً للمذكر والمؤنث. إذ عرفنا هذا، أدركنا أن التاء في معجزة لا يجوز أن تكون للتانيث، لأن تاء التانيث

تفرق بين المذكر والمؤنث | وليس كذلك التاء في المعجزة، فإننا يمكن أن نصف بها القرآن، فنقول: القرآن هو الكلام المعجز، كما نقول: القرآن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم، والناقة معجزة سيدنا صالح عليه السلام.

وعلى هذا فالتاء للنقل كما في كلمة (حقيقة) نقول: هذا اللفظ حقيقة في الأستعمال، أو المبالغة كما في علامة. وهذا ما ذكره السعد التفتازاني والفيروز آبادي وغيرهما.

2.1.2 المعجزة اصطلاحاً

المعجزة في الإصطلاح: هي ما قصد به إظهار صدق من ادعى انه رسول الله، أو هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد من يدعي النبوة.



نشاط (1)

أخي الدارس، أختي الدارسة استخرج معنى كلمة المعجزة من لسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي.

2.2 شروط المعجزة

من خلال التعريف السابق، يتبين لنا أخي الدارس، أختي الدارسة أن المعجزة لا بد أن تتحقق فيها شروط خاصة، وهي:

الأول: أن تكون المعجزة فعلاً لله تبارك وتعالى ذلكم لأن المعجزة تصديق للرسول الذي أرسله الله، فلا بد أن تكون المعجزة آية من الله، وهذه الآية قد تكون قولاً كالقرآن الكريم، وقد تكون فعلاً كفلق البحر لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وقد تكون تركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

الثاني: أن يكون هذا الأمر خارقاً للعادة، بيان ذلك: أن الحياة كما نعلم ارتبطت فيها الحوادث بأسبابها، وهذا ما اعتاده الناس وألفوه، والمعجزة لا بد أن تكون خارجة عن هذا المألوف، وهذا شأن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلم يألف الناس أن تتحول العصا إلى حية، أو أن النار لا تحرق، أو أن البلغاء يعجزون عن أن يأتوا بمثل كلام بليغ.

الثالث: أن تكون معارضتها غير ممكنة، بمعنى أن الناس لا يقدرّون على أن يأتوا بمثلها، إذ لو أمكن الإتيان بمثلها لم تصلح أن تكون معجزة.

الرابع: أن تكون هذه المعجزة ظهرت على يد من ادعى النبوة، فلو أتى غير من ادعى النبوة بما هو خارق للعادة، فإن ما أتى به لا يسمى معجزة، ومن هنا يجب أن نتجنب هذا الخطأ الشائع بين الناس، وهو إطلاق المعجزات على ما يفعله بعض الناس في أيامنا هذه، فالمعجزات إنما هي للأنبيا عليهم الصلاة والسلام، ولا يصح أن نصف أي عمل جاء به غيرهم بأنه معجزة.

الخامس: أن يكون موافقاً لما ادعاه النبي، فلو قال معجزتي إحياء الموتى، ولكن الذي حصل على يديه نطق الحجر مثلاً لم تكن هذه معجزة.

السادس: أن لا يكون هذا الأمر مكذباً لصاحبه، فلو قال مثلاً معجزتي نطق الجبل، ونطق الجبل، فقال: أنت كاذب لا تكون هذه معجزة.

السابع: أن تكون المعجزة بعد ادعاء النبوة، أما إذا كانت قبل دعوى النبوة فلا تكون معجزة، وإنما يسمى ذلك إرهاباً، ومثال ذلك كلام سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام في المهد. (أبرهة قبقة، القول السديد في علم التوحيد، 3/3).

هذه هي شروط المعجزة التي ذكرها العلماء -رحمهم الله- ومن هذه الشروط ندرك أن المعجزة تفترق كثيراً عن كل ما يراه الناس غربياً عما ألفوه وعرفوه كالكرامة والسحر والمخترعات الغربية.

1.2.2 الفرق بين المعجزة والكرامة

أن الكرامة فعل لله سبحانه يكرم الله به من يشاء من عباده الصالحين، وذلك مثل ما

أكرم الله به مريم رضي الله عنها، قال تعالى: كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا

رِزْقًا قَالَتْ يَلْمُزِينٌ أَنِّي لِكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [الأعران: 37]، ومن هذا القبيل ما أكرم الله به الفتية الذين آمنوا بربهم وهم أهل الكهف.

على أن من أظهر الله الكرامة على يديه ينبغي أن لا تزهر نفسه بها، ولا تكون سبباً لفتنته، ولا يجب نشرها وإذاعتها بين الناس، لأن هذا لا يتفق مع الصلاح والورع والتقوى.

- أ - ما الراجح في تعريف المعجزة من حيث اللغة ؟
ب- ما هذه التاء في كلمة (معجزة)، ولم؟

2.2.2 الفرق بين المعجزة والسحر

أخي الدارس، اختي الدارسة، يمكننا ان نوضح هذا الفرق فنقول :

- 1- أن المعجزة تظهر على يد نبي، والنبى من صفوة خلق الله، أما السحر فهو من ساحر، والساحر من أخيث الناس نفساً.
- 2- أن المعجزة فعل لله، لا يستطيعه أحد من الناس، أما السحر فهو من فعل الساحر وهو أمر يمكن تعلمه.
- 3- أن المعجزة فيها خير للناس وصلاحهم، أما السحر فليس فيه إلا الأذى والشر والشحناء. وبعد هذا يمكنكم أن تفرقوا بين المعجزات وبين المخترعات الحديثة، لأن هذه خاضعة لقواعد يمكن أن تتعلم.

3.2.2 توخي الحكمة في المعجزة

إن من حكمة الله سبحانه أن تكون هذه المعجزة منسجمة مع أحوال الناس الذين ظهرت فيهم؛ ذلك لأن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فإذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، كان لا بد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكيرهم، ومع طبيعة بيئتهم، فمعجزة صالح عليه الصلاة والسلام (كانت الناقة) ذلك لأن ثمود وهي إحدى القبائل التي كانوا يعنون بشأن الإبل ويعيشون في مكان هم في أمس الحاجة فيه إلى الماء، فكانت معجزته عليه الصلاة والسلام الناقة فهي آية، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم.

كذلك معجزة موسى عليه الصلاة والسلام العصا الجافة التي ألقاها باسم الله، فإذا هي حية تسعى، وهي تشبه السحر، والأمة التي تحذاها تفوقت في السحر وحذقتها. ومعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام منسجمة مع البيئة ذلك لأن العهد الذي أرسل فيه عليه الصلاة والسلام كان عهداً طغت عليه المادة، وبخاصة على بني اسرائيل، حيث قطعوا كل صلة بينهم وبين شريعة موسى، فكانت معجزته -إذن- تقويضاً للمادة رأساً على عقب وصفعة

للماديين، وليس الأمر كما قيل من أن القوم قد برعوا في الطب، فكانت معجزته عليه الصلاة والسلام مما برعوا فيه، ذلك أنه لم يثبت أن القوم برعوا في الطب أولاً، وأما ثانياً فلأن معجزاته عليه الصلاة والسلام ليست مما للطب فيه حيلة ومعرفة. فإحياء الموتى ليس للطب فيه مجال، كذلك إبراء الأكمه والأبرص إذ أن الأكمه من ولد مسح مكان العينين، وهذا من الأمور التي لا يستطيعها الطب أبداً، ولا يزال الطب عاجزاً عن مداواة البرص، وكذلك إخباره عليه الصلاة والسلام عما يأكلونه ويدخرونه في بيوتهم بعيد عن مجال الطب .

إذن أخي الدارس، أختي الدارسة، هذه المعجزات لمجدها ⁽¹⁾ جميعاً معجزات مادية، كما لمجدها معجزات غير دائمة، بل تنتهي بانتهاء النبي الذي جاء بها، بل ربما تنتهي في حياته، ولمجدها من جهة ⁽²⁾ ثلاثة ملتزمة متناسبة مع العصر.

أما معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت بدءاً من المعجزات السابقة، فهي معجزة ⁽³⁾ بعيدة عن أن تشوبها شوائب المادة، بل هي معجزة عقلية إنسانية، ثم هي بعد ذلك كتبت محددة بزمان معين، وإنما باقية على مدى الدهر "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ" (الجم: 9)، وهي من جهة ثلاثة تتفق مع حال أولئك الذين أرسل فيهم النبي عليه وآله الصلاة والسلام، حيث كانوا أئمة القول، فرسان حلية الكلام شعره ونثره.

4.2.2 بقاء معجزة النبي صلى الله عليه وسلم

أرسل الله نبيه عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة، قال سبحانه وما أرسلناك إلا كافة

لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ⁽⁴⁾ وقال: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا

(الأعراف: 158) ويقول النبي عليه وآله الصلاة والسلام « كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحر وأسود.... وختم بي النبيون ». (صحيح البخاري، كتاب التيمم، الباب (1) الحديث (328).

ولما كانت رسالته عليه وآله الصلاة والسلام عامة للناس جميعاً، كانت باقية كذلك

إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ

(الأنعام: 19) ومن هنا فلا بد أن تكون معجزة النبي عليه وآله الصلاة والسلام تختلف عن غيرها

من المعجزات؛ لذا كانت المعجزات السابقة تختلف عن الكتب التي يوحىها الله إلى الأنبياء، فكتاب موسى عليه الصلاة والسلام التوراة، أما معجزته فاليد والعصا وغيرها، وكتاب عيسى عليه الصلاة والسلام الإنجيل، أما معجزته فكما حدثنا القرآن الكريم كانت إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

أما القرآن الكريم فكان الكتاب والمعجزة في آن واحد، فهو يقوم مقام آيات كثيرة وهذا

معنى قوله تعالى: وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا

عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا

أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

المنكوت: 50-51) إنه رحمة في هدايته، وذكرى في إعجازه.

ومع أن النبي عليه الصلاة والسلام أكرمه الله بكثير من المعجزات الحسية؛ كنبع الماء من أصابعه الشريفة، وتسبيح الحصى في يديه، وحنين الجذع إليه، وغير هذا مما صح في كتب السنة، فإن المعجزة الباقية، كانت هذا الكتاب الكريم المعجزة الباقية على مدى الدهر.

أخرج الإمام مسلم رضي الله عنه عن النبي عليه وآله السلام «ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.

(أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته).

أخي الدارس، أختي الدارسة

عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودوامها يتطلبان أن تكون المعجزة باقية تخاطب أسمى ما في الإنسان قلبه وعقله، وقد جاء القرآن الكريم ليكون تربية للنوع الإنساني في مجالات حياته كلها، ومن هنا كان رحمة، كما جاء يتحدى الخلق جميعاً على أن يأتوا بمثله، ومن هنا كان ذكرى، وإن كل الفلسفات وجميع القوانين التي كانت قبل هذا القرآن لشاهد صدق على سمو القرآن الكريم وعظمته ورفعة شأنه.

هذه هي الأسباب التي من أجلها كانت معجزة النبي عليه وآله الصلاة والسلام معجزة عقلية خالصة تامة الهداية، لا تقتصر على مجال دون آخر، واضحة ليس فيها غموض، عامة لا تقتصر على مكان دون آخر، أو شعب دون شعب، باقية لا تخص زمناً دون آخر، فهي لا تخص أمة دون أمة، ولا زماناً دون زمان ولا مكاناً دون مكان.



تدريب (2)

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون المعجزة متناسبة مع البيئة التي يكون فيها النبي. بين ذلك مفرقاً بين معجزة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم.

إضافة المصدر إلى المصدر

3.2 معنى مصطلح إعجاز القرآن

كلمة إعجاز مصدر، وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله فكان التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ومعنى هذا أن القرآن الكريم دلّ بما فيه من بيان على أنه من عند الله، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله.

وقد عرفه القاضي عبد الجبار -رحمه الله- بقوله: "معنى قولنا في القرآن أنه معجز، أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختص به.
(القاضي عبد الجبار الهملاني/الغني في أبواب التوحيد والعدل 16/226).

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله- «وإنما الإعجاز شينان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكان العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت». (الأستاذ مصطفى صادق الرافعي/إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص139).

معنى إعجاز القرآن -إذن- عجز الناس جميعاً عن أن يأتوا بمثله.

4.2 تاريخ ظهور هذا المصطلح

أخي الدارس، أختي الدارسة: إن هذا المصطلح «إعجاز القرآن» لم يكن معروفاً في عهد النبوة والصحابة والتابعين، إنما عرف فيما بعد، ودليل ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، فالكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة هي (الآية)، وقد ورد كثيراً في كتاب الله تبارك وتعالى، قال

تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَآتَيْنَا شَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (الاسراء: 59) ، وقال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (الاسراء: 101).

وقال: وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أُولَئِكَ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُطَلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (المنكبروت: 50، 51).

وقال تعالى: وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ (الأعراف: 73) ، وقال تعالى: قَالَ إِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ فَاتِّبِعُوا بِهَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (الأعراف: 106).

ويرى بعض الكتاب أن هناك كلمات أخرى كانت تقوم مقام هذه الكلمة، منها كلمة (البينة) وهي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة، قال تعالى: قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ (الأعراف: 73).

ومنها كلمة (البرهان) وهو بيان للحجة وهو أؤكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لا محالة، قال تعالى: فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (التصن: 32)، وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (النساء: 174).

در
البرهان

ومنها كلمة السلطان وهي بمعنى التمكن؟ قال تعالى: ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونََ

رَبِّائِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ [الزمر: 45-46].

ومنها كلمة البصيرة وهي البرهان وأصلها وضوح الشيء، قال تعالى: وَعَاتِنَا ثَمُودَ

الْناقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا [الاسراء: 59].

ان وإذا كان مصطلح إعجاز القرآن لم يُعرف في عصر القرآن أو عصر الصحابة والتابعين، فمتى عرف هذا المصطلح؟!

يغلب على ظننا أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، حيث نشأ هذا المصطلح في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء.

ويرى الأستاذ نعيم الحمصي أن هذا المصطلح لم يكن معروفاً في الربع الثاني من القرن الثالث، يدل ذلك أن علي بن الطبري الذي ألف كتاب الأسلوب والبلاغة لم يستعمل في كتابه كلمة معجزة أو كلمة أخرى مشتقة منها، بل استخدم في المناسبات التي تدعو إلى استخدامها كلمة آية التي كانت لا تزال مستعملة في عصره. (الأستاذ نعيم الحمصي/ فكرة إعجاز القرآن، ص7).

ويبدو أن هذه الكلمة قد استخدمت من قبل، وإن كان الطبري لم يستخدمها في كتابه، فالنظام المتوفي (220هـ) تحدث عن إعجاز القرآن ورأى أنه يكمن في القول بالصرفة. والآن أخي الدارس، أختي الدارسة أجب عما يلي :



(2) نشاط

استخرج معاني الكلمات البينة والبرهان والسلطان والبصيرة من لسان العرب، واجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات.



(3) تدريب

متى ظهر مصطلح إعجاز القرآن الكريم؟



أسئلة التقويم الذاتي (1)

- س1
أ- عرف المعجزة لغة واصطلاحاً. هي أمر خارق للعقل يظهره الله على يده يدعى النبوة
ب- ما معنى التاء في كلمة معجزة؟ التبالغة ، تبالغة
- س2
أ - ما الفرق بين معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم؟
ب- ما سر بقاء معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام؟
- س3
لم يظهر مصطلح إعجاز القرآن في عصر النبوة، وقد استخدمت في القرآن كلمة تقوم مقامها، وضع ذلك مبيناً متى ظهر هذا المصطلح.

3. التحدي والمعارضة

اعلم-أخي الدارس، أختي الدارسة- أن التحدي أصله من أحدى إذا تعمد شيئاً كتحدها والحُدَيْبًا بالضم وفتح الدال وتشديد الياء المفتوحة المنازعة والمباراة، وقد تحدى.... وأنا حُدَيْكَ أبرز لي وحدك.

1.3 المقصود من التحدي

إظهار القرآن ودعوى النبي صلى الله عليه وسلم، عجز العرب عن أن يأتوا بمثله لأنه من عند الله سواء في ذلك دعواه بلسانه أو بلسان القرآن كما سنرى إن شاء الله.
لقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، معجزة لغوية بيانية، وقد امتاز النقد عند العرب حينئذ بسلامة السليقة وسرعة البديهة، إذ أنهم عرفوا الكثير من أصول النقد الأدبي معرفة ناجحة عن ذوق معلل، وقد كانوا يعقدون الأسواق ليعرضوا فيها أنفسهم بضائعهم وأجود صناعاتهم بضاعة الكلام وصناعة الشعر والخطابة، يتبارون في عرضها ونقدها واختيار أحسنها والمفاخرة بها، ويتنافسون فيها أشد التنافس.

ولكنهم عندما سمعوا القرآن يتلى عليهم استولى على مسامعهم وقلوبهم، وصار حديث نواديبهم ومجامعهم تهتز له الألباب والأفئدة. وكان حرياً بهم وقد تذوقوا حلوته أن يؤمنوا به كتاباً منزلاً، وبالذي جاء به نبياً مرسلأ، ولكنهم كانوا أشد عناداً، فتحدهم القرآن، وأرخص لهم

العنان في التحدي، ولكنهم وقفوا أمام القرآن موقف العاجز فلم يستطيعوا معارضته، مع أن الأسباب الباعثة على المعارضة كانت موفورة متضافرة، وأي شيء أقوى في استثارة حمية خصمك من ذلك التقرير البليغ المتكرر الذي توجهه إليه، معلناً فيه عجزه عن مضاهاة عملك؟ إن هذا التحدي وحده كافٍ في إثارة حفيظة الجبان، وإشعال همته للدفاع عن نفسه بما تبلغه طاقته، فكيف لو كان الذي تتحدهاء مجبولاً على الأنفة والحمية؟ وكيف لو كان العمل الذي تتحدهاء به هو صناعته التي بها يفاخر، والتي هو فيها المدرب الماهر؟ وكيف لو كنت مع ذلك ترميه بسفاهة الرأي وضلال الطريق؟ وكيف لو كنت تبغني من وراء هذه الحزب الجدلية هدم عقائده ومحو عوائده وقطع الصلة بين ماضيه ومستقبله. (د. محمد عبدالله دراز/النبا العظيم، ص79)

لذلك كان القرآن شغل العرب الشاغل، فلجأوا إلى وسائل كثيرة لمقاومته باللفظ أو بالعنف، فأغروا النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمال ليكف عن دعوته، وتواصوا على مقاطعته وحبسه، ومنعوا صوت القرآن أن يخرج من دور المسلمين خشية أن يسمعه أحد من أبنائهم، وكألقوا فيه الشبهات والمطاعن فقالوا كاهن أو مجنون أو ساحر ليصدوا عنه الآخرين، وكل هذا لأنهم أحسوا في قرآنه قوة غلبة وتياراً جارفاً يريد أن يبسط سلطانه حيث يصل، وأنهم لم يجدوا سبيلاً لمقاومته من طريق المعارضة الكلامية، فكان الطريق الوحيد لمقاومته الحيلولة بين هذا القرآن وبين الناس فخاصوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- الحروب الطويلة وضخوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، لقد بلغ بهم الغيظ من مقالة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وما ادعاه حيناً تركوا معه أحلامهم وعقولهم، حتى واجهوا الرسول، صلى الله عليه وسلم، بكل قبيح، ولقوه بكل أذى ومكروه وترصدوا له بكل طريق، وكل من تبعه بضروب المكايده، وهل سمع إنسان بأن صاحب عقل استطاع أن يُخرس خصماً له قد اشتط في دعواه بكلمة ويجيبه بها فترك ذلك إلى أمور يُسفه فيها ونُسب معها إلي ضيق الذرع والعجز... وهذه أحوالهم كلها تدل على عجزهم.

أخي الدارس، أختي الدارسة :

ومما يدل على عجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن أقوالهم التي رويت عنهم ومنها:

1- ما روي أن الوليد بن المغيرة جاء حتى أتى قريشاً فقال: إن الناس يجتمعون غداً بالموسم وقد فشا أمر هذا الرجل في الناس فهم سائلوكم عنه فماذا تردون عليهم؟ فقالوا مجنون يخنق، فقال: يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً فيكذبونكم! قالوا نقول هو شاعر، قال: هم العرب وقد روى الشعر وفيهم الشعراء وقوله ليس يشبه الشعر، فيكذبونكم قالوا: هو كاهن قال: إنهم لقوا الكهان فإذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه

الكهنة فيكذبونكم! ثم انصرف إلى منزله فقالوا: صبا الوليد- يعنون أسلم- ولئن صبا لا يبقى أحد إلا صبا فقال لهم ابن أخيه أبو جهل بن هشام بن المغيرة، أنا أكفيكموه. قال: فأتاه محزوناً فقال: مالك يا ابن أخ؟ قال: هذه قریش تجمع لك صدقة يتصدقون بها عليك، تستعين بها على كبرك وحاجتك. قال: أولست أكثر قریش مالاً؟ قال: بلى ولكنهم يزعمون أنك صبأت لتصيب من فضل طعام محمد وأصحابه، قال: والله ما يشبعون من الطعام فكيف يكون لهم فضول؟ ثم أتى قریشاً فقال: أتزعمون أنني صبأت، ولعمري ما صبأت، إنكم قلت: محمد مجنون وقد ولد بين أظهركم لم يغب عنكم ليلة ولا يوماً، فهل رأيتموه يخنق قط؟ فكيف يكون مجنوناً ولم يخنق قط؟ وقلت: شاعر؟ وأنتم شعراء فهل أحد منكم يقول ما يقول؟ وقلت: كاهن فهل حدثكم محمد في شيء يكون في غد إلا أن يقول إن شاء الله، قالوا: فكيف تقول يا أبا المغيرة؟ قال: أقول هو ساحر، فقالوا: وأي شيء السحر؟ قال: شيء يكون ببابل من حذقه فرق بين الرجل وامرأته والرجل وأخيه، أليس مما تعلمون أن محمداً فرق بين فلان وفلانة زوجته، وبين فلان وابنه، وبين فلان وأخيه وبين فلان ومواليه، فلا ينفعهم ولا يلتفت إليهم ولا يأتيهم؟ قالوا: بلى، فاجتمع رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر وأن يردوا الناس عنه بهذا القول، وانصرف، فمر بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منطلقاً إلى رحله وهم جلوس في المسجد فقالوا: هل لك يا أبا المغيرة إلى خير؟ فرجع إليهم فقال: ما ذلك الخير؟ فقالوا: التوحيد، قال: ما بقول صاحبكم إلا سحراً وما هو إلا قول البشر يرويه عن غيره، وعبس في وجوههم وسر، ثم أدبر إلى أهله مكذباً واستكبر عن حديثهم الذي قالوا له وعن الإيمان فأنزل الله تعالى: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ^{المدثر: 18} وَلَمْ يَكُن لَّهُ الْوَسِيلَةُ

ومن ذلك أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً حليماً- قال يوماً: ألا أقوم إلى محمد فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها فنعطيه أيها شاء؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه، ورأوا أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، يكثر، قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام إليه- وهو صلى الله عليه وسلم- جالس في المسجد وحده فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة (أي من أواسطهم) والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت بين جماعاتهم وسفحت أحلامهم وعبت آلهم، وكفرت من مضي من آباتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل: قال: إن كنت إنما تريد

المال بما جئت به من هذا القول، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفاً سودناك حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي بك مرضاً لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو لعل شعر جاش به صدرك فإنكم لعمرى بنى عبد المطلب تقدرون من ذلك ما لا تقدرون عليه، حتى إذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوقد فرغت: قال: نعم: قال فاسمع مني، قال: قل.

فتلا قوله تعالى: حَمَّ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (نصت: 1-2) ثم مضى فيها يقرؤها،

فلما سمعها عتبه أنصت له، وألقى يده خلف ظهره معتمداً عليهما، يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال له: قد سمعت ما سمعت فأنت وذاك! فقام عتبه إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس قالوا: ما وراءك قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، وما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبياً فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب به فملكه ملككم وكنتم أسعد الناس به، قالوا سحرك بلسانه! قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم.

ومن ذلك ما جاء في حديث أبي ذر في سبب إسلامه، روي إنه قال: قال لي أخي أنيس: إن لي حاجة إلى مكة، فانطلق فراث علي (بمعنى ابطأ)، فقلت: ما حبسك؟ وقال: لقيت رجلاً يقول: إن الله تعالى أرسله فقلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر ساحر كاهن. قال: أبو ذر وكان أنيس أحد الشعراء، قال: تالله لقد وضعت قوله على أقرء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

ومن ذلك ما روي أن الوليد بن عتبة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ فقرأ

عليه: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (النحل: 90) فقال: أعد،

فأعاد فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر. *كلام البربر لهم عسيرة*



تدريب (4)

ما يدل على عدم استطاعة العرب الإتيان بمثل القرآن دلائل أحوالهم، بين ذلك.



الخطبة رقم 56 (5) من ربيع الثامن سنة 560 هـ (6) الولد لهم عسيرة

نشاط (3)

ارجع إلى تفسير روح المعاني للألوسي واقرأ ما جاء فيه في تفسير الآيات من سورة المدثر "إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ... الخ الآيات.

إن هذه الأقوال تدل على أن العرب لم يستطيعوا معارضة القرآن الكريم، بمعنى الإتيان بمثل القرآن، إلا أن هناك من ادعى أنه أتى بمثل القرآن الكريم وهذا ما سنحدثك عنه إن شاء الله.

2.3 المعارضات *هم مدسة مصبره الإسوة عن بزائم كرم من مسيم بكراس*

ذكرت بعض الكتب أن بعضهم حاولوا الإتيان بمثل القرآن الكريم، من ذلك ما حكى عن مسيلمة من قوله "يا ضفدع نقي كم تنقن لا الماء تكدرين ولا الوارد تنقرين". ومنه ما حكى عن بعضهم "ألم تركيب فعل ربك بالحبل أخرج منها نسمة تسعى، من بين شراسيف وحشي". ومنه "الفيل وما الفيل وما أدراك ما الفيل، له مشفر طويل، وذنب أثيل وما ذاك من خلق ربنا بقليل".

ولكن هل يمكن أن تسمى هذه معارضات؟ إذا نظرنا إلى كلام مسيلمة وجدناه خالياً من أي فائدة، فلا لفظه صحيح ولا معناه مستقيم - كما قال الإمام الخطابي - (الخطابي/ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 56).

وقد قال أبو بكر الصديق حين سمع هذا القول: أشهد أن هذا الكلام لم يخرج من إل... وأما قول الآخر الفيل وما الفيل، وقوله "ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبل..." فكل واحد من هذين الوصفين خال من أوصاف المعارضات وشروطها؟ ولكن ما هي شروط المعارضات؟

1.2.3 شروط المعارضات

يقول الإمام الخطابي في بيان شروط المعارضة "وسبيل من عارض صاحبه في خطبة أو شعر أن ينشيء له كلاماً جديداً ويحدث له معنى بديعاً، فيجاريه في لفظه وبياريه في معناه ليوازن بين الكلامين فيحكم لمن أرى فهماً على صاحبه، وليس بأن يتحيف من أطراف كلام خصمه فينسف منه ثم يبدل كلمة مكان كلمة فيصل بعضه ببعض وصل ترفيع وتلفيق، ثم يزعم أنه قد واقفه موقف المعارضين". (الخطابي/ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 58).

يقول الإمام الخطابي بأن من أراد أن يعارض شاعراً في قصيدة، أو كاتباً في خطبة فلا

بد :-

1- أن يأتي بكلام وألفاظ جديدة. 2- أن يأتي بمعنى بديع.

وذلك حتى يجاريه في ألفاظه ومعانيه، لكي يستطيع الآخرون عند الموازنة بين الكلامين أن يحكم لأحدهما بأنه هو الذي انتصر على صاحبه وكان كلامه أبلغ وأبدع من كلام الآخر، أما أن يأتي لقصيدة صاحبه فيبدل فيها كلمة ويرقع ويلفق فلا يسمى هذا معارضاً، وهذا هو ما فعله مسيلمة وغيره.



نشاط (4)

أخي الدارس، أخي الدارسة ارجع إلى رسالة الخطابي بيان إعجاز القرآن ص 56-57 وقرأ وافهم، ولخص ما جاء فيه من حديث حول أركان المعارضة.

بذكر الخطابي اعتراضاً حول هذه القضية خلاصته: لا نسلم لكم أن القوم لم يعارضوا القرآن لعجزهم، كل ما في الأمر أنه لما انتشر الإسلام، وقويت شوكة المسلمين خاف القوم على أنفسهم فأتروا السلامة وأخفوا معارضتهم للقرآن.

ويجيب الخطابي بأن هذا الاعتراض ساقط، فإن مثل هذا الأمر العظيم لا يخفى على أحد، ولو جاز أن يخفى مثل هذا الأمر على الناس، لجاز أن يدعى أن نبياً ظهر في ذلك الزمان، إلا أنه خفي أمره كذلك، ومثل هذا لا يقبله من كانت له مسحة عقل، كيف وقد نقلت لنا جميع افتراءاتهم واختلاقاتهم على هذا الكتاب.

ويواصل الخطابي حديثه عن المعارضة بالإجابة عن اعتراض آخر، حاصله: أن القوم لم يعارضوا القرآن كله، ولكن كانت هناك معارضات تبلغ مقدار آيات منه. أو مقدار سورة قصيرة، ومن ذلك ما حكى عن مسيلمة «يا ضفدع كم تنقن لا الماء تكدرين ولا الوارد

تنفرين» وما حكى عن آخر: «ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين شراسيف وحشى» وقال آخر: «الفيل وما أدراك ما الفيل، له مشفر طويل وذنب أثيل، وما ذاك من خلق ربنا بقليل».

وعرض الخطابي لنقد تحليلي لهذه الأقوال، يدل على معرفة وذوق، وبصيرة نفاذة. فالقول الأول خال من مقومات البلاغة جميعها، فليس فيه فصاحة لفظ، ولا بلاغة معنى فضلاً عن أن يكون فيه جودة سبك وحسن نظم، ولذا لما سمعه أبو بكر رضي الله عنه- قال: «أشهد أن هذا الكلام لم يخرج من (إل)». وما أشبه هذا بما قاله أبو عمرو بن العلاء حينما أنشده بعضهم شعراً رديئاً، فقال: ما أشبه هذا بشعر فلان:

حداراجاً حدارجاً ^{بسي} سبعين فرخاً دارجاً

أما القول الثاني: «ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى»، فيبين الخطابي أن هذا القول ساقط لأكثر من سبب:

1- أولاً فلأنه وضع أمر النعمة، وتحدث عن أسلوب الفضل والمنة بما يدل على الإنتقام والعقوبة، فان اخراج الجنين من بطن أمه نعمة من نعم الله، والتعبير بهذا القول: (ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى) إنما يأتي في مواضع الإنتقام والعذاب، وهذا أمر لا يجمله ذو بصيرة. ويدل عليه قوله سبحانه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [الفجر: 6] وقوله

تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [الفيل: 11].

2- ثانياً: فليس صحيحاً أن الجنين يخرج من بين الشراسيف والحشى.

3- ثالثاً: فليس هذا شأن المعارضة، فان هذا الكلام إنما استرقه قائله من أسلوب القرآن

ونظمه من مثل قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [الفيل: 11]، ومن مثله

قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ [الطارق: 7] فأين الثرى من الثريا!!

وأما قولهم «الفيل وما أدراك ما الفيل...» فمع أنه محاكاة لما جاء في كتاب الله في

مثل قوله: الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَقوله: الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ إلا أنه مع ذلك ساقط، لأن

مثل هذا الأسلوب يأتي في مقام التهويل، وصاحب هذا القول جاء به حيث لا تهويل، بل لا فائدة فيه كذلك، فما زاد على المشفر والذنب، وهذا أمر لا يجمله الصبيان. وبما ليته جاء ببعض

الأُمور المستغربة عن الفيل.

ومن الممكن أن يعارض بالبعوضة فيقال « البعوضة ما البعوضة، وما أدراك ما البعوضة » فلقد فخم صاحب الفيل وهول، ولكنه لم يأت بشيء، وما أشبهه بقول القائل:

واني واني ثم اني واني إذا انقطعت نعلي جعلت لها شسعاً

وقد روى الخطابي بسنده عن سعيد بن نشيط قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى البحرين، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو ثم قال عمرو: فأقبلت حتى مررت على مسيلمة فأعطاني الأمان، ثم قال: إن محمداً أرسل في جسيم الأمور وأرسلت في المحقرات. فقلت: أعرض عليّ ما تقول، فقال: يا ضفدع نقي فإنك نعم ما تنقين، لا وإردأ تنفرين، ولا ماءً تكدرين، يا ويرُ يا ويرُ يدان وصدُرُ، وسائرِك حقر نقر، ثم أتى ناس يختصمون إليه في نخل قطعها بعضهم لبعض فتسجى بقطيفة ثم كشف رأسه فقال: "والليل الأدهم، والذئب الأسحم، ما جاء بنو أبي مسلم من مَحْرَمٍ" ثم تسجى الثانية فقال: والليل الدامس والذئب الهامس ما حرّمته رطباً إلا كحرّمته يابساً، قوموا فما أرى عليكم فيما صنعتم شيئاً، قال: قال: عمرو: أما والله إنك تعلم وأنا لنعلم أنك من الكاذبين فتوعدني.

قال الخطابي: "قلت: صدق عمرو. هل يخالَجُ أحداً شك في ضلالة من هذا سبيله وسقوط من هذا برهانه ودليله؟ وأي بلاغة في هذا الكلام؟ وأي معنى تحتد، وأي حكمة فيه حتى يتوهم أن فيه معارضة للقرآن أو مباراة له على وجه من الوجوه؟ ولكن البائس أعلم بنفسه حين يقول أرسلت في المحقرات ولا يرى؟ أحقر مما جاء به وأقل." (رسالة الخطاب، ص 56).

وبين الخطابي في أثناء الرد على هذه الترهات، المعارضة المقبولة عند الأدباء والنقاد، ويذكر أنها تأتي على وجوه متعددة:

(أحدها): أن يتبارى المتعارضان في شعر أو خطبة، فيأتي كل منهما بأمر جديد في وصف ما تنازعا وتباريا فيه، ويمثل لذلك بما كان بين امرؤ القيس وعلقمة الفحل في وصف الخيل، حيث افتتح امرؤ القيس قصيدته بقوله:-

خليلي مرا بي على أم جندب

ثم قال في وصف سرعة الفرس

وللسوط منه وقع أهوج منعب

فللزجر ألهوب وللساق درة

وقال علقمة في وصف الفرس:

وغيبة شؤبوب من الشد ملهب

فعفى على آثارهن بحاصب

يَمَرُّ مَرَّ الرائح المتحلب

فأدر كهن ثانياً من عنانه

وكانا قد كلما امرأة امرئ القيس، أم جندب فحكمت لعلقمة بأنه أشعر من امرئ القيس، وذلك لأنه وصف فرسه بأنه أدرك الطريدة من غير أن يجهد، أما امرؤ القيس فإن فرسه ما تحرك إلا بعد ضربه أشد الضرب.

ومن هذا ما كان بين الحارث البشكري وامرئ القيس: فعن أبي عمرو بن العلاء قال: كان امرؤ القيس ينازع كل من يدعي أنه يقول شعراً، فنازع الحارث بن التوأم فقال امرؤ القيس:-
أحار ترى بريقاً هب وهناً

فقال الحارث: كئنا مجوس تستعر استعاراً

فقال امرؤ القيس: أرقنت له ونام أبو شريح

فقال الحارث: إذا ما قلت قد هداً استطاراً

.... قال: فآلى امرؤ القيس الا يناقض بعده شاعراً (المطاهي/ ثلاث رسائل ص 59-61).

الثاني: وهناك نوع آخر من المعارضة، وهو أن يصف الشاعران شيئاً معيناً فيرتقي أحدهما على الآخر وذلك ما كان بين الأخطل والأعشى في وصف الخمر، فقد قال الأخطل:

وتظلل تنصفنا بها قروية ابريقها برقاعة ملثوم

فإذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فنال رياحها المزكوم

وقال الأعشى:

وأدكن عاتق جمل سبخل صبحت براحه شرباً كراماً

من اللاتي حملن على الروايا كريح المسك تستل الزكاما

فارتقى الأعشى على الأخطل في هذا، لأن الأخطل جعل ريحها تصل إلى المزكومين،

ولكن الأعشى جعلها تستل الزكام. (المطاهي/ ثلاث رسائل، ص 64).

الثالث وأعجب من هذا كله بناء الشيء وهدمه، وهو أن يقول الشاعر في معنى ثم يقول في

ضده، ويمثل له بما كان من حسان رضي الله عنه في مدح الخمر وذمه، وذلك قبل إسلامه

بالطبع - حيث طلب منه جبلة بن الأيهم أن يذم الخمر فقال: (المطاهي/ ثلاث رسائل ص 65).

ولا ثلاث هن في الكأس لم يكن لها ثمن من شارب حين يشرب

لها نزق مثل الجنون ومصرع دنى وأن العقل بنأى ويغرب

ثم طلب أن يمدحها فقال:

ولولا ثلاث هن في الكأس أصبحت كأنفس مال يستفاد ويطلب

أمانيتها والنفس يظهر طيبها على حزنها والههم يسلي فيذهب

الرابع: وهناك نوع آخر ليس بمحض المعارضة ولكنه نوع من الموازنة بين المعارضة والمقابلة، وهو أن تقابل بين شاعرين، قال أحدهما في شيء غير الذي قال فيه صاحبه، وذلك كأن تتأمل شعر أبي دؤاد الإيادي والنايف الجعدي-رضي الله عنه- في وصف الخيل، وشعر الأعشى والأخطل في نعت الخمر، فيقال فلان أشعر في بابه ومذهبه الذي سلكه (الخطابي، ثلاث رسائل ص65).

والخطابي في كل هذا ينطق عن حكمة ومعرفة بمذاهب الشعر وأقوال الشعراء وقواعد

النقد:

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة اجب عن السؤال التالي :



تدريب (5)

ما شروط المعارضات، وهل يسمى ما جاء به مسيلمة وغيره معارضة للقرآن الكريم...؟

3.3 ما الذي تحداهم فيه

عرفنا- أخي الدارس أختي الدارسة- أن القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم للناس كافة، وأنه قد تحداهم للإتيان بمثله فلم يستطيعوا ذلك....، لكن بم تحداهم القرآن الكريم؟ أي بم كان القرآن الكريم معجزاً؟ هل هو معجزة للناس من حيث بيانه فحسب، أم هو معجز من حيثيات أخرى؟

رأى بعض العلماء أن القرآن معجز ببيانه فحسب، وذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة، فهناك الإعجاز البياني، وهناك الإعجاز التشريعي، والخلقي، وهناك الإعجاز العلمي إلى غير ما هنالك من وجوه سنحدثك عنها فيما بعد إن شاء الله.

والقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأعمها، ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى. أما الوجوه الأخرى فليست كذلك فهي مفرقة فيه.

ولا بد أن نرجح أحد هذين القولين، وخير معين لنا على ذلك آيات القرآن الكريم المتحدثة عن تحدي الناس بالإتيان بمثل القرآن ولذا لا بد لنا من دراسة آيات التحدي لنصدر حكمنا؛ لأن القرآن الكريم وآياته خير حكم لنا في أي مسألة من المسائل.

3.3 (1) مراحل التحدي

اعلم- أخي الدارس، أختي الدارسة- أن تحدي القرآن للناس كان في أكثر من آية، وفي أكثر من وقت واحد، وفي أكثر من مكان كذلك. فقد تعددت آيات التحدي وتعددت مراحلها. (المرحلة الأولى) تحدهم الله أن يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين قدر معين، قال تعالى:

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (الطور: 34).

(المرحلة الثانية) ولما عجزوا عن الإتيان بمثله، أرخى لهم الله العنان مرة أخرى، فتحدهم

بالإتيان بعشر سور مثله. قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ

مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَفَعْتُمْ مِنْ لُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلْمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (هود: 13-14).

(المرحلة الثالثة): لما عجزوا ولم يستطيعوا ذلك كذلك- أرخى لهم العنان وخفف عليهم المؤنة،

فاكتفى منهم بسورة واحدة قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ

مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَفَعْتُمْ مِنْ لُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (يونس: 38).

(المرحلة الرابعة): ولكن القوم لم يستطيعوا الإتيان بسورة، فتحدهم أن يأتوا بسورة تشبه

القرآن ولو من وجه من الوجوه، فقال سبحانه: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ

عَبْدَنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوتُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ

(البقرة: 23-24).

2.3.3 دراسة مراحل التحدي

وإذا أردنا دراسة هذه المراحل لثرى ما بينها من وجوه الاتفاق والاختلاف فإننا نجد ما

يلي:

أولاً: إن هذه المراحل كلها تعلن التحدي بكل قوة وثقة.

ثانياً: إن المراحل الثلاث الأولى كلها مكية التنزيل، فإن الآية الأولى من سورة الطور، والثانية من سورة هود، والثالثة من سورة يونس عليهما الصلاة والسلام، وهذه السور مكية اتفاقاً.

ثالثاً: إن المراحل الثلاث الأولى خوطب بها العرب، لأنهم هم المتحدون في هذه السور الثلاث، أما المرحلة الرابعة فقد خوطب بها الناس جميعاً، يدل لذلك سياق الآيات الكريمة وهي

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَإِنْ كُنْتُمْ

فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ

دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ البقرة: 21-24.

رابعاً: إن المراحل الثلاث الأولى مختلفة من حيث الأسلوب عن المرحلة الرابعة، والبيكم بيان ذلك:

المرحلة الأولى: "فليأتوا بحديث مثله" والثانية "قل فاتوا بعشر سور مثله" والثالثة "فاتوا بسورة مثله". أما المرحلة الرابعة فجاء الأسلوب فيها "بسورة من مثله" فكلمة (من) لم تذكر إلا

في المرحلة الرابعة.

هناك اختلاف-إذن- بين المراحل الثلاث والمرحلة الرابعة من حيث التنزل، ومن حيث

السياق، ومن حيث الأسلوب، ولهذه الفروق دلالاتها في تعيين الراجح في بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم.

فإذا كان التحدي في المراحل الثلاث المخاطب به العرب، والعرب كان البيان بضاعتهم والبلاغة سجيتهم، فإن المرحلة الرابعة المخاطب بها الناس جميعاً عربهم وعجمهم، وإذا كانت المراحل الثلاث الأولى خالية من كلمة (من)، فلقد جاءت المرحلة الرابعة مشتملة على هذا الحرف الدال على التبعض ومعنى هذا أن المرحلة الأخيرة كان التحدي فيها للناس جميعاً، ولا يُقَلُّ أن يتحدى الناس جميعاً بالبيان وحده، إنما هو تحد عام للناس جميعاً يشمل البيان وغيره، وبعد هذه الدراسة لمراحل التحدي نقرر مطمئنين أن وجوه الإعجاز متعددة، وأن القرآن الكريم معجز من حيث بيانه، ومن حيث تشريعه، ومن حيث ما فيه من حقائق علمية وكونية، ومن حيث ما فيه من أخبار الأمم السابقة، ومن أخبار الغيب المستقبل، ومن حيث تأثيره في النفوس، من هذه الحثيات وغيرها مما ستتعلم نباه بعد حين إن شاء الله.



نشاط (5)

ذهب جمهور علماء التفسير إلى أن التحدي جاء مرتباً حسب المراحل التي حدثت عنها، وخالف في ذلك آخرون. ارجع إلى تفسير المنار (1/193) والظلال (4/1861) واذكر ما ذهب إليه هذان الإمامان.

4. وجوه إعجاز القرآن الكريم

أخي الدارس، أختي الدارسة في هذه الوحدة أرتأينا أن نذكر شيئاً موجزاً عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، سائلين الله تعالى التوفيق.

1.4 الإعجاز العلمي

القرآن الكريم كتاب الله ووثيقة السماء الخالدة، أنزله الله ليكون موعظة وشفاء وهدى ورحمة وبرهاناً ونوراً قال تعالى:

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا (النساء: 175)، وقال:

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (نور: 57).

فالقرآن كتاب الإنسانية كلها، ونوره سيبقى يشع ما دامت الحياة لتهدى به قلوب غلف وتبصر به عيون عمي، وتفتح به آذان صم، وكما جاء في القرآن دعوة صريحة للإيمان الصحيح، ومكارم الأخلاق، فإنه جاء (كذلك دعوة صريحة للعلم) والنظر والتفكير، ويكفي أن أول ماتلاً من آياته، كان الأمر بالقراءة باسم الرب الذي خلق، الرب الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، ولا نجد كتاباً سماوياً أو أرضياً كرم العلم والعلماء ودعا في مواضع كثيرة منه، للتزود من منهل هذا العلم كهذا القرآن. وقال تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (الروم: 22) قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (الزمر: 19) ، إِنَّمَا

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (اسم: 28). وَإِذَا قِيلَ ابشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (المجادلة: 11).

وشرف الله العلماء (بمعينه) شهد الله أنه، لا إله إلا هو والملائكة وأولوا

العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (آل عمران: 18).

ومن عظيم شأن هذا القرآن، أنه جعل دعوته للعلم مفتوحة للبشر جميعاً، ولم يفرق بين غني وفقير، ورجل وامرأة، أحراراً كانوا أو مملوكين، ولقد ظهر أثر ذلك في وقت مبكر في ظل حكومة القرآن، وإذ بهذه الأمة المنطوية على نفسها، المنحصرة في مضاربها، تفجر طاقات الكون، وهي تجوب آفاق الأرض التي جعلها الله لها ذلولاً، لتمشي في مناكبها غير معتدية أو سالبة، وإنما هي فاتحة للعقول قبل البلاد، لقد نمت دعوة القرآن للعلم، فأحيت أمة من أجدائها، وإذ بهذه الأمة الأمية، التي من الله عليها بالهداية، يصبح كل بيت من بيوتها، وكل مسجد من مساجدها، مولداً للعلم، يأتيه الناس على اختلاف لغاتهم وأديانهم من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان.

وهناك بدهية أخرى، وهي أن القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

وعلى الرغم من اكتشاف كثير من المجاهيل، وعلى الرغم من تقدم الإنسان في مضمار العلم، وأفاق الكون الفسيحة، لا يتعارض مع المسلمات الصحيحة التي وصل إليها الإنسان فضلاً عن أن يناقضها، ومع أنها من البدهيات إلا أننا نجد مع كل أسف بعضاً ممن ينتسبون لهذه الأمة بأسمائهم فحسب ممن رانت الأفكار الغربية على عقولهم يمارون فيها، لأنهم حججوا بالهوى وأسروا بالتقليد.

والخلاصة أن القرآن بدعوته المفتوحة للعلم، بنى حضارة شامخة سعدت بها الإنسانية حيناً من الزمن، وأن هذا القرآن لن يناقضه علم كوني صحيح.

ولكن هل يمكن أن تفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً، وهل هناك إعجاز علمي؟ اختلفت كلمة العلماء قديماً وحديثاً في هذه القضية، ولكن خلافهم منبعث من حرصهم على هذا القرآن، وناشئ عن اجلالهم له ودفع كل شبهة تقوم حوله.

ذهب بعض العلماء الأقدمين والمحدثين إلى أن القرآن معجزة بيانية فحسب، وليس معجزة علمية، وذلك لأن الأمة العربية كانت بضاعتها الفصاحة والبيان، فتحداهم القرآن بما يعرفون، ولا يعقل أن يتحداهم بما لا يعرفون، لأن العرب عند ذلك سوف يقولون كيف تتحدانا بشيء لا نعرفه، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا

لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ رَأَى عَجْمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ^{قُل} انصت: 44.

ومن ذهب هذا المذهب الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المتوفى عام (790 هـ) من علماء الأندلس في كتابه المواقفات، ومن المحدثين الأستاذ محمود شلتوت والأستاذ محمود شاكر.

وذهب أكثر العلماء الأقدمين والمحدثين إلى أن القرآن يعد معجزة علمية ويرون أن لا مانع من تفسير القرآن تفسيراً علمياً؛ إذ أن آيات القرآن فيها من دقائق العلوم ما لا يحصى. ومن هؤلاء الإمام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين، وكتاب جواهر القرآن، والإمام الرازي صاحب التفسير الكبير، والإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن.

ومن المحدثين الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز والأستاذ عبد الوهاب حمودة، والأستاذ محمد أحمد الغمراوي، ونحن مع جمهور العلماء، فالقرآن معجزة علمية، ويمكن أن تفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً، شريطة:

- 1- موافقة اللغة العربية موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي.
- 2- عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، أو ما له حكم المرفوع.
- 3- موافقة سياق الآيات بحيث لا يكون التفسير نافراً عن السياق.
- 4- التحذير من أن يعترض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات.
- 5- أن لا يكون التفسير حسب نظريات وهمية متداعية، بل لا بد أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة.

والأمثلة في القرآن كثيرة. نكتفي هنا بذكر مثالين:

1- قال تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ (النور: 16).

المفسرون القدامى يعدون هذه الظلمات الثلاث ظلمة البطن، الرحم، والمشيمة، وبأني علم التشريح الحديث ليثبت بما لا يقبل للشك أن هذه الظلمات إنما هي أغشية ثلاثة تحيط بالطفل غشاء فوق غشاء، وهذه الأغشية لا تظهر بالعين المجردة، وهي المنباري، الخربوتي، اللفائفي، أو كما يقول توماس إيدن هي الكوريون، وهو الغشاء الخارجي، يليه الميزودورم فالامينوس. (الفراي / بين الطب والإسلام، ص 28).

ويقول الدكتور محمد علي الباز " قال بعض المفسرين رحمهم الله، إن الظلمات الثلاث: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، والمعنى صحيح في ذاته، فلجدار البطن ظلمة، ثم يليها ظلمة جدار الرحم، ثم تليها ظلمة الأغشية المحيطة بالجنين، ومع هذا فالآية قد حددت أن الظلمات الثلاث هي في مكان الخلق من بطون الأمهات وذلك لا يكون إلا في الرحم ذاته، وإذا دققنا النظر في الأغشية المحيطة وجدناها ثلاثة هي:

غشاء السلمي أو الأمنيون، وبحيط بالجنين مباشرة من كل جوانبه وفي مائه يتحرك الجنين ثم يليه غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي)، ثم يليه الغشاء الساقط وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة أو الإجهاض، وسمي بالساقط لأن الرحم يسقطه مع الأغشية. (الباز/ خلق الإنسان بين الطب والإسلام، ص 201، 301).

2- قال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ (النور: 43).

يقول الأستاذ رشيد رشدي العابري-رحمه الله- لحصول المطر عوامل ثلاثة لا غيرها إذا توافرت لا بد من نزول المطر، وإن نقص عامل واحد منها فلا إمكان لحصوله، وتلك العوامل هي:

أولاً: التبخر حتى يؤدي إلى تكوين سحب (ب) ثم يترجم سحابة
 ثانياً: وصول الهواء إلى درجة الإشباع بكمية البخار. (ب) ثم يؤلف سحابة (ب) بخا
 ثالثاً: التكاثف. ثم يجعله رطاباً
 ثم ينزل المطر (ب) لدرجته

وهذا الترتيب على التعاقب لا مفر منه لتكوين المطر.. ولكن الآية قد جاءت بوصف موجز مدهش للألباب، إذ عبرت بكلمة يُزجى سحابة عن عملية التبخر، ثم عبرت عن تشبيع الهواء ببخار الماء بقولها على سبيل التعاقب ثم يؤلف بينه، إذ أن درجة الإشباع كما ذكرناها آنفاً تتوقف على تساوي تبادل الجزئيات بين الماء والهواء وما هذه الظاهرة إلا التآلف بين تلك الجزئيات بين الماء والهواء، ومن ناحية أخرى أنه لا يحصل التشبيع إلا بالتعادل والتآلف بين ضغطي بخار الماء وبخار الهواء، أو الاتحاد بين نوعي الكهربائية وانتلاقها كما سبق بيانه، وعلى ذلك فإن أصدق وأصح تعبير لهذه الظواهر هو التآلف الذي وصفه العلم بالتشبيع وليس لها تفسير آخر.

ثم جاءت بقولها ثم يجعله ركاماً على سبيل التعاقب أيضاً فأبلغ تعبيراً للتكاثف هو الركام. ولا نفسر كلمة الركام بغير التكاثف، فجاء في معجمات اللغة في تفسير كلمة الركام بأنه (سحاب كثيف) ويقصد بالسحاب الكثيف البخار، والذي قد تشبيع الهواء منه فتكاثف.

ثم تقول الآية: فترى الودق أي المطر يخرج من خلاله فعندما بينت الآية العوامل الثلاثة لحصول المطر فصلت بينها بكلمة (ثم) للترتيب والتراخي، لأن كلاً من عوامل التبخر والتشبيع والتكاثف التي ذكرت آنفاً، يستغرق وقتاً مهماً كان ضئيلاً، وبعدها كلمة فترى الودق بحرف الفاء السببية والتعقيبية أي أنها تقول بعدما تتوافر العوامل الثلاثة فلا بد أن يحصل المطر فوراً، فهذا الترتيب الطبيعي الثلاثي لحصول المطر، لم يحقق العلم، ولم يطلع عليه العلماء على الوجه العلمي الانف الذكر إلا من مدة قصيرة ولكن القرآن عرفه قبل ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً. (العباسي، بصائر جغرافية، ص 211).



ما هي الشروط التي يجب الأخذ بها عند تفسير آي القرآن تفسيراً علمياً ؟

2.4 الإعجاز التشريعي

أخي الدارس، أختي الدارسة، القرآن كتاب الله تبارك وتعالى الذي أنزله على نبيه عليه وآله الصلاة والسلام، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليهديهم صراطاً مستقيماً، وصدق الله إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (الاسراء: 9) ومعنى هذه الآية الكريمة أن هداية

القرآن هي أعظم الهدايات وهذا ما يفهم من قوله سبحانه: لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وتظهر هذه الهداية في أحكام القرآن وقيمه الخلقية وقواعده التربوية، ونظمه التشريعية.

والحق أن بيان القرآن وتشريعاته لا ينفصل بعضها عن بعض، وإذا عرفنا أن القرآن معجزة بيانية، فيجب أن نعلم أنه معجزة تشريعية أيضاً.

وقد اقتضت حكمة الله ومشيئته- وقد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله- أن ينزل هذا القرآن الكريم، وقد بلغت اللغة العربية غاية في نموها وتهذيبها، سعةً وأحكاماً ودقة وضع، وبلغ العرب الناطقون بها مبلغاً في المهارات اللغوية فطنة ورقة طبع، وذلك من أجل أن يكون القرآن الكريم معجزة لغوية يتحدى فحول الفصحاء وجهاذة البلغاء.

واقتضت مشيئة الله وحكمته كذلك أن ينزل القرآن الكريم، وقد مر على القانون الروماني الذي كان مرجع البلاد المتعدنة وقد بلغ من الإصلاح والتهذيب فكان نتيجة إصلاحات لكبار الفلاسفة، ورجال العلم والقانون والاجتماع مدة ثلاثة عشر قرناً، ابتداءً من سنة سبعمائة وأربعة وأربعين قبل الميلاد إلى سنة خمس مائة وثلاث وثلاثين ميلادية في عهد (جوستنيان)، فكان القرآن كذلك معجزة تشريعية يتحدى القوانين والمقنين، والفلاسفة والفلاسفة، كما تحدى اللغويين.

1.2.4 كيف يفهم الإعجاز التشريعي

والمتحدث عن الإعجاز التشريعي جدير به أن يقف :

أولاً مع تشريعات القرآن الكريم في شتى مناحي الحياة ومختلف جهاتها، وقد يجد نفسه مضطراً إلى الإلمام بما جاء في السنة المطهرة من تشريعات، فإن القرآن الكريم كثيراً ما

تذكر فيه الأحكام مجملة، فتأتي السنة لتشرح هذه القواعد وتفصل ذلك الإجمال، فالسنة-إذن- ليست أجنبية عن القرآن، بل هي شارحة مبينة. وجدير به ثانياً أن يدرس ما وصل إليه العقل البشري من قوانين وأنظمة في مناحي الحياة المختلفة، وجوانبها المتعددة.

وجدير به ثالثاً أن يعقد موازنات منصفة بين التشريعات القرآنية، التي جاء بها سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- النبي الأمي في بلد لم تكن فيه معاهد ومدارس وفي أمة لم تنعم بما نعمت به الأمم الكثيرة في أنواع المعارف. وسيجد أي باحث منصف، البون الشاسع بين تشريعات القرآن الكريم من حيث سموها وشمولها وما فيها من نظرة إنسانية، وخلو من السلبيات والثغرات والمآخذ، أقول سيجد فرقاً بين تشريعات القرآن الكريم وبين غيره من القوانين التي بُدلت في تنقيحها طاقات، وعملت أفكار وعقول. ولسنا نحيف على هذه القوانين فنجردها من كل خير، ولكننا-ونحن لا نبخس الناس أشياءهم- سنجدها غير بالغة من حيث مقرراتها ومضامينها ما بلغه كتاب الله، ولا هي قريبة منه في كثير من الشؤون والأحكام.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة "ومن أجل أن نتبين قيمة ذلك الشرع في ذاته، ونظر الناس يجدر بنا أن نرجع إلى الماضي السحيق ونتطلع إلى المستقبل البديع. أما في الماضي فنجد أن الشرع الذي اقترن بظهور محمد الرسول الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هو قانون الرومان فقد كان الشرع المسيطر في التطبيقات العلمية والقضائية في الشام ومصر وغيرها من البلدان التي تعاقبت على البلاد العربية، وأحاطت بها من الغرب والشمال، ويقول علماء القانون اليوم إنه من أكمل الشرائع التي تفتق عنها العقل البشري، ولا زال يعد أصلاً لكثير من الشرائع القائمة ؟ وقامت على دعائمه.

وأن من يريد أن يعرف منزلة الشريعة الإسلامية وأنها في درجة فوق مستوى العقل البشري فليوازن بينها وبين ذلك القانون الروماني، لأن قانون الرومان قد استوى على سوكه، وبلغ نهاية كماله في عهد جوستينيان سنة (533) بعد ميلاد المسيح عليه السلام. وهو في هذا الوقت كان صفة القوانين السابقة، وفيه علاج لعيوبها، وسد لخللها من يوم أن أنشئت روما سنة (744) قبل الميلاد إلى سنة (533) بعده، أي أن ثمرة تجارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرناً ظهرت منها الفلسفة اليونانية، وبلغت أوجها، وقد استعانوا في تلك التجارب القانونية بقوانين (سولون) لأثينا، وقوانين (ليكورغ) لإسبارطة، والنظم اليونانية عامة، والمناهج النظامية والفلسفية التي فكر فيها الفلاسفة اليونان لبيان أمثل النظم التي يقوم

عليها المجتمع الفاضل، كالذي جاء في كتاب القانون وكتاب الجمهورية لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو وغيرها من ثمرات عقول الفلاسفة، والعلماء في عهد اليونان والرومان. وإن شئت فقل إن القانون الروماني هو خلاصة ما وصل إليه العقل البشري في مدى ثلاثة عشر قرناً في تنظيم الحقوق والواجبات، فإذا قارنا بينه وبين ما جاء على لسان محمد النبي الأمي، وأنتجت الموازنة أن العدل فيما قاله محمد - صلى الله عليه وسلم - وما استنبط الفقهاء من بعده، يكون من الحق علينا أن نقول إن أساس شريعة الإسلام ليس من صنع بشر، بل من صنع العليم الحكيم اللطيف الخبير سبحانه.

(مجلة المسلمون - العدد الأول - السنة الأولى - شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، ص 32).

"إن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة، لم يسبق به في شريعة اليونان وإذا وازنا بين ما جاءت به قوانين الرومان واليونان، وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنظم بما جاء في القرآن وجدنا أن الموازنة فيها خروج عن التقدير المنطقي للأمور". فجاء محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعه القرآن الذي ينطق بالحق عن الله سبحانه وتعالى من غير درس درسه، وكان في بلد أمي ليس فيه معهد ولا جامعة ولا مكان للتدريس وأتى بنظام العلاقات الاجتماعية والتنظيم الأنساني، بما لم يسبقه سابق ولم يلحق به لاحق. (أبرزهره/ المعجزة الكبرى، ص 385).

ذلكم أن أول ما نلاحظه ونلمحه في التشريعات البشرية، أنها تشريعات محددة يلائم كل منها البيئة التي وضع فيها، والمجتمع الذي وضع له مع كثير من الثغرات والسلبيات، ولكن القرآن الكريم أراده الله للناس جميعاً، وصدق الله: قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً

قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [الأنعام: 19].

"إن تعاليم القرآن موجهة للعالم بأسره، فهي للناس في شتى أرجاء العالم كافة بفض النظر عن أصلهم، أنزلت إليهم لتدخل السرور والبهجة إلى قلوبهم وتطهر نفوسهم وتهذب أخلاقهم، وتوجه مجتمعهم وتستبدل سطوة القوي بالعدل والأخوة، وقد أكد الله عز وجل أن

في القرآن حلولاً لجميع قضايا البشر ونزلنا عليك الكتاب تبييناً لكل شيء وهدياً ورحمة

وَبَشِّرِ الْمُسْلِمِينَ [النحل: 189].

يعالج القرآن- قبل كل شيء، الحق الأسمى والفضيلة، وكل ما تبقى من محتوياته ونصروده، كمعرفة الروح وعلوم طبيعة السماوات والأرض والتاريخ والنبوة والندى، وما شابه ذلك- ليست سوى رسائل لتقوية القرآن وإعطائها وزناً أكبر وإقناعاً أشد. لقد أشار الغزالي- الفيلسوف المتوفى عام (505هـ) في كتاب جواهر القرآن إلى أن (763) آية تبحث في المعرفة، و (741) آية في الهداية للفضيلة، وهذه الألف وخمسمائة وأربع آيات تمثل-في نظره-أثمن ما في الكتاب وما تبقى بمثابة الظروف أو الصدفة التي تغلف تلك الجواهر، أي التعاليم-. والمراد بالظروف هنا الأوعية التي توضع فيها الأشياء. والمراد بالصدفة ما يوجد فيه اللؤلؤ. (د. دواز/ دراسات إسلامية، ص18).

ولهذا السبب فالقرآن له أعلى حظوة لدى المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات أو أدعية نبوية أو غذاء للروح، أو تسابيح روحانية فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم ومرآة الأجيال إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل.

2.2.4 جوانب التشريعات القرآنية

والتشريعات القرآنية متعددة الجوانب- كما قلنا من قبل- منها: ما اصطلح على تسميته بالعبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والحج. ومنها المعاملات: كالبيع والإجارة، وهي (ما تعرف بالقانون المدني). ومنها أحكام الأسرة، ومنها التشريعات التي تتصل بالعقوبات وهي ما تعرف بالقانون الجنائي، ومنها ما يعرف بالسير وهي التي تسمى في لغة القانون العلاقات الدولية إلى غير ذلك من تشريعات.

ولقد كان للقرآن الكريم السبق في تلك التشريعات، والمتأمل في أي جانب من هذه الجوانب وهو يقارن ويوازن بينها وبين شبيهاها من القوانين، فسيذكر دون صعوبة أحقية التشريعات القرآنية وجدارتها بتبوء المكانة العليا، وصدق الله: **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ** [الاسراء: 105] ومعنى قوله **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ** أي أن القرآن هو-حقاً- من عند الله،

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا [النساء: 82]، ومعنى قوله "وبالحق نزل" أي أن كل ما في القرآن من حقائق وتشريعات وأخبار حق لا يتطرق إليه باطل، وهو في أعلى رتب الحق لا يجارى في قضاياه ولا يدانيه كتاب آخر في أحكامه: **وَأِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ**

لَا يَأْتِيهِ الْبَلْطَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ انصت: 42.

وخذ أي قاعدة من القواعد التشريعية، وأي باب من أبواب النقد القرآني، تجد صدق أسبقية القرآن وسمو تشريعاته، وسنختار لك في الوحدة الرابعة إن شاء الله موضوعات من مجالات متعددة، ونكتفي هنا بمثال واحد وهو ما يتعلق بقضية الرق .

3.2.4 الرق

كان الرق، قبل نزول القرآن الكريم شرعة مباحة، وقضية من القضايا المتعارف عليها بين الناس، وأمرًا من الأمور المسلمة في الشرائع والفلسفات والقوانين، بل قرر أرسطو طاليس- وهو الفيلسوف الذي يعدونه من أعظم ذوي العقول في هذه الدنيا، ويشيدون به ويعبقريته، وتشدو بذكره الأمم الأوروبية وغيرها- قرر أن "الرق نظام الفطرة، لأن من الناس ناساً لا يمكن أن يعيشوا إلا أرقاء، وآخرين لا يكونون إلا أحراراً". وأين هذا من الإسلام؟ أين هذا من تقريرات القرآن السامية؟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَكُمُ (المجرات: 13)، وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ (الإسراء: 70) إلى غير ذلك من الآيات، فالقرآن الكريم قرآن الناس سواء، خلقهم الله من نفس واحدة.

ولا ندري لماذا هذه الجمعية؟، ولماذا هذه الحملة الجائرة التي يريد أصحابها النيل من دين الله؟ ويعلم الله أنهم قد جاؤا ظلماً وزوراً. لقد ادعى بعض المستشرقين أن الرق قد نما في ظل الإسلام، وتلكم تهمة باطلة، فما هي قضية الرق، وما هو موقف القرآن الكريم منها، وإليكم بيان ذلك؟
الأرقاء في الزمن القديم كانوا على ثلاثة أنواع:

- 1- أسارى الحرب.
- 2- الأحرار الذين كانوا يؤخذون ويسترقون ظلماً فيباعون.
- 3- الذين كانوا في الرق أباً عن جد، ولا يعرف متى كان آباؤهم قد استرقوا

جاء الإسلام، والمجتمع الإنساني في بلاد العرب وغيرها من أقطار العالم ممتلئ بالأرقاء من هذه الأنواع الثلاثة تقريباً، (أبر الأعلى المدودي - تفسير سورة النور، ص 188) .
ثم إن الإسلام عالج الوضع الاجتماعي القائم للرق فشرع عدداً من الأحكام التي تعمل على تحرير الأرقاء نفسياً ومعاملتهم معاملة كريمة مقدمة لتحريرهم تحريراً كاملاً، ومن ذلك:

1- جعل الرقيق كالسادة في التكاليف الشرعية، فهم مخاطبون بالأحكام الشرعية من صلاة وصوم وزكاة أسوة بغيرهم.

2- دعا السادة إلى مساواة الرقيق في الحقوق الإنسانية، فجاء قوله صلى الله عليه وسلم: «من لطم عبده لطمناه ومن جدد عبده جدعناه...»

3- دعا السادة إلى معاملة الرقيق معاملة إنسانية كريمة، من حيث الأكل واللباس والعمل، في عدد من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الحديث الأول: لا يقولن أحدكم عبيدي، وأمتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي، ليقبل المالك فتاي وقتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل. (رواه البخاري في العتق/ باب كراهية التطاول على الرقيق).

الحديث الثاني: اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه. (رواه ابو داود في الأدب/ باب في حق المملوك).

الحديث الثالث: من قتل عبده قتلناه ومن جدد عبده جدعناه. (رواه الترمذي في الديات/ باب ما جاء في الرجل يقتل عبده).

وعندما قامت دولة الإسلام في المدينة تجاوز الأمر موضوع التوجيه إلى موضوع التشريع فجاءت التشريعات الإسلامية في هذا المقام فأغلقت كافة أبواب الرق باستثناء الحرب المشروعة، وحتى هذا الباب لم يكن مفتوحاً على مصراعية، وانما تحكمه قاعدة المعاملة بالمثل حيث يقرر ولي الأمر وأهل الحل والعقد.

أخي الدارس، أختي الدارسة وبالإضافة الى ما تقدم فقد وضع الإسلام عددا من التشريعات التي تكفل تحرير الأرقاء محرراً نهائياً.

أما فتح أبواب الحرية فكان له مظاهر متعددة، ومن أولها حث الإسلام الناس على العتق، كما رأينا في سورة البلد المكية، ولكن القرآن الكريم لم يكتب بأن يرغب في فضل العتق، بل يحده بفرضه كفارة لكثير من المخالفات التي يصيبها المسلم وهي:

أولاً: كَفَّارَةُ عَمَلٍ رَجِيءٍ

1- كفارة الظهار: قال تعالى: وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِعَمَالِهِمْ

قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا الْعَادَةَ:3 والظهار أن يحرم الرجل زوجته على نفسه فيقول: أنت علي كظهر أمي.

ب- **كفارة القتل الخطأ:** قال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً

وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَبِئْسَ مُسْلِمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا

فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

تَوْبَةٌ مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (النساء: 92) فقد ذكرت تحرير الرقبة في هذه

الآية ثلاث مرات.

ج- **كفارة اليمين:** قال سبحانه في كفارة اليمين: فَكْفَرَةٌ بِهَا إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ

مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ (النساء: 89).

وهكذا يفتح القرآن الكريم أبواب الحرية، وقد يترك الأمر اختيارياً للمسلمين

وقد يوجه عليهم، ولقد استجاب المسلمون لله ورسوله صلى الله عليه وسلم،

فأعتق ألوف الأرقاء في وقت قصير، ثم صار أولئك بعد ذلك بمن يعول عليهم

المجتمع المسلم في كثير من أموره ومتطلباته.

ثانياً: ولم يقف القرآن الكريم عند هذا الحد في علاج مشكلة الرق، بل خطا خطوات

كثيرة في هذا المضمار، فجعل من أبواب الزكاة الواجبة على المسلم إعطاء

الأرقاء جزءاً من مال الزكاة، ليحرروا به أنفسهم، وذكرهم في ذلك مع الفقراء

والمساكين قال تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا

وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ (النساء: 60) وبهذا يتضح وجوب الاسهام

الشعبي في موضوع تحرير الرقيق من خلال باب الزكاة.

ثالثاً: شرع الاسلام **المكاتبة** وهي أن يطلب العبد من سيده عتقه مقابل مبلغ من المال

يدفعه له، فأوجب على المسلمين أن يعطوا هذا العبد من مال الزكاة وغيرها،

ليعنه على ملك حرته، قال تعالى: وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ (النور: 33)

وفي قوله سبحانه: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا أَسْمُو التَّشْرِيْع، وتكريم ما
بعده تكريم لهذا الإنسان، فهذا الرقيق المكاتب يجب على السيد أن يلبى رغبته إذا
علمنا أن له من المهارات والقدرة ما يمكنه أن يكون لبنة صالحة في هذا المجتمع، أما
إذا كان سيعيش عائلة على المجتمع بعد تحريره، فليبق كلاً على مولاه، خير من أن
يصير عائلة على المجتمع.

وهكذا يتبين لك أخي الدارس، أختي الدارسة، أن مبدأ المكاتبه يعد تطبيقاً
عملياً لمبدأ حرية الإنسان في الاختيار وتقرير المصير. والأحاديث في ذلك كثيرة،
ذُكِرَ موقف القرآن الكريم من الرق.

رابعاً : ثم إن الإسلام ندب المسلمين بعامه إلى تحرير الرقاب صدقة وقربى إلى الله
سبحانه. وكانت استجابة المسلمين واسعة فأعتقوا الكثير من أرقائهم التماساً
لرضوان الله تعالى.

3.4 الإعجاز الغيبي

نعني بالإعجاز الغيبي، أخبار القرآن عن الأمم السابقة، وأخباره عن أحداث المستقبل،
وقد سماه الأول- وهو حديث القرآن الكريم عن الأمم الماضية- بالإعجاز التاريخي، فقد حدثنا
القرآن عن الأمم السابقة، وأحوالهم الإجتماعية والنفسية والمادية وكان أكثر ما جاء في القرآن
جديداً على العرب، وكان بعضه مما عرفوه، ولكن بطريقة خاطئة. فجاء القرآن ليجلي لهم الحق
في ذلك، ... وحدثنا القرآن عن الأنبياء آدم ونوح ويوسف وموسى وعيسى عليهم الصلاة
والسلام وعن غيرهم من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

أما حديثه عن أخبار المستقبل، فقد تحدث القرآن عن قضايا كثيرة لم تكن حدثت حين
نزل الآيات المتحدثة عنها، ثم حدثت كما أخبر القرآن الكريم، وهذا لا شك يدل على صدق
القرآن وإعجازه ومن ذلك:

1- ما وعد الله بأن يحفظ القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أي تغيير، أو يناله أي تبديل
فقال سبحانه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: 9) وكان ما أخبر عنه
القرآن الكريم.

2- وعيد الله لأهل مكة، ومن شايهم في بدر ما سبلاقونه يوم بدر، فقال سبحانه:

سِيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدَّبْرَ [القر: 44] وهذه الآيات نزلت في مكة، ولذا روي

عن سيدنا عمر رضي الله عنه قوله، ما عرفت الجمع الذي تتحدث عنه الآية إلا في يوم

بدر، وقال سبحانه: فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ يَوْمَ لَا يُغْنِي

عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ [القر: 45-46] والمقصود بهذا يوم بدر.

3- ما أخبر الله عن فارس والروم وذلك في قوله سبحانه: أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَىٰ

الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ [الروم: 1-3] ولقد تحقق الخبر

القرآني، وفي المدة التي أخبر عنها القرآن الكريم.

نكتفي بهذا القدر وسنزيدك من الأمثلة في الوحدة الرابعة إن شاء الله تعالى. ونكتفي

بهذا القدر أيضاً في هذه الوحدة لننتقل بك- أخي الدارس، أختي الدارسة- إلى الوحدة

الثانية، نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويجنبنا الزلل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

س1

أ - ما المقصود بالتحدي، وهل قبل العرب تحدي القرآن لهم؟ مع بيان ذلك.

ب- ما هي المعارضات المقبولة عند الأدباء والنقاد؟

س2

أ - هل القرآن الكريم معجزة لغوية فقط، أم معجزة علمية وتشريعية بين ذلك

من خلال دراستك لآيات التحدي .

ب- هات مثالا للإعجاز العلمي.

ج- كيف يمكننا فهم الإعجاز التشريعي؟

عرفت-أخي الدارس، أختي الدارسة- أن القرآن هو معجزة الله تعالى الباقية الخالدة، وهو المعجزة العقلية الوحيدة، وذلك لكونها باقية-كما قلنا-وعرفنا شروط المعجزة، والفرق بينها وبين الكرامة والسحر وغيرها.

وعرفنا أن مصطلح إعجاز القرآن الكريم لم يعرف في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا زمن الصحابة رضوان الله عليهم، ولكنه عرف فيما بعد، بعد القرن الثاني الهجري حيث نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن ويردون أباطيل الملاحدة، وأن الكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة هي كلمة (آية).

وعرفت أن القرآن الكريم قد تحدى العرب بأن يأتوا بمثله، ولكنهم لم يستطيعوا معارضة القرآن الكريم والإتيان بمثله، وتحدي القرآن لم يكن بفصاحته وبيانه فقط، ولكنه تحداهم بعلومه وتشريعاته وأخباره الغيبية وغيرها ويشهد لذلك آيات التحدي التي قمنا بدراستها.

وما روي من أن بعضهم قد عارض القرآن، فقد عرفت أن هذه لا يمكن أن تسمى معارضات لخلوها من شروط المعارضات الصحيحة.

وأخيراً حدثناك بإيجاز عن وجوه إعجاز القرآن الكريم عدا الوجه البياني، وقد ضمنا هذه الوحدة بعض النشاطات التي تقوم بها وحدك، وبعض التدريبات التي ستجد حلها آخر هذه الوحدة. وفقك الله تعالى.

6. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

بعد أن انتهينا- أخي الدارس، أختي الدارسة- من دراسة الوحدة الأولى، ننقل بك إلى الوحدة الثانية، وهي التي تتعلق بدراسة تاريخية للمؤلفات في إعجاز القرآن الكريم، وسنحدثك إن شاء الله عن المؤلفات القديمة وهي رسالة الخطابي "بيان إعجاز القرآن" ورسالة الرماني "النكت في إعجاز القرآن" وكتاب إعجاز القرآن للإمام الباقلاني، وسنحدثك عن نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر، وأمثلة من تطبيقات الإمام الزمخشري صاحب الكشاف لهذه النظرية من كتاب الله تعالى.

أما المؤلفات الحديثة، فسنحدثك بإيجاز عن كتاب إعجاز القرآن للإمام الرافعي، وكتاب النبا العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، وكتاب التصوير الفني للشهيد سيد قطب، وكتاب الإعجاز البياني للدكتورة عائشة بنت الشاطي.

نسأل الله تعالى أن تتمكن من تفهم هذه المادة العلمية، لتنفيذ منها في دراستك.

تدريب (1)

أ- الراجع في تعريف المعجزة من حيث اللفظة، ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني من أن أصل كلمة المعجزة من العجز، وهو مأخوذ من عجز الإنسان أي مؤخره، والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، وصار في التعارف اسماً للتقصير عن فعل شيء.

ب- التاء في المعجزة:

1- قد تكون للمبالغة كما في علامة ونسابة.

2- وقد تكون للنقل كما في حقيقة وذبيحة، نطيحة، أي النقل من الوصفية إلى الاسمية.

تدريب (2)

ما يدل لذلك معجزة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام وقد كانت الناقة، ذلك لأن ثمود وهي إحدى القبائل كانوا يعنون بشأن الإبل ويعيشون في مكان هم في أمس الحاجة فيه إلى الماء، فكانت معجزته عليه الصلاة والسلام الناقة آية لها شرب ولهم شرب يوم معلوم.

ومعجزة موسى عليه الصلاة والسلام العصا الجافة التي ألقاها باسم الله، فإذا هي حية تسعى وهي تشبه السحر، والأمة التي تحداها تفوقت في السحر وحذقت.

ومعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وذلك لأن القوم الذين بعث فيهم عليه الصلاة والسلام قد طغت عليهم المادة، فجاءت معجزته روحانية صفة للمادة والماديين.

ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم معجزة عقلية، متفقة مع حال أولئك الذين أرسل فيهم النبي عليه وآله وسلم حيث كانوا أئمة القول وفرسان حلبة الكلام شعره ونثره. والفرق بين معجزته عليه الصلاة والسلام ومعجزات الأنبياء.

1- معجزات الأنبياء مادية حسية، أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم فهي معنوية عقلية.

2- معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنتهي بانتهاء النبي الذي جاء بها، أما معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي باقية خالدة.

3- معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير كتبهم، أما معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهي كتابه الذي نزل عليه القرآن الكريم.

تدويب (3)

الراجع أن مصطلح إعجاز القرآن لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، حيث نشأ هذا المصطلح في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء.

تدويب (4)

تحدى القرآن العرب أن يأتوا بمثله، وأرخص لهم العنان في التحدي ولكنهم وقفوا أمام القرآن موقف العاجز فلم يستطيعوا معارضته، وأي شيء أبلغ في استشارة حمية خصمك من ذلك التقرع البليغ المتكرر الذي توجهه إليه معلناً فيه عجزه عن مضاهاة عملك؟ هذا التحدي وحده كاف في إثارة حفيظة الخصم لتجعله يدافع عن نفسه، خاصة إن هذا العمل الذي تتحده هو صناعته التي يفاخر بها، ومع ذلك فإن العرب رأوا أن لا يقارعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالحروف، فصارعوه بالسيوف ولجأوا إلى وسائل كثيرة لمقاومته باللطف أو بالعنف، فأغروا النبي صلى الله عليه وسلم بالمال، وتواصوا على مقاطعته وحبسه ومنعوا صوت القرآن أن يخرج من دور المسلمين خشية أن يسمعه أحد أبنائهم وألقوا فيه الشبهات والمطاعن فقالوا كاهن أو مجنون، أو ساحر ليصدوا عنه الآخرين، وكل هذا لأنهم أحسوا في القرآن قوة غلبة وتياراً جارفاً يريد أن يبسط سلطانه حيث يصل، وأنهم لم يجدوا سبيلاً لمقاومته من طريق المعارضة الكلامية، فكان الطريق الوحيد الحيلولة بين القرآن وبين الناس.

تدويب (5)

شروط المعارضات:

1- أن يأتي المعارض بكلام جديد وألفاظ جديدة.

2- أن يأتي بمعنى بديع.

وما جاء به مسيلمة وغيره لا يمكن أن يسمى معارضات، لأنه جاء لآيات القرآن وبدل كلمة مكان كلمة ورقع ولفق، وجاء بالألفاظ غير صحيحة، ومعاني غير مفهومة، ونظم غير مترابط.

تدويب (6)

شروط التفسير العلمي لآيات القرآن:

1- موافقة اللغة العربية موافقة تامة.

- 2- عدم مخالفة الصحيح المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم.
- 3- موافقة سياق الآيات.
- 4- عدم التعرض في التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات.
- 5- أن لا يكون التفسير حسب نظريات وهمية متداعية، بل لا بد أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة.

8. مسرد المصطلحات

إعجاز القرآن : هو عجز الناس عن الأتيان بمثل القرآن.

الكرامة : هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد أحد أوليائه الصالحين.

التحدي : إظهار القرآن ودعوى النبي صلى الله عليه وسلم عجز العرب عن أن يأتوا بمثله.

التفسير العلمي : تفسير الآيات القرآنية حسب ما توصل إليه العلم الحديث، شريطة عدم مخالفة اللغة أو المأثور أو السياق، وشريطة تفسير القرآن بالحقائق

وليس النظريات.

الإعجاز التشريعي : حديث القرآن عن التشريعات، وبيان أنها فاقت غيرها من التشريعات البشرية عند المقارنة بين ما جاء به القرآن، وما جاءت به الشرائع الأخرى.

الإعجاز الغيبي : حديث القرآن الكريم عن كثير من الحقائق التي لم تكن مما يعرفه الناس سواء كانت أموراً ماضية أو مستقبلية لم تحدث بعد، فتحدث كما أخبر القرآن عنها.

الإعجاز التاريخي: هو حديث القرآن الكريم عن الأمم الماضية، أحوالها وأمورها وحديثه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.



- 1- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمدهارون- الطبعة الثانية- مطبعة الحلبي، القاهرة 1389هـ / 1989م.
- 2- أبو دقيقة، الأستاذ محمود، القول السديد في علم التوحيد.
- 3- أبو زهرة، الشيخ محمد، المعجزة الكبرى.
- 4- البار، د. محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والأسلام.
- 5- التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد.
- 6- الحمصي، نعيم، فكرة إعجاز القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة 1400هـ.
- 7- الخطابي والرماني والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق د. محمد زغلول سلام ود. محمد خلف الله، دار المعارف، بيروت.
- 8- دراز، د. محمد عبدالله، النهأ العظيم، مطبعة السعادة بمصر.
- 9- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاتي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة 1381هـ / 1967م.
- 10- الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة التاسعة سنة 1393هـ .
- 11- العابري، الأستاذ رشيد رشدي، بصائر جغرافية.
- 12- عباس، د. فضل حسن، إعجاز القرآن، عمان.
- 13- الغواي، د. حامد، بين الطب والأسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، القاهرة 1967م.
- 14- الهمداني، القاضي عبدالجبار، المغني في أهواب العدل والتوحيد .

الوحدة الثانية

دراسات لأهم المؤلفات في إعجاز القرآن

محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
--------	---------

55	1. المقدمة
55	1.1 التمهيد
55	2.1 اهداف الوحدة
56	3.1 أقسام الوحدة
57	4.1 القراءات المساعدة
57	5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة
58	2. المؤلفات القديمة في الإعجاز
58	1.2 توطئه
59	2.2 رسالة الرماني: النكت في إعجاز القرآن
59	1.2.2 وجوه الإعجاز عند الرماني
60	2.2.2 تعريف الرماني للبلاغة
60	3.2 بيان إعجاز القرآن للخطابي
62	1.3.2 وجوه إعجاز القرآن عند الخطابي
62	2.3.2 ما اختاره وجهاً للإعجاز
63	3.3.2 لم تعذر على العرب الأتيان بمثل القرآن
63	4.3.2 شبهات حول إعجاز القرآن
67	5.3.2 الإعجاز الروحي أو النفسي
67	6.3.2 مقارنة بين رسالتي الخطابي والرماني
69	4.2 كتاب إعجاز القرآن للباقلاني
69	1.4.2 توطئة
69	2.4.2 وجوه إعجاز القرآن عند الباقلاني
70	3.4.2 بيانه لنظم القرآن البديع
74	4.4.2 مقارنة بين آراء الباقلاني والخطابي والرماني في الإعجاز
75	5.2 عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم
75	1.5.2 توطئة
76	2.5.2 عناصر الكلام

77 3.5.2 معنى النظم
79 4.5.2 ما ضمنه كتاب الدلائل
80 1.4.5.2 رده على أنصار اللفظ
81 2.4.5.2 القواعد التطبيقية لنظرية النظم
85 3.4.5.2 وجوه الإعجاز عند عبد القاهر
88 5.5.2 تطبيق الإمام الزمخشري لنظرية النظم
93 3. المؤلفات الحديثة في الإعجاز
93 1.3 توطئة
94 2.3 إعجاز القرآن للرافعي
94 1.2.3 وجوه الإعجاز عند الرافعي
97 2.2.3 موقف الرافعي من القول بالصرفة
99 3.3 الدكتور محمد عبد الله دراز وكتابه النبأ العظيم
99 1.3.3 توطئة
101 2.3.3 الإعجاز اللغوي
102 1.2.3.3 إبطاله للصرفة
103 2.2.3.3 النظام الصوتي في القرآن
104 3.3.3 ميادين الإعجاز البياني في القرآن ومراتبه
104 1.3.3.3 القرآن في قطعة قطعة منه
108 2.3.3.3 القرآن في سورة سورة منه
108 3.3.3.3 طريقة القرآن في الجمع بين الآيات
110 4.3 الاعجاز القرآني عند سيد قطب
110 1.4.3 توطئة
110 2.4.3 إعجاز القرآن عند سيد قطب
111 1.2.4.3 الإعجاز البياني (الكلمة القرآنية)
112 2.2.4.3 مميزات الأسلوب القرآني وخصائصه
113 3.4.3 نظرية التصوير الفني
114 1.3.4.3 خصائص التصوير الفني
119 2.3.4.3 القصة في القرآن

122 5.3 بنت الشاطي: والإعجاز البياني في القرآن
122 1.5.3 توطئة
123 2.5.3 رأيها في الإعجاز
123 1.2.5.3 فواتح السور
125 3.2.5.3 دلالات الألفاظ
127 6.3 موريس بوكاي
127 1.6.3 توطئة
128 2.6.3 قضية خلق السماوات والأرض
130 3.6.3 الفلك
135 4. الخلاصة
136 5. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية
137 6. إجابات التدريبات
141 7. مسرد المصطلحات
142 8. المراجع

١٥٥
٥٩
١

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد فإن الدارس لإعجاز القرآن الكريم ، يلزمه أن يتعرف إلى ما سطره وكتبه علماؤنا قديماً وحديثاً ، إذ لا غنى لدارس الإعجاز من العودة إلى كتب التاريخ ، إذ أن الأوائل وضعوا البذور لهذا العلم ، وظلت تلك البذور تنمو وتترعرع مع مجيء كل إمام ، فهو يبني على ما جاء به من قبله ليأتينا بجديد يضيفه إلى هذا العلم .

لذا كان لا بد لنا- أخي الدارس، أختي الدارسة-في هذه الوحدة من دراسة مؤلفات العلماء القدامى وكذلك علماؤنا المحدثون، الذين سطرت أقلامهم كتباً في الإعجاز، متناسبة مع العصر من حيث الموضوعات ومن حيث الأسلوب، وقد جاءت هذه الوحدة في قسمين، القسم الأول ويتضمن دراسة للمؤلفات القديمة ، والقسم الثاني دراسة للمؤلفات الحديثة .

وقد ضمنا هذه الوحدة تدريبات من صلب المادة العلمية تستطيع الاجابة عليها من خلال قراءة تلك المتأنية للوحدة، وضمناها بعض الأنشطة التي لا بد لك من القيام بها، لتزيد من حصيلتك العلمية . وبعد كل قسم نجد أسئلة للتقويم الذاتي ، عليك الاجابة عليها ، وهذه لن نجد اجابتها في الملحقات الموجودة آخر الوحدة ، لكنك ستجد اجابة التدريبات، لتقارن بينها وبين اجاباتك . نسأل الله أن يوفقنا وإياك لما فيه الخير .



2.1 أهداف الوحدة

- يتوقع منك - أخي الدارس، أختي الدارسة - بعد دراستك لهذه الوحدة وتنفيذك لتدريباتها وأنشطتها أن تصبح قادراً على أن :
- 1- تتعرف إلى وجوه إعجاز القرآن الكريم عند الخطابي .
 - 2- تذكر وجوه الإعجاز عند الإمام الرماني .
 - 3- تتبين وجوه الإعجاز عن الإمام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن .
 - 4- تتفهم نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني .
 - 5- تطبق نظرية النظم على آي من القرآن الكريم .
 - 6- تتبين أن خير من طبق هذه النظرية الإمام الزمخشري في كتابه الكشاف .
 - 7- تقارن بين رسالتي الرماني والخطابي وكتاب الباقلاني.

- 8- تتبين ما جاء في كتاب إعجاز القرآن للامام الرافعي من الحديث حول الكلمة القرآنية والأسلوب القرآني والنظم .
- 9- تتبين ما جاء عن الدكتور محمد عبدالله دراز من حديث حول أسلوب القرآن وخصائصه.
- 10- تتبين المقصود من نظرية التصوير الفني عند سيد قطب .
- 11- تتعرف إلى ما جامفي كتاب الدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي، حول الإعجاز البياني.
- 12- يتبين لك أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي جاء خالياً من الأخطاء والتناقضات وجاء مطابقاً لمعطيات العلم كما ورد في كتاب موريس بوكاي.

3.1 أقسام الوحدة

- تحتوي هذه الوحدة على ما يلي :
- 1- رسالة الخطابي بيان إعجاز القرآن ، وتتضمن : الحديث عن وجوه الإعجاز التي ذكرها، وما اختاره الخطابي وجهاً من وجوه الاعجاز، والشبهات التي أوردت على الإعجاز القرآني ورد الإمام الخطابي لها.
 - 2- رسالة الرماني " النكت في إعجاز القرآن " وتتضمن : وجوه الإعجاز عنده وتعريف الرماني للبلاغة وأقسامها.
 - 3- كتاب إعجاز القرآن، للباقلاني ويتضمن وجوه إعجاز القرآن الكريم عنده .
 - 4- نظرية النظم عند عبد القاهر ، وفيه: المقصود بنظرية النظم، أمثلة تطبيقية لنظرية النظم، من آيات القرآن الكريم، وتطبيق الإمام الزمخشري لنظرية النظم .
 - 5- إعجاز القرآن للرافعي ويتضمن : خصائص أسلوب القرآن عند الرافعي، والنظم عند الرافعي ورد الرافعي للقول بالصرفة.
 - 6- النبأ العظيم ، للدكتور محمد عبدالله دراز، ويتضمن : وجوه الإعجاز عنده، ومراتب الإعجاز البياني . وخصائص أسلوب القرآن .
 - 7- التصوير الفني لسيد قطب: ومعنى التصوير الفني وخصائصه .
 - 8- الإعجاز البياني ، للدكتورة عائشة بنت الشاطي: أسرار الحروف، ودلالات الألفاظ وسر الكلمات . والأساليب وسر التعبير .
 - 9- " الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" لموريس بوكاي.

أخي الدارس، أختي الدارسة :

فدراسة القسم الأول يحقق الهدف الأول والسابع ، ودراسة القسم الثاني يحقق الهدف الثاني والسابع ، أما دراسة القسم الثالث فيحقق الهدف الثالث ، والسابع ، ودراسة القسم الرابع يحقق الأهداف (الرابع ، والخامس ، والسادس) ، ودراسة القسم الخامس يحقق الهدف الثامن ، ودراسة القسم السادس يحقق الهدف التاسع ، ودراسة القسم السابع يحقق الهدف العاشر، ودراسة القسم الثامن يحقق الهدف الحادي عشر أما دراسة القسم التاسع يحقق الهدف الثاني عشر.



4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس، أختي الدارسة : حتى تكون لديك الحصيلة العلمية المتميزة ، لا بد من الرجوع إلى كتب إعجاز القرآن الكريم لتساعدك على تحقيق ذلك ، ولذا ننصحك بقراءة :

- 1- دراز، د. محمد عبد الله ، النبأ العظيم، مطبعة السعادة، مصر .
- 2- عباس، د. فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، عمان .
- 3- قطب، سيد، التصوير الفني.

5.1 ما تحتاج اليه في دراسة هذه الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة:

قبل أن تبدأ الدراسة تأكد بأنك هيأت المكان المريح للدراسة ، ووفرت المصادر والمراجع المناسبة للاستعانة بها عند الحاجة، كما أنه لا بد لك من الإجابة على جميع أسئلة التقويم الذاتي الواردة في هذه الوحدة ، كي تساعدك على الإلمام بهذه المادة العلمية ، وأن تجيب على التدريبات الميثوثة فيها ، وتقارن إجابتك بالإجابة الملحقه في آخر الوحدة ، ولا تنسَ أن تقوم بجميع الأنشطة المطلوبة منك ، وأن تقدمها إلى مشرفك الأكاديمي لكي يقوم بتقويمها والإجابة عن استفساراتك متمنين لك التوفيق من الله.

2. المؤلفات القديمة في الإعجاز

1.2 توطئة

قلنا أخي الدارس، أختي الدارسة، من قبل: إن مصطلح إعجاز القرآن لم يكن معروفاً إلا بعد القرن الثاني، ولا بد أن تعلم أنه لم يصلنا كتاب يحمل هذا الاسم إعجاز القرآن قبل القرن الرابع الهجري، ولكن كانت هناك بعض الإشارات إلى بعض الموضوعات المتعلقة بالإعجاز، وذلك في كتاب معاني القرآن للفراء، وكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، فقد تحدثت عن أسلوب القرآن، والتشبيه، والكناية، والإشارة، والاستعارة، والمجاز، وقضايا التكرار والزيادة.

ومن ذلك ما كتبه الجاحظ، فقد حدثنا في كتبه عن القرآن الكريم من حيث صحة أختياره وجودة سبكه، ويدع نظمه، وقوة حججه، ودحض الشبهات التي يوجهها الملاحدة والحاقدون إلى القرآن الكريم.

وقد حدثنا الجاحظ عن بلاغة القرآن الكريم ونظمه في كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، ويذكر أنه قد ألف كتاباً في نظم القرآن تحدث فيه عن مفردات القرآن وبعض أساليب البيان التي اصطلح عليها فيما بعد بعلم البلاغة، ولم يصل إلينا هذا الكتاب. ونستطيع أن نلخص نظرية الإعجاز عند الجاحظ بما يلي:

الإعجاز عند الجاحظ، بدعة في النفاذ، والمجاز بالصرف

- 1- القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة، ومن حيث نظمه ووصفه، التي تقوم على إبداع في الإيجاز والتشبيه والمجاز.
- 2- القرآن معجز من حيث الصرفة، ولكنها تختلف كثيراً عن تلك التي ذكرها النظام من قبل، ولذا فهو يرد عليه في كتابه نظم القرآن، فأساس نظرية الإعجاز وعمود القول فيه بلاغته أولاً، أما القول بالصرفة فإنما يأتي في المرتبة الثانية، فهو دليل يضاف إلى دليل عجز العرب عن محاكاة القرآن في أسلوبه ونظمه.

وأول ما وصلنا يحمل اسم إعجاز القرآن رسالتان لإمامين أحدهما معتزلي والآخر سني، الأول أبو عيسى الرماني صاحب رسالة "النكت في إعجاز القرآن" والثاني حمد بن محمد البستي الخطابي صاحب رسالة "بيان إعجاز القرآن".

2.2 رسالة الرماني "النكت في إعجاز القرآن"

الإمام علي بن عيسى الرماني أبو الحسن ، إمام من أئمة المعتزلة ، كان إماماً في النحو واللغة والتفسير توفي عام (386 هـ) ، كتب الرماني رسالته إجابة لبعض طلبة العلم ، وقد التزم القول الموجز في هذه الرسالة .

1.2.2 وجوه الإعجاز عند الرماني سرك

بين الرماني أن إعجاز القرآن إنما يظهر من وجوه سبعة :

1- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة : ومعنى ذلك أن العرب تركوا معارضة القرآن مع أن دواعيهم كانت متوفرة ، وكانت حاجتهم لهذه المعارضة شديدة قوية ، بيان ذلك :

أن العرب كان لهم حظ وافر ونصيب وافٍ من القول ، ولقد كانت البلاغة طبعاً فيهم والفصاحة سليقة لهم ، وأعطوا من ذلك ما لم تعطه أمة من الأمم هذا معنى توفر الدواعي . أما شدة الحاجة : فلأن القرآن سفه أحلامهم ، وقوض عبادتهم وكثيراً من عاداتهم ، ولم يبق لهم منفذاً يخرجون منه ، ومع ذلك فلم يعارضوه ، ولو أن إنساناً كان شديد العطش والماء قريب منه وهلك دون أن يشرب الماء فما ذلك إلا لعجزه .

2- التحدي للكافة : وذلك أن القرآن الكريم قد تحداهم في غير موضع ، ولكنهم جنبوا عن منازلته وقعدوا عن مصالوته ومجاولته .

3- الصرفة : ومعناها أن همم العرب قد انصرفت عن معارضة القرآن ، لا لعجز فيهم هم ، ولكن لأمر خارج عنهم .

4- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، وذلك لأن ما أخبر عنه القرآن وقع وتحقق وهذا

من عند علام الغيوب . قال تعالى : وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ

[الأنفال: 7] وقال تعالى : لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِنِينَ مَحْلِقِينَ رِءُوسِكُمْ وَمَقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ [الفتح: 27] وقال تعالى : إِنَّمَا

غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سِيْفِلُونَ [الروم: 1] وقال تعالى :

سيهزم الجمع ويولون الدبر (القر:45) إلى غير ذلك مما أخبر القرآن عنه وتحققت

هذه الأخبار ولم يتخلف منها خبر واحد .

5- تنقض العادة : ومعنى ذلك أن القرآن جاء على وضع لم يألفه العرب ، فلقد عرف العرب الشعر والسجع والخطب والرسائل والمنثور الذي يدور بين الناس ، ولكن الشك الذي جاء عليه القرآن يختلف عن ذلك كله ، فنقض العادة قضية تتعلق بالشكل والقالب ، فمعاني القرآن وضعت في قوالب من اللفظ والنظم ، لم يألفها العرب ثم يعرفوها من قبل لأنها ليست شعراً ولا نثراً .

6- قياسه بكل معجزة : ويشير الرماني إلى أن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كفلق البحر ، وقلب العصا حية ، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، كانت من الأمور الخارقة للعادة المعجزة للناس وكذلك شأن القرآن الكريم .

7- البلاغة : وقد أفاض الحديث فيه رحمه الله ، فذكر أن الكلام البديع تختلف مراتبه ، فمنه ما هو في أعلى طبقة وهو القرآن الكريم ، ومنه ما يكون في الطبقة الوسطى وهو كلام البلغاء شعراً ونثراً ومنه دون ذلك .

2.2.2 تعريف الرماني للبلاغة

عرف الرماني البلاغة بأنها وصول المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، وذكر أن البلاغة تنقسم إلى عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلازم، والفواصل، والتجانس، والتعريف، والتضمن ، والمبالغة ، والبيان .
وما ذكره الرماني كان الأساس الذي اعتمد عليه علماء البلاغة فيما بعد .



نشاط (1)

ارجع إلى رسالة الرماني "النكت في إعجاز القرآن" والمطبوعة ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، وبين المقصود من كل قسم من أقسام البلاغة .

3.2 بيان إعجاز القرآن للخطابي

الإمام حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي ، أبو سليمان ، ولد عام (319هـ) وتوفي عام (388هـ) فقيه ، لغوي ، محدث ، له مؤلفات كثيرة ، منها معالم السنن ، وبيان إعجاز القرآن ، وإصلاح غلط المحدثين .

بدأ الخطابي رسالته بإثبات عجز العرب عن أن يأتوا بمثل القرآن ، وبين أن تلك قضية مسلمة من مسلمات التاريخ ، فالقرآن فحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأصحاب الرياسة في الكلام والقول ، وأصحاب القوائد والخطب ، ولكنهم تركوا ذلك كله وهو الأيسر لهم والأسهل عليهم ، وعمدوا إلى ما هو أشق وأصعب عليهم ، وهو المنازلة والمحاورة ، فلقد تركوا رصف الحروف إلى مقارعة السيوف ، وليس ذلك إلا لعجزهم وقصورهم ، فما مثلهم إلا كمثل من كان شديد الظمأ والماء بجانبه ولكنه هلك من شدة العطش ، ومن هذا حاله لا يكون كذلك إلا لعدم قدرته على تناول الماء .

1.3.2 وجوه إعجاز القرآن عند الخطابي ~~وهم حاهر~~

أشار الخطابي إلى وجوه إعجاز القرآن التي كانت مشتهرة في زمنه ، ولكنه ردها كلها واختار وجهاً واحداً لإعجاز القرآن ، وهذه الوجوه هي :

الأول : القول بالصرفة ، ومعنى ذلك أن الله تعالى قد صرف همم العرب عن الاتيان بمثل القرآن الكريم ، وهو يرد هذا القول بالقرآن نفسه ، فقد قال سبحانه وتعالى : قُلْ لِّبِنِ

أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء : 88) ، وهذه الآية تثبت أن القوم قد أرخي لهم العنان

ووسع عليهم في المعارضة ، ومنحوا القدرة على التعاون فيما بينهم ، فهل يعقل بعد ذلك أن يسلبهم الله القدرة على الاتيان بمثله ؟

القول الثاني : الإخبار بالغيب : يرى بعضهم أن القرآن معجز بما فيه من أخبار الغيب ، ولكن الخطابي يرى أنه وإن كان هذا الوجه صحيحاً يدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه ليس عاماً في القرآن الكريم كله ، وذلك أن أخبار الغيب إنما توجد في بعض سور القرآن ، والقرآن حينما تحداهم ، تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، أي سورة كانت سواء كانت مشتملة على أنباء الغيب أم لم تكن ، فهذا الوجه ليس عاماً ولذا لا بد من البحث عن وجه عام ينتظم القرآن الكريم كله .

القول الثالث : البلاغة : فقد قالوا إن القرآن الكريم معجز ببلاغته ، ولكن أصحاب هذا القول لم يحددوا هذه البلاغة ، ولم يضعوا لها قواعدا وضوابطها ، بل اكتفوا بالقول انهم حين يسمعون القرآن يحسون في أنفسهم أن له بلاغة لا توجد في غيره فهم - إذن -

يرجعون البلاغة إلى الذوق وحده دون أن تكون له قواعد وضوابط وأسس ، والذوق وحده لا يصلح وحده لتبني عليه قضية الإعجاز .

2.3.2 ما اختاره وجها للإعجاز

إذا كان الخطابي قد رد هذه الأوجه كلها ، فما هو الوجه الذي اختاره ، الذي كان لأجله القرآن معجزاً، يقول الخطابي: بأنه قد استقرأ جميع الأرصاف والأسباب الخارجة عن القرآن، فلم يجد سبباً صالحاً من أجله تبرأ القرآن هذه الرتبة العليا، لذا لا بد أن يكون السبب كامناً في القرآن نفسه، مستمداً منه ، وهو يرجع إلى أجناس الكلام، وأجناس الكلام - كما يراها -

1- البليغ الرصين الجزل .

2- الفصيح القريب السهل .

3- الجائز الطلق الرسل .

وذلك أن المخاطبين ليسوا سواء فمنهم الحضري الذي هذب لسانه ، ومنهم سكان البادية الذين أكسبتهم البداءة قوة ورياسة ... وعليه فاسلوب التقرير لا بد له من كلمات قوية، تفرع القلوب، وترتجف لها النفوس وترتج من سماعها الأئدة . أما أسلوب التأنيس والإطماع فلا بد له من الكلمات الرقيقة التي تتدفق عذوية وحيوية، وهناك مرتبة وسط بين هاتين، فالنوع الأول هو البليغ الرصين الجزل ، والجزالة هي القوة ، وأصله من قولهم. خطب جزل إذا كان قوياً لا تأكله النار بسهولة ويسر. والنوع الثاني هو الفصيح القريب السهل - كما سماه الخطابي، والنوع الثالث هو الجائز الطلق الرسل، وهو وسط بين القسمين، ولما كانت الفخامة ناشئة عن القوة. وكانت العذوية ناشئة عن السهولة كانا كالمتضادين، لأن الفخم القوي لا يتفق مع السهل السلس.

وبلاغة القرآن - كما يقول الخطابي - اشتملت على هذه الأنواع الثلاثة، وهذا صحيح فأنت حينما تقرأ في كتاب الله وهو يحدثك عن يوم القيامة، وعما يكون للمكذبين، فانك تجد الكلمات الجزلة القوية، ومثل لك بسورة الحاقة، وحينما تقرأ ما أعد للمؤمنين تجد الكلمات السلسلة العذبة، استمع إلى سورة الإنسان، وفيما بين هذا وذاك تجد الوسط. وربما تقرأ الآيات من كتاب الله تعالى فتجدها اشتملت على الأجناس الثلاثة معاً وليس بعض هذه الثلاثة أبلغ من بعض، بل إن كل واحد في مكانه وسياقه هو آية الحسن. هذا ما يفهم من كلام الخطابي.

3.3.2 لم تعذر على العرب الإتيان بمثل القرآن

أخي الدارس، أختي الدارسة، يبين الخطابي السبب الذي من أجله تعذر على العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهو أنهم لم يحيطوا بجميع ألفاظ اللغة . مفردات وتراكيب هذا أولاً . أما ثانياً ^١ فإن أفهامهم لا تدرك جميع المعاني التي تحمل عليها تلك الألفاظ . وأما ثالثاً ^٢ فليس لهم معرفة تامة بجميع أنواع النظم، والنظم ترتيب الكلمات في الوضع بحيث تكون كل لفظة في محلها اللائق لها الخاص بها، وهذه الأمور الثلاثة، وهي : اللفظ والمعنى، والنظم، هي التي يقوم بها الكلام ، ويصير بها مستأهلاً للبحث، حقيقاً بالعناية، وهكذا يرى الخطابي أن الكلام لا بدله من عناصر ثلاثة :-

- 1- لفظ حامل .
- 2- معنى به قائم .
- 3- رباط لهما ناظم

الكلام عند الخطابي - إذن - ليس لفظاً ومعنى فحسب ، وإنما لا بد لهما من نظم.

4.3.2 شبهات حول إعجاز القرآن

عرض الإمام الخطابي لبعض الشبهات التي وجهها الملاحدة إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ونظمه، ورد هذه الشبهات رداً محكماً، ومن هذه شبهات الملاحدة على ألفاظ القرآن الكريم حيث قالوا أنت ادعيت أن العرب إنما عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن لبلاغته، حيث إن البلاغة هي التي انتظمت أفصح الألفاظ مع أحسن النظم، وأصح المعاني، ولكننا إذا استعرضنا القرآن وجدنا أن ألفاظه مألوفة، وليس في ألفاظه من الغريب إلا النزر اليسير ، أما غالب الألفاظ فيعرفها العرب ، ثم أن فقره وجمله التي تستحق الوقوف والإعجاب، والتي جاءت برسالة مؤثرة قليلة جداً إذا ما قيست بغيرها، فكيف يعجز عنه العرب؟ فنحن لسنا معك في أنهم عجزوا لعدم القدرة، ولكنهم رأوا أن يناجزوه الحروب ويقارعوه بالسيوف، لأن ذلك أجدى من معارضته كلاماً، لأنهم إن فعلوا ذلك فإنه سيرد عليهم وهم بالتالي يردون عليه، وهكذا سيطول الزمان ويذهب فضل أحد الكلامين على صاحبه، وهم يريدون أن يجهزوا عليه في أقصر وقت لذلك لم يعارضوه بالكلام. (الخطابي - ثلاث رسائل، ص 36)

الرد على هذا الاعتراض:

لقد بينا أن بلاغة القرآن لا يمكن مداناتها لأنها جمعت أجناس الكلام، الرصين الجزل، والسهل الجائز، والطلق ^{السهل} الرسل ، وهذا لا يجده في أي كلام آخر ، ثم إنها جمعت أفصح الألفاظ

في أحسن النظم في أصح المعاني . وأنت أيها المعترض أقمت اعتراضك على الألفاظ فقط ، ونحن حينما تكلمنا عن بلاغة القرآن ، لم نتحدث عن الألفاظ وحدها وإنما عن النظم والمعاني كذلك ، حتى لو كان حديثنا عن اللفظ وحده لما كان لاعتراضك معنى ، فإن هذه الألفاظ قد عجز عن معرفتها كثير من الأئمة . وهذا ابن عباس- رحمه الله وهو ترجمان القرآن- ، وآرث علمه - يقول : لا أعرف حناناً ولا غسليين ولا الرقيم وهل في اللغة التفث في شيء من كلام العرب ؟

وإذا كان هذا في الألفاظ فإن الأمر في المعاني أصعب وأشد امتناعاً على القوم ألا ترى كيف شرع قضايا النكاح والطلاق وكيف جعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وكيف كان خبره عن الأمثال والحكم... الخ ما هنالك من قضايا

وإذا كانت قضية المعاني كذلك ، فإن قضية النظم أعسر وأحوج ما تكون إلى الفكر ، فإن ألفاظ القرآن ليست وحدها هي المعجزة .

أما القول بأن ألفاظ القرآن الكريم ليس فيها الغريب، هو أشد سقوطاً وأكثر تهافتاً مما قبله؛ ذلك لأن الغرابة لم يقل أحد إنها دليل الفصاحة ولم تكن في وقت ما دليلاً على البلاغة، بل على العكس من ذلك وجدناهم يمجون الكلمات الغريبة ، ويخرجونها من دائرة القول البليغ يقول الخطابي :

« وإنما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب الذين يذهبون مذاهب العنجهية ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخير له . وليس ذلك معدوداً في النوع الأفضل من أنواعه ، وإنما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن ، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة . وقد يعد من ألفاظ الغريب في نعوت الطويل نحو من ستين لفظة أكثرها بشع شنع ، كالعشنتق ، والعشنتط ، والعنطنط ، والشوقب والشوذب والسلهب ، والقوق والقاق والطوط والطاط ، فاصطلح أهل البلاغة على نبذها وترك استعمالها في مرسل الكلام ، واستعملوا كلمة « الطويل » وهذا يدل على أن البلاغة لا تعباً بالغرابة ولا تعمل بها شيئاً » (الخطابي / رسائل ص 37) .

ومن الشبهات التي ذكرها قول الملاحده:
لا نسلم أن القرآن الكريم جاءت فيه أفصح الألفاظ - كما تزعمون - فإن هناك ألفاظاً ردها أهل المعرفة باللغة ، ويذكر الخطابي طائفة من هذه الألفاظ ويورد اعتراضات المعترضين عليها .

1- قوله تعالى: فَأَكَلَهُ الذُّبُّ ^ط ليرسد الآية 17. والمعتزض يرى أن كلمة أكل ليست فصيحة هنا، والأفصح أن يقال: افترس، لأن الافتراس خاص بالسباع، والأكل عام لا يختص به حيوان دون حيوان .

2- قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ^{سودد} قالوا: لا معنى لكلمة فاعلون، لأننا لا نقول فعل الزكاة، بل نقول أدى الزكاة، ولذلك ينبغي القول والذين هم للزكاة مؤدون.

3- قوله تعالى: أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى آهَاتِهِمْ ^{اصبروا} ^{انضموا} قالوا: ان كلمة امشوا ليست هي الأفصح في مكانها، بل الأفصح امضوا وانطلقوا .

ثم كرر الشيخ -رحمه الله - تعالى يجب عن هذه الاعتراضات ويرد على تلك المطاعن، وإجابات الإمام الخطابي يلحظ فيها القارئ غزارة العلم ، وصفاء الذهن ، وكمال القريحة ، وسعة الاطلاع ، والثقافة اللغوية ، فنراه يرد على الشبهة أولاً رداً محكماً ، يبين فيه دقة اللفظ وملائمته للمعنى ، وهذا منحى بياني ، ولكنه لا يكتفي بذلك ، بل مجده ينتقل إلى اللغة فيستشهد بما جاء من شعر ونثر وهذا منحى لغوي .

وقد يجمع الخطابي بين الاتجاهين -أعني البياني واللغوي - في فهمه وذبه عن الكلمات القرآنية وستجد مصداق ذلك في ردوده رحمه الله .

الرد عليه

1- فأما قوله تعالى " فَأَكَلَهُ الذُّبُّ " ^ط ليرسد: 17] فيبين أن الفرس أصله دق العنق ، ومعناه القتل فحسب، أما الأكل فهو الإتيان على جميع أجزاء الفريسة وأعضائها ، ولو أن إخوة يوسف قالوا لأبيهم إفرسه لطالبهم ببقية أجزائه وهذا ملحوظ بياني .

وينتقل إلى الملحظ اللغوي فيبين أن إسناد الأكل للسبع أمر عرفته العرب ، وكثر في أقوالهم وشعرهم ، من ذلك قول العباس بن مرداس :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضيع

وكقول القائل :

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

وحكي عن بعض الأعراب قوله « أكلوني البراغيث » و« أكل الذئب الشاة فما ترك

منها تاموراً »

2- وأما قوله سبحانه: وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (المرمنن-4) فيرد الخطابي اعتراض المعترض رداً دقيقاً ذكياً مستمداً من دقة العربية، فكلمة الأداء والإعطاء وما يشبهها لا تسد مسد الكلمة القرآنية، لأن الكلمات لا تزيد على أنهم يعطون الزكاة وقد يكون هذا الإعطاء مصحوباً بالكراهية والضيق، ولكن كلمة الفعل تدل على غير هذا، فهي تدل على أن إعطاء الزكاة أصبح سجية فيهم وطبيعة لهم، ذلك أن الفعل - كما يقول الراغب - هو «التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم وقصداً وغير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات». (الاصفهاني، المفردات، ص 382).

وعلى هذا فالمقصود من الآية الكريمة المبالغة في أدائها - الزكاة - والمواظبة عليه حتى يكون ذلك صفة لازمة لهم فيصير أداء الزكاة فعلاً لهم مضافاً إليهم يعرفون به، فهم له فاعلون، وهذا المعنى لا يستفاد على الكمال إلا بهذه العبارة، فهي إذاً أولى العبارات وأبلغها في هذا المعنى. (الخطابي، ص 45).

3- أما قوله سبحانه: أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ (ن-6)، فيرد الخطابي اعتراض المعترضين رداً نلمح فيه دقة الرجل وذوقه الرفيع، فهو دراك للمحة - كما يقولون - بين الفروق الدقيقة بين الكلمات، فالكلمة القرآنية لا يسد غيرها مسداً، فالمشي هو السير الطبيعي، أما المضي والانطلاق ففيهما زيادة انزعاج واستعداد وتأهب، والقوم لا يريدون أن يظهروا بهذا المظهر الذي يدل على كثرة اهتمام في الأمر يدل على ذلك قولهم «وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ» وهو ملحظ نفسي دقيق، أنهم لا يريدون أن يظهروا أمام النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين مظهراً يدل على القلق وعدم التوازن وهو ما تدل عليه كلمتا المضي والانطلاق. وما ذكره الخطابي يتفق وينسجم مع تعبير القرآن، بمثل قوله سبحانه: فَأَنْطَلِقُوا

وَهُمْ يَتَخَلَّفُونَ النِّعَمَ: [23] إنها إجابة تتفق بحق مع الأسرار اللغوية والنفسية، وتدل بصدق على أحوذية الرجل وصفاء ذهنه.

ويذكر بعد ذلك جواباً آخر وكأنه لا يرتضيه كما أرتضى الجواب الأول، ودليل ذلك تصديره له بكلمة "وقيل" وخلاصة هذا الجواب أن كلمة "امشوا" لا يقصد بها المشي المعروف، وإنما المراد منه الاجتماع والاستعداد كأنهم قالوا: لا تعبأوا بقوله ولا يشغلكم عن أعمالكم وتنمية أموالكم فامشوا، أي أعدوا أنفسكم واجتمعوا على نصرته دينكم، ويستدل

له الخطابي بقوله : مشى الرجل إذا كثرت ماشيته ، ويستشهد بقول القائل : " والشاة لا تمشي على الهملج " أي لا يكثر نتاجها . والهملج الذئب .



نشاط (2)

ارجع إلى رسالة الخطابي بيان إعجاز القرآن، واكتب شبهتين من الشبه التي ذكرها مع الرد عليها.



تدريب (1)

اذكر أوجه الإعجاز التي عرض لها الخطابي ، وهل ارتضاها كلها أو جهاً لإعجاز القرآن بين ذلك .

3.2. الإعجاز الروحي أو النفسي

وأخر ما عرض له الخطابي في رسالته الإشارة إلى وجه من وجوه إعجاز القرآن سكت عنه الكثيرون ، وكأنه يعني به الإعجاز الروحي - النفسي - ، حيث يقول : قلت : في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه في القلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه ، إليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب فتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يعدلوا عن رأيهم الأول ، وأن يركضوا إلى مسالمته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً ، (الخطابي / ثلاث رسائل / ص 70) .

6.3.2 مقارنة بين رسالتي الخطابي والرماني

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، كما عرفت الرمانى والخطابى كان كل منهما يعاصر الآخر ، وربما يُظن أن أحدهما أفاد من صاحبه ، أو عوّل عليه ، ولكن بعد التمحيص وجدنا أن لكل منهم مسلماً يختلف عن الآخر ويجمل الفروق بينهما فيما يلي :

- 1- رسالة الخطابي تغلب عليها سهولة العبارة ويسر الأسلوب ، وليس كذلك رسالة الرماني ، وهذا بالطبع يرجع إلى أن الرماني أمتكلم ، والخطابي أديب ، ومعرفة الرماني بقواعد المنطق ومعرفة الخطابي بقضايا النقد والشعر جعلت لكل من الرسالتين لونا خاصاً بها .
 - 2- كان حديث الخطابي في رسالته ألصق بموضوع الإعجاز ، فرسالته كلها حول القرآن. أما الرماني فلقد كان كلامه ألصق بعلوم البلاغة كما عرفنا من قبل ، والأبواب التي ذكرها تأتي في القرآن وفي غيره من عيون الكلام .
 - 3- وضع الخطابي لرسالته مقدمات تحدث فيها عن الإعجاز ، ورد فيها بعض الوجوه التي كانت معروفة في زمانه وبدأ الرماني رسالته بتقرير الجهات التي يراها في إعجاز القرآن .
 - 4- الصرفة وجه من وجوه الإعجاز عند الرماني ، وليست كذلك عند الخطابي .
 - 5- أخبار الغيب لم يرتضها الخطابي وجهاً عاماً من وجوه الإعجاز ، ولكن الرماني عدها وجهاً من وجوه الإعجاز .
 - 6- القالب الشكلي وجه من وجوه الإعجاز عند الرماني ، ومن أجله أنكر أن يكون هناك سجع في كتاب الله ولكن الخطابي لم يعبا بشيء من هذا ، فلقد جعل الإعجاز في فصاحة اللفظ وصحة المعنى ، ووضع الكلمات في موضعها وهو النظم .
 - 7- التقى الرجلان في الحديث عن بلاغة الحذف وغيره من القضايا الأساسية الرئيسة كحسن البيان ، وفصاحة الكلمات ، وإن كان الخطابي أكثر تفصيلاً .
 - 8- كان حديث الخطابي عن المعارضة حديث ذي خيرة بأساليب العرب ، وقضايا الشعر ، وأصول النقد - كما مر معنا من قبل - ولكن حديث الرماني عنها كان حديثاً مقتضباً .
 - 9- ذكر الخطابي وجهاً غفل عنه الناس - كما قال - وهو الإعجاز الروحي - النفسي - .
 - 10- وأخيراً فلقد جعل الرماني أنواع البلاغة من وجوه الإعجاز. ولكن الخطابي لم يذكر شيئاً من ذلك ، وكأنه - وكانني به - لا يرضى لهذه الأنواع من البديع التي شملت فيما بعد مباحث بلاغية متعددة أن تكون من وجوه الإعجاز ، وإن كان من الإنصاف أن نقرر أن الرماني ، لم يجعل الإعجاز في وجه من هذه الوجوه ، وإنما فيها مجتمعة .
- لقد أدت كل من الرسالتين رسالتها ، فكانتا أصلاً بني عليه - فيما بعد - فكانت رسالة الرماني أصلاً لعلماء البلاغة وكانت رسالة الخطابي أصلاً لنظرية الإعجاز والنقد .

4.2 كتاب إعجاز القرآن للإمام الباقلاني

1.4.2 توطئة

الإمام محمد بن الطيب بن محمد ، أبو بكر ، قاض من كبار علماء الكلام ، شيخ من شيوخ الأشاعرة ، إليه انتهت الرياسة في مذهب الأشاعرة وجمع إلى جانب هذا كثيراً من جوانب المعرفة فهو إمام من أئمة اللغة أدباً وشعراً وبلاغة ونقداً ، وكتبه تدل بحق على علو كعبه ورسوخ قدمه وطول باعه ، وسعة اطلاعه وقد ولد عام (338هـ) ، وتوفي عام (403هـ) رحمه الله تعالى .

كتب الإمام الباقلاني إعجاز القرآن وغيره من الكتب الكثيرة ، مدافعاً عن حرمة الدين ، ذاباً عن الكتاب والسنة ، راداً كل ما يجده مما يلقيه خصوم الإسلام من شبهات ، ومما يوحون به من شكوك ، ومما ينفثونه من ترهات وأباطيل ، ومن كتبه غير كتاب إعجاز القرآن ، "التمهيد" ، و"الانتصار" ، ولقد كان - رحمه الله - مع سعة علمه لسناً ، قوي العارضة في الحجاج ، يدل على ذلك سيرته مع خصومه .

ولم يشتهر كتاب في الإعجاز كما اشتهر كتابه ، فلقد ظل هذا الكتاب على مدى القرون السالفة المرجع الوحيد لهذه المادة ، بل ان كثيراً من المختصين بالدراسات القرآنية لم يعرفوا غير هذا الكتاب .

اشتمل كتاب الباقلاني على موضوعات متعددة بعضها جوهرية في قضية الإعجاز وذلك مثل حديثه عن وجوه إعجاز القرآن ، وكون القرآن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتحدي به ، وبعضها بعيد عن قضية الإعجاز لا يتصل بها إلا من سبب بعيد كحديثه عن نقد الشعر وتحليله لكثير من القوائد الشعرية - وذلك كمعلقة امرئ القيس وقصيدة للبحتري - وكموازنته بين أسلوب القرآن الكريم ، وبعض خطب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وللصحابية ولغيرهم رضوان الله عليهم .

وبعضها وسط بين هذا وذاك يتصل بموضوع الإعجاز ، وذلك كحديثه عن السجع ونفيه من كتاب الله تعالى ، كما أن حديثه عن الإعجاز تارة ذا طابع بياني ، وأخرى ذا صبغة كلامية تتصل بنظريات المتكلمين وأساليبهم .

2.4.2 وجوه إعجاز القرآن عند الباقلاني

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، يذكر الباقلاني بأن وجوه الإعجاز كما قال به أصحابه - يعني الأشاعرة - تظهر من جهات ثلاث :

الأول: أخبار الغيب التي أخبر عنها القرآن قبل أن يحدث ، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم وذلك مثل قوله تعالى: الْمَغْلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ

مَنْ بَعْدَ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (الروم: 1-2)

وقوله تعالى: لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ

لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (الفتح: 127).

الثاني: الإخبار عن الأمم الماضية مع أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا يدل على الإعجاز لأن هذه الأخبار الصادقة لا تكون إلا عن عرف التاريخ، واستوعب أنباء الأمم والنبي صلى الله عليه وسلم باتفاق لم يكن شأنه كذلك.

الثالث: نظم البديع . وقد كان الباقلائي أكثر تفصيلاً في هذا الوجه، بل إن كتابه يكاد يكون مبنياً على هذا الوجه وهو كون القرآن بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة ، ولقد ذكر معاني عشرة يشرح بها هذا الوجه .

4.2 3 بيانه لنظم القرآن البديع

ذكر الباقلائي، كما قلنا عشرة وجوه يشرح بها كون القرآن بديع النظم عجيب التأليف

(وهي: السُّطْرُ وَالْقَالِبُ عِيَانِي)

الأول: ما يرجع إلى جملة القرآن، وبيان ذلك: أن كلام العرب يدور بين الشعر والرجز والسجع والنثر المرسل، وبين كلام "موزون مقفى"، وكلام "موزون غير مقفى" وكلام "غير موزون"، وحينما ننظر في القرآن الكريم، نجد جاء على طريقة مغايرة لكل ما عرفه القوم، والباقلاني يعني بهذا الشكل والقالب، فالقالب الذي صبت فيه معاني القرآن، والشكل الذي ركبت فيه كلماته وجه من وجوه الإعجاز، وهذا ما عبر عنه الرماني كما عرفت من قبل بنقض العادة ولذا كانت النتائج التي توصل إليها الرجلان نتائج واحدة، فكل منهما يذكر السجع في كتاب الله لأن السجع عرفته العرب ولذا عقد الباقلائي فصلاً لنفي السجع، وآخر لنفي الشعر عن كتاب الله .



نشاط (3)

ارجع إلى كتاب الباقلائي ، وبين كيف نفى السجع والشعر عن كتاب الله تعالى.

الثاني: ليس للعرب كلام مشتمل على مثل هذه الفصاحة والبراعة ، وهذا يرجع إلى القضية البلاغية في القرآن من حيث أسلوبه وألفاظه وكونه نسقاً واحداً ، فالباقلاني يرى أن القرآن نسق واحد في البلاغة ليس بين آياته تفاوت واختلاف، وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء، فالقرآن على طوله متسار في الفصاحة والبلاغة، وهذا ما لا تجده في كلام الفصحاء والبلغاء، فإذا أخذنا ديوان شعر لأكثر الشعراء إتقاناً فسوف نجد قصائده متفاوتة من حيث بلاغتها؛ فقد يجود الشاعر في قصيدتين أو ثلاث، وكذلك إذا أخذنا القصيدة الواحدة فلن نجد أبياتها سواء، وإنما نجد بيتاً أو اثنين أو ثلاثة هي في القصيدة واسطة عقدها ودرة حلقتها ، وقل مثل ذلك في النثر ، فقد يجود كاتب في مقالة أو مقالتين ، ... لكن القرآن أوله وآخره سواء في بديع النظم وعلو الأسلوب.

الثالث: عجيب نظم القرآن لا يتفاوت ولا يتباين ، ومعنى ذلك أن موضوعات القرآن جميعها على ما بينها من اختلاف لا نستطيع القول أن بعضها أفصح من بعض، فكما أن آيات القرآن لا تتفاوت فكذلك موضوعاته، وهذا أمر لم يعرفه العرب ، فالشاعر لا يستطيع أن يجود في موضوعات متعددة ، قد يجود أحدهم في المدح وآخر في الهجاء، وثالث في الفخر وذلك مثل الفرزدق، وجرير، وقد يجود شاعر في الهجاء وآخر في الغزل والنسيب وثالث في الحكمة ، وقد يجود أحدهم إذا خاف ورهب، وآخر إذا انتشى وطرب، وثالث إذا أعطي ورغب، ومن هنا قالوا أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب. والأعشى إذا طرب.

والقرآن ليس كذلك فعلى الرغم من كثرة موضوعاته فهي في رفعة شأنها سواء من جهة، ومن جهة أخرى وعلى الرغم من الأحوال المتعددة التي كان عليها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهونزول الوحي عليه ، فإن ذلك لم يغير من أسلوب القرآن شيئاً .

وهذا الوجه الثالث يختلف بالطبع عن سابقه ، فقوام هذا الوجه أن القرآن الكريم على تعدد موضوعاته ، إلا أنه أعلى درجات البلاغة، والذي عرف عن الشعراء والكتّاب غير ذلك، فكما أن الشعراء قد يجود كل واحد منهم في موضوع ، فإن الذين يتعاطون النثر كذلك، يجود أحدهم في الخطبة ، وثان في القصة، وثالث في المقال ، أما الوجه الثاني فقوامه أن آيات القرآن كلها من حيث الصنعة البلاغية سواء.

الرابع: كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل، والعلو والنزول، أما القرآن الكريم فمع كثرة موضوعاته التي هي نسق واحد، فإن هناك وجهاً آخر يدل على إعجازه وهوما فيه من جودة وإحكام الرصف، ذلك أن أي بليغ وهو يتكلم في موضوع ويريد الانتقال إلى غيره، نشعر أن هناك عجزاً في الانتقال، فمن تكلم في الشعر عن الغزل مثلاً يصعب عليه الانتقال إلى المدح، وقليل هم الذين لا يشعروننا في النقلة والتكلف، ولهذا عيب على البحري مع جودة شعره ورقة طبعه، عدم تجويده في الانتقال من النسب إلى المديح.

ولكن القرآن يجمع بين المختلف فيجعله مؤتلفاً، وينقلنا من الموضوع الواحد إلى الآخر دون الشعور بهذا الانتقال، خذ سورة العلق فإنه لا يخطر في بالك عند قراءتها أنها نزلت مفرقة وذلك لما تجده بين آياتها من إحكام السبك وجودة الرصف والربط، مع أن الآيات الخمس الأولى هي التي نزلت أولاً، ونزل القسم الآخر بعد سنين، كذلك سورة البقرة التي نزلت في عشر سنين، ومع ذلك نجد أنها من أول آية إلى آخر آية مترابطة متناسقة.

الخامس: أن نظم القرآن وقع موقعاً من البلاغة يخرج عن عادة الجن، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، والدليل على أن الجن عاجزون قوله تعالى:

قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء: 88). والدليل الآخر أنه كانت تروي أشعار تنسب إلى

الجن، ولو نظرنا إلى هذه الأشعار لوجدناها من حيث البلاغة والفصاحة أقل بكثير من بلاغة كلام الإنس، وبما أن الإنس قد عجزوا وكلامهم فاق غيره في الفصاحة والبلاغة، فمن باب أولى أن يعجز الجن عن ذلك.

السادس: كلام العرب فيه من فنون القول والإطناب والاستعارة والتشبيه وغيرها من الأساليب المتعددة كالتبكيك والوعظ، والوعد والوعيد، وحينما ننظر في القرآن نجد فيه هذه الأساليب لكن على وجه لم يستطع العرب، فالقرآن تارة يعبر بالإيجاز، وتارة بالإطناب، وتارة بالاستعارة وأخرى بالحقيقة، ولكن لكل أسلوب ما يناسبه ويتلاءم معه.

السابع: وهو يتعلق بمعاني القرآن، فالمعاني التي جاء بها القرآن لا يستطيع أحد من الناس الإتيان بها، ويعني بالمعاني، الباقلاتي، هنا الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم، وهي الموضوعات الفكرية سواء كانت تلك الموضوعات تشريعية أم عقديّة، وسواء

كانت حجاجاً ورد شبهات، أم حديثاً عن مبدأ خلقي وقضية تربوية ، وهذه المعاني القرآنية مبتكرة؛ لأن كثيراً من موضوعات القرآن كان بكرة ، لم تكن مما عرفه الناس قبل، لا في الكتب السماوية ، ولا في نظريات الفلاسفة ولا في التشريعات القانونية. يقول الباقلاني "وأختيار اللفظ لمعنى متداول معروف بين الناس أمر سهل ميسر ، لكن الأمر الذي فيه صعوبة ودقة وعسر على كثير من الناس هو اختيار الألفاظ لمعان جديدة غير معروفة ولا مألوفة ، وكذلك كان القرآن فمعانيه جديدة اختيرت لها ألفاظ بارعة" . (الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 42) .

وهي لفظة من الباقلاني تستحق التقدير ، فاللفظ والمعنى في كتاب الله ، كلاهما فيه جدة ، وليس ذلك بمتيسر لكثير من الناس ، فالبراعة في اللفظ من شأن الأدباء ، والجددة في المعنى من شأن رجال التشريع والفلسفة والأخلاق.

الثامن: لونظرت في كلام الناس، فلن تجده سواء، فربما وجدت في الجملة أو الفقرة أو الأبيات من الشعر كلمة رائقة تتوجه إليها الأنظار والآذان، وتجذب الأذهان أكثر من غيرها، هذه الكلمة إنما هي درة العقد في الجملة أو الفقرة أو القصيدة، لكن القرآن الكريم ليس كذلك، بل كل كلمة منه إذا وضعت مع غيرها تجدها درة عقد وحلاوة شهد.

يقول الباقلاني " لذلك إذا وضعت الآية القرآنية في كلام كانت هذه الكلمة منادية على نفسها بالروعة ممتازة على غيرها" . (الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 43) .

التاسع: هذه الأحرف المقطعة في فواتح السور التي مجدها في ثمان وعشرين سورة ومجموع هذه الحروف أربعة عشر حرفاً، وهي نصف الحروف الهجائية ، ولكن لكل حرف صفات خاصة به، وصفات الحروف كثيرة ذكر علماء التجويد منها سبع عشرة صفة، فإذا نظرت إلى الحروف المفتوحة بها السور القرآنية وجدت أنها اشتملت على جميع الصفات.



نشاط (4)

ارجع إلى مقررات التلاوة والتجويد التي اعدتها جامعة القدس المفتوحة واكتب منها صفات الحروف التي ذكرها العلماء .

خذ الحروف المهموسة مثلاً ، وهي مجتمعة في قولهم " فحشه شخص سكت " نجد انه قد ذكر نصف هذه الأحرف في فواتح السور ، وهي الحاء ، والسين ، والصاد ، والكاف ، والهاء ، وضد الهمس الجهر .

ومن ذلك صفة الشدة وهي لزوم الحرف لموضعه لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى حبس الصوت عن الجريان معه فكان فيه شدة وحروفه ثمانية جمعت في قولهم أجد قط بكت وهي الهمزة ، والباء ، والتاء ، والجيم والذال ، والطاء ، والقاف ، والكاف ، ونصفها في الأحرف المقطعة وهي " الهمزة ، والتاف ، والكاف ، والطاء . وكذلك لو أخذت صفة الاستغلاء وغيرها من الصفات .

العاشر: إن القرآن مع ما له من بلاغة إلا أنه سهل ميسر ، قريب ليس بالغريب الصعب ، وليس فيه كلام وحشي مستكره ، وليس فيه ما يصعب على النطق ، أو ما تنفر منه النفس وتمجه ، فالقرآن كله سهل ممتنع سبيله ميسر ، وصعبه مفسر ، وهكذا القرآن الكريم نقرؤه ولا نشعر أنه بحاجة إلى تفسير .



تدريب (2)

ذكر الباقلائي أن من وجوه الإعجاز بديع نظمه، وبين هذا من عشرة وجوه بين وجهين من هذه الوجوه.

4.4.2 مقارنة بين آراء الباقلائي والخطابي والرماني في الإعجاز

أخي الدارس، أختي الدارسة: يمكننا المقارنة بين آراء الثلاثة فنقول :

1- يتفق الإمام الباقلائي مع الخطابي في أن الصرفة ليست من وجوه الإعجاز ، ويخالف في ذلك الرماني الذي عدها من وجوه الإعجاز .

2- يتفق الإمام الباقلائي مع الرماني في أن الإخبار بالغيب يصلح وحده أن يكون وجهاً من وجوه الإعجاز ، وهو بذلك يخالف الخطابي الذي يرى بأنه لا يصلح أن يكون وحده وجهاً من وجوه الإعجاز لأنه ليس عاماً كما عرفت .

3- يتفق الإمام الباقلائي مع الرماني في أن القالب الشكلي - وهو ما سماه الرماني بنقض العادة - وجهاً من وجوه الإعجاز ، ويخالف الخطابي في ذلك .

أخي الدارس، أختي الدارسة:

اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يختلف الناس في مواهبهم وقدرهم، ففي مختلف العصور نجد من الناس من هباً الله لهم وسائل الإبداع، فهم يسبقون غيرهم، مما يحمل أبناء عصر كل منهم على الاعتراف لهؤلاء، وقد كان عبد القاهر - رحمه الله - من هذه الصفوة الذين برزوا، فكان ما أنتجه فكره وسطره براعه إبداعاً، اعترف له به المنصفون، وما أبعد الفرق بين الذاكرة الحافظة التي تحفظ أقوال السابقين، وبين العقلية المبدعة المفكرة التي تفيد من السابقين، ولكنها تبرز جديداً يكون مثار الإعجاب، وشغل الباحثين يجدون فيه الجدة والإبداع.

ولعل عبد القاهر كان أقل إنتاجاً من كثير من معاصريه ومن سبقوه، ومن جاؤا بعده، وهذا إذا راعينا الجانب الكمي، لكن الجانب الكمي وحده لا يكفي ولا يغني كبير غناء في كثير من الأحيان.

كان عبد القاهر - رحمه الله - متكلماً أشعرياً، وكان إماماً في اللغة والنحو والأدب والبيان والنقد، وهي معاني يتصل بعضها ببعض، وكان له نتاج جديد منه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجميل في النحو (والمغنى في شرح الإيضاح)، توفي عام (471 هـ).

ويعيننا هنا من كتبه ما يتصل بإعجاز القرآن الكريم، ومن أبرزها الرسالة الشافية، ودلائل الإعجاز، أما الرسالة الشافية فهي جزء صغير عرض فيها لبعض القضايا الأولى التي تتصل بالإعجاز، حيث أثبت عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة منه، وناقش فيها القائلين بالصرفة، كل ذلك بأسلوب قوي متين وقد أشار إلى ذلك في مقدمة رسالته، ولكنه لم يعرض في هذه الرسالة إلى ما يكون به الإعجاز، أما ما يكون به الإعجاز - كما يراه فقد أفرد له كتابه دلائل الإعجاز وهو الذي ضمنه نظريته في النظم.

ولا بد قبل شرح هذه النظرية من أن نعرفك أن الناس كانوا قبل عبد القاهر وفي عصره فريقين: فريقاً شغف باللفظ ورأى أنه هو الأمر الذي يتفاضل فيه الكلام، فكان يجهد نفسه في اختيار الكلمات وتنقيتها.

والفريق الآخر رأى أن الفضيلة للمعنى، وأن الألفاظ هي القوالب التي توضع فيها المعاني، ويجيء عبد القاهر - رحمه الله - ويقف أمام هذين الفريقين: أنصار اللفظ وأنصار المعنى، وبعد أن هضم كثيراً من أنواع المعارف التي كانت في عصره وبخاصة في النحو

والأدب والبيان، وما كتب في إعجاز القرآن يبرز للناس نتيجة لهذه الدراسات كلها نظريته في النظم.

بدأ عبد القاهر حديثه في كتاب دلائل الإعجاز عن أهمية علم البيان وورفعته ومنزلته بين العلوم ، وعن أهمية الأدب والشعر، ناعياً على الذين لا يدركون ما لعلم البيان من فوائد، ولا يقدرّون ما يحدثه الشعر من أثر في النفس ، مكتفين بالوقوف عند ظواهر الأمور ، ليس عندهم إلا التقليد لمن سبقهم ويبين لهؤلاء أنهم ما داموا على هذه الحال ، فلن يستطيعوا أن يتذوقوا كتاب الله ، ولن يدركوا إعجاز القرآن الكريم إدراكاً يقوم على أسس صحيحة وقواعد ثابتة .

2.5.2 عناصر الكلام اللفظ ، المعنى ، النظم

يرى عبد القاهر -رحمه الله- أن الكلام الذي يؤدي الغرض عند المتكلم ، ويكون مقبولاً عند المخاطبين لا بد له من عناصر ثلاثة : - اللفظ والمعنى والنظم ، أما اللفظ فهو هذه الحروف والكلمات التي تنطق بها ألسنتنا ، وتسطرها أقلامنا ، وأما المعنى فهو تلك الأمور التي نجددها في نفوسنا ، ونود أن نعبر عنها ليدركها المخاطبون ، وعلى هذا فالألفاظ قوالب للمعاني ، فالمعنى هو المعبر عنه ، واللفظ هو المعبر به .

فإذا رأيت زهرة فأعجبك منظرها ، أو تأملت واقع أمتنا فساءك حالها ، أو قرأت تاريخ الدول الاستعمارية قديماً وحديثاً ، فاعترت نفسك الدهشة ، هذه كلها معانٍ استقرت في نفسك، فهي تفعل في نفسك فعلها ، فتجد لها آثارها المتعددة المختلفة، وتظل كامنة في نفسك معاني مجردة ، فإذا أردت أن تبثها غيرك من الناس ، وأن تخرجها من داخل جوانحك. وعميق خفاياك؛ وأرجاء نفسك، إذا أردت أن تخرجها لتسمع بها نفسك وغيرك ، فإنك تنطق بها ألفاظاً مكونة من حروف وكلمات.

هذه هي الصلة بين اللفظ والمعنى كما يجدها كل واحد منا من نفسه ، وهذا الذي كان يعرفه الناس في عصر عبد القاهر ومن قبله كذلك، ومن هنا اختلف الناس بين من يشيد باللفظ، أو يشيد بالمعنى.

ولكن عبد القاهر-رحمه الله-لم يقف عند هذين العنصرين، بل رأى أن هناك عنصراً ثالثاً لا بد من مراعاته ، ليؤدي الكلام غرضه صحيحاً مقبولاً ، وهذا الذي أبرزه عبد القاهر ، وجدنا من العلماء قبله من يشير إليه وينبه عليه ، كما عرفت من قبل عند الخطابي ، إلا أن عبد القاهر بلغ الغاية بما بيّن وفصل ، هذا العنصر الثالث الذي لا بد منه هو الذي يسمى النظم، فما هو النظم يا ترى .



تدريب (3)

انقسم الناس في عصر عبد القاهر من حيث نظرتهم إلى الحسن في الكلام إلى فريقين،
هات ما ذكره كل فريق ، مبيناً رأي عبد القاهر .

3.5.2 معنى النظم

يقول عبد القاهر: إن النظم هو توخي معاني النحو ، وبيان ذلك أننا حينما ننطق بالكلمات والجمل، فلا بد من أن تكون مرتبة ترتيباً مقبولاً معقولاً .
الكلمة، كما تعلم اسم وفعل وحرف ، ولا بد من ترتيب صحيح بين هذه الأجزاء ، فلا يمكن أن يكون الترتيب بين حرف وحرف ، لا يمكن أن نقول مثلاً (إن من) ، فإن (إن) كما نعلم حرف شرط، و (من) حرف جر ، ولا نستطيع أن نقول كذلك (هل بل) فإن ذلك ليس له معنى، كذلك لا يجوز الترتيب بين الفعلين، فلا نستطيع أن نكون جملة من قولنا (أخذ مشى) لأن مثل هذه لا تكون جملة مفيدة، وهي مرفوضة كما بينته قواعد النحو .

الترتيب إذن لا بد أن يكون بين اسمين كقولنا (الوحدة قوة) ، أو بين اسم وفعل مثل (ربح المجاهدون) أو يكون هناك حرف يربط بين الأسماء والأفعال كما نقول (يصلي في الأقصى) (نبيع لله أرواحنا) .

هذه اللبنة الأولى في النظم ، وهو أن يكون موافقاً لقواعد النحو ، أما اللبنة الثانية وهي الأهم من سابقتها ، فهي أن يكون هذا النظم دقيقاً ، بحيث ترتب المعاني التي تريدها في نفسك أولاً، ثم تختار بعد ذلك الألفاظ التي تتفق مع هذه المعاني ، وهذا ملحظ دقيق يحتاج منك إلى حضور نفسك ، وحضور فكر وجدبة وبقظة ، والله المستعان ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن سهلاً إذا شئت .

كثيرة تلك المعاني التي مجدها في نفوسنا، ولجد أنفسنا مضطرين أن نعبر عنها بألفاظ يفهمها المخاطبون، قد يسألك أستاذك عن حفظ سورة البقرة وسورة آل عمران، وهما الزهراوان كما جاء في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيماذا تجيب يا ترى إذا كنت لم تحفظ إلا سورة البقرة ؟ يمكنك أن تقول " حفظت سورة البقرة " ويمكنك أن تقول " سورة البقرة حفظت " .

وقد يسألك آخر " هل حفظت سورة البقرة ؟ " يمكنك أن تجيب كذلك بالجمليتين السابقتين:

(حفظت سورة البقرة) ، (سورة البقرة حفظت) ولكن أمعنى ذلك أن الجمليتين سواء ؟ .

١٢ فقط

سورة البقرة

قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد أن ننظر إلى المعنيين في أنفسنا ، أهما سواء أم بينهما اختلاف ؟ سنجد أن المعنيين يختلفان ؛ لأن السؤال الأول كان عن حفظ السورتين معاً ، والذي قررته في نفسي أنني لم أحفظ إلا سورة البقرة ، وهذا الذي أريد أن أتلفظ به ، أما السؤال الثاني فهو هل حفظت سورة البقرة ؟ والجواب أنني حفظتها ، وهذا الذي أريد أن أُخبر به السائل .

إذن هناك اختلاف بين المعنيين في نفسي ، وإذا كان هناك اختلاف بين المعنيين ، فلا بد أن ينتج عنه اختلاف بين اللفظين ، وعلى هذا فالإجابة الصحيحة عن السؤال الأول " سورة البقرة حفظت " وعن السؤال الثاني " حفظت سورة البقرة " .

نحن نرى أن اللفظ واحد في كلتا الجملتين ، لكن الذي اختلف النظم ، أعني ترتيب الكلمات ، قلنا في الجواب الأول (سورة البقرة حفظت) فقدمنا المفعول على الفعل ، فإن هذا التقديم يفيد القصر والاختصاص ، ومعنى هذا أنني لم أحفظ إلا هذه السورة ، فلم أحفظ سورة آل عمران ، أما الجملة الثانية (حفظت سورة البقرة) فإن هذا هو الذي يتسق مع السؤال ، ولا يدل على أنني لم أحفظ غير هذه السورة .

وهكذا ندرك أنه إذا اختلف المعنى الذي نريد أن نعبر عنه فلا بد أن يختلف اللفظ الذي نريد أن نعبر عنه .



تدوين (4)

أخي الدارس ، أختي الدارسة فرق بين قولك (حفظت سورة البقرة) و (سورة البقرة حفظت) .



وإليك مثلاً آخر:

قد تذهب لزيارة صديقك سعيد في أيام الامتحانات ، فينكر عليك والداك هذه الزيارة فيقولان (أتزور سعيداً) ويمكن أن يقال أيضاً (أسعيداً تزور ؟) .

الجملتان سواء من حيث اللفظ ، ليس في أحدهما زيادة على الأخرى ، ولكنهما اختلفتا من حيث النظم ، التقديم والتأخير ، وعلى هذا لا بد أن يكون لكل منهما معناها الخاص بها ، فإذا كان إنكار والديك عليك زيارة سعيد ، لأن الوقت غير مناسب ولأن الظرف هو ظرف

الإمتحانات، لا يجوز أن تضيع وقتك بالزيارات فيجب أن تكون الجملة هكذا (أتزور سعيداً)؟.

أما إذا كان إنكارهم لزيارتك لأنهما لا يريدان أن تكون علاقة بينك وبين سعيد لسبب ما، فيجب أن يكون نظم الجملة هكذا (أسعيداً تزور ؟) . فالإنكار في الجملة الأولى توجه إلى الزيارة نفسها ، لأنها في وقت غير مناسب ، أما في الجملة الثانية فقد توجه الإنكار لا إلى الزيارة ، بل إلى المفعول ، كان سعيد ليس حرياً بهذه الزيارة . وذلك بقطع النظر عن الوقت وملائمته .

وهكذا نرتب المعنى الذي نريد أن نتحدث عنه ، ثم نرتب الألفاظ التي نريد أن نعبر بها، وهكذا ندرك ما تقدم ، أن النظم لا بد له من عمليتين اثنتين .

أولاً : ترتيب المعاني في النفس .
ثانياً : ترتيب الألفاظ في النطق .

وندرك كذلك أن النظم شيء غير اللفظ والمعنى ، وندرك أن هناك فرقاً كبيراً بين قولي (أعني فلاتاً) وأن أقول (إياك أعني) فإن معنى الجملة الأولى أنني أعنيه وقد أعني غيره ، أما الجملة الثانية فمعناها أنني أوجه العناية له وحده .

وهناك فرق بين قولي " لا ضجة في الحجرة المجاورة " ، و " ليس في الحجرة المجاورة ضجة " ، فإن معنى الجملة الأولى نفى الضجة من الحجرة، أما الجملة الثانية فتفيد أمرين اثنين . أولاً : ما أفادته الجملة الأولى من نفى الضجة من الحجرة .
ثانياً : إثبات الضجة في حجرتنا أو في حجرة أخرى .

هذا هو النظم الذي عناه عبد القاهر - رحمه الله - (ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس) .



تدوين (5)

عرّف المقصود بالنظم عند عبد القاهر - رحمه الله - ممثلاً بمثال .

النظم نظم معنى نظم ترتيب الألفاظ في نظم حسب نظم معنى نظم جميعاً

4.5.2 ما ضمنه كتاب الدلائل

وقد حرص الجرجاني في كتاب دلائل الإعجاز على توضيح أمرين اثنين :

أولاً : الرد على الذين يزعمون أن الفضيلة للألفاظ وحدها .
ثانياً : الفصول التطبيقية التي ذكرها شرحاً لنظريته .

1.4.5.2 رده على أنصار اللفظ

أخي الدارس، أختي الدارسة، رد عبد القاهر على أنصار اللفظ بما يلي :

1- إنه لو كانت الفصاحة للفظ وحده، أي من حيث هو لفظ ، لكان ينبغي أن لا تفارقه الفصاحة في أي موضع ، والأمريسي كذلك ، فكم من كلمة تغنى الأدياء بفصاحتها في موضع ولكنهم استرذلوها في مواضع أخرى ، كم من كلمة حسنت في بيت من الشعر ، ولكنها قبحت في آخر . (المرجاني / دلائل الإعجاز / ص 401) .

2- الناس ليسوا سواء في تذوق فصاحة الكلمات، فلو كانت الفصاحة صفة للكلمة، لما جاز أن تفارقها أبداً ، فهي صفة لا تدرك بالسمع، وإنما تدرك بالقلب، ونحن نعلم أن المعاني هي التي تدرك بالقلوب وليست الألفاظ، أما قولهم كلام فصيح، فإنما يقصدون به أنه متلائم مع المعنى الذي جيء به من أجله . (المرجاني / دلائل الإعجاز- ص 407) .

3- لو كانت الفصاحة للألفاظ وحدها لما كان هناك فرق بين الجمل المتفقة في الكلمات ، المختلفة في النظم ، مع أننا رأينا كثيراً من الفروق في الأمثلة التي ذكرناها من قبل فما أعظم الفرق بين قولنا (حفظت سورة البقرة) و (سورة البقرة حفظت) و (إياك أعني) و (أعنيك) و (الحمد لله) و (لله الحمد) .

ولكن هل معنى ما ذهب إليه الجرجاني انه ينكر أن تكون هناك لفظة أفصح من لفظة، ونحن نجد أن هناك ألفاظاً لها خفة على اللسان وخفة على الآذان ولا نجد لها في ألفاظ أخرى، وذلك مثل لفظة (السيف) ولفظة (الخنشليل) ولفظة (النفس) ولفظة (الجرشي) و (الغصن) و (العسلوج) فلا شك في أن السيف أفصح من الخنشليل ، والنفس أفصح من الجرشي؟ فهل ينكر عبد القاهر هذا ؟ .

والجواب عن ذلك : أن عبد القاهر لا ينكر أن تكون الألفاظ المفردة بعضها أفصح من بعض، لكن حديثه هنا عن الكلمات المجموعة ، فهو لا ينكر أن للكلمات المفردة خفة أو ثقلاً، وأن بعضها من هذه الحيشية خير من بعضها الآخر.

يقول - رحمه الله - والجواب وبالله التوفيق أن يقال للمحتج بذلك : قولك : إنه يصح أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين يحتمل أمرين :

الأول: أن تريد باللفظتين كلمتين معناهما واحد في اللغة مثل "الليث" و "الأسد" ومثل "شحط" و"بعد" وأشبه ذلك مما وضع اللفظان فيه لمعنى .

الثاني: ان تريد كلامين فإن أردت الأول خرجت من المسألة ؛ لأن كلامنا نحن في فصاحة
تحدث من بعد التأليف ، دون الفصاحة التي توصف بها اللفظة مفردة ، ومن غير أن
يعتبر حالها مع غيرها . (المرجاني / دلائل الإعجاز ص 422) .

فالشيوخ - رحمه الله - إذن لا ينكر أن بعض الكلمات أفصح من بعض من حيث
خفتها وجرسها وهذا لا شأن له بالنظم ؛ لأن النظم لا يكون في الكلمة الواحدة ، وإنما النظم
ضم بعض الكلمات إلى بعض وفصاحة هذا النظم هي التي يتحدث عنها الشيخ ويرى أنها
ترجع إلى المعنى .

2.4.5.2 القواعد التطبيقية لنظرية النظم

القواعد التطبيقية التي ذكرها لشرح نظريته كثيرة ، عقد لها فصولاً مثل : التقديم
والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، والتأكيد ، والفروق بين الخير ، والإنشاء ،
والقصر ، والفصل والوصل ، إلى غير ذلك من فصول ، وفي هذه الفصول كلها يذكر تطبيقات
عملية من آي القرآن الكريم ، ومن الشعر الجيد ليبرهن على أن النظم هو الذي يرجع إليه
فضل الكلام .

سبح لله الذي جعل الكلام

ففي التقديم والتأخير مثلاً : يشير إلى قوله سبحانه: قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ [الأنبياء: 62] . حيث قدم (أنت) على الفعل (قالوا أنت فعلت)
حيث جاء نظم الآية هكذا ولم يقدم الفعل فيقال (أفعلت هذا) وسر ذلك كما يرى عبد
القاهر أننا نقدم ما هو مشكوك فيه ، أما الأمر المتيقن فلا يجوز أن نقدمه . فإذا كان الشك في
الاسم قدمناه ، وإذا كان الشك في الفعل قدمناه ، فإذا سمعت قصيدة من أحد الناس وأنا لا
أعرف أهي من شعره أم شعر غيره ، فلا يجوز أن أقول له (أقلت هذه القصيدة ؟) لأن القول
مفروغ منه ، وإنما يجب أن أقول (أنت قلت هذه القصيدة ؟) لأن هذا هو الأمر المشكوك فيه
أقالها هو أم غيره ؟ .

وإذا جلست في بيت أحد الناس فلا يجوز أن أقول (أينيت هذا البيت ؟) لأن البناء
قد تم ، وإنما أقول له (أنت بنيت هذا البيت ؟) .

ونستطيع أن نفهم الآية الكريمة على هذا النحو . فالأصنام قد حطمت ، ولكنهم يريدون
أن يقرروا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بتحطيمها ، فجاء نظم الآية هكذا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ .

وأما التعريف والتنكير فيمثل عبد القاهر بقول الله تعالى حديثاً عن اليهود

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ^{البقرة: 96} ولم يقل الحياة ، حيث يفيد التنكير أن اليهود يحرصون على الحياة أياً كانت ذليلة حقيرة فيها هوان وصغار .

وفي الفصل والوصل بين عبد القاهر إذا كان هناك جملتان ، وكانت الثانية متصلة بالأولى اتصالاً وثيقاً ، كان تكون تأكيداً أو بدلاً وجب فصلها عن الثانية ، ومعنى الفصل ترك العطف بالواو ومثل لذلك بقوله سبحانه وتعالى: الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ البقرة: 1-2 حيث جاءت كل جملة من هذه الجمل غير معطوفة على سابقتها ، لأن بينها اتحاداً في المعنى ، فقد قال سبحانه وتعالى " ذَلِكَ الْكِتَابُ" وهذا فيه ما فيه من تعظيم للقرآن ، ثم زاد من تعظيمه فقال " لا ريب فيه " ، وهذه تفيد ما أفادته الجملة الأولى ، كأنه قال " ذلك الكتاب " ولذلك وجب الفصل بين هذه الجمل .

أما في قوله: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ فإن هذه الجملة جاءت إجابة عن سؤال مقدر في ذهن

القارئ ، فلما قال: ذَلِكَ الْكِتَابُ كان سؤالاً خطر في ذهن القارئ ، ما بال هذا الكتاب؟ وماذا فيه؟ فقال " هدى للمتقين" وهذا يسمى الاستئناف البياني .

ومن ذلك قوله تعالى: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ صَوْرَ أذُنَيْهِ وَقَرَّ أَلْصَانُ (7) لم تأت جملة ، كان معطوفة فلم يقل " وكان في أذنيه وقرأ " لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع ، إلا أن الثاني أبلغ وأكد في الذي أريد وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعاً أن ينفي أن يكون لتلاوته ما تلي عليه من الآيات فائدة معه^{الدلائل ص 228} .

وكذلك قوله سبحانه: مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^{البرق: 31} حيث جاءت الجملة

الثانية إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ مفصلة غير معطوفة؛ لأن كونه ليس بشراً ، ليس له معنى غير أنه ملك ، ألا ترى أننا إذا قلنا (إنها تقية ، إنها تؤدي الصلوات ، إنها تلبس الجلباب) لا يجوز أن نعطف هذه الجمل بعضها على بعض لأن العطف يقتضي التغاير ، وكونها تؤدي الصلاة ، وكونها تلبس الجلباب لا يختلف هذا أو ذاك عن كونها تقية ، ولو قيل (إنها تقية

وإنها تصلي) لكانت الصلاة شيئاً غير التقوى، والأمر ليس كذلك ، أما قولنا إنها تقية وإنها تحسن الطهي، وإنها تجيد الخياطة، فلا بد من العطف بين هذه الجمل؛ لأن كلاً منها مختلفة عن صاحبها.

١١
 مما يوجب الفصل وترك العطف: الاستئناف، ويقصد منه الجرجاني الاستئناف البياني، وذلك بأن تأتي الجملة إجابة عن سؤال مقدر في ذهن القارئ، ومن ذلك قوله تعالى:

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْكَ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ
 فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ

الآيات: 24-28، فقد جاء - كما قال الجرجاني - على ما يقع في العرف والعادة في أنفس المخلوقين من السؤال ، فهم إذا قيل لهم دخل قوم على فلان فقالوا كذا ، فهم يقولون " فما قال لهم ؟ " فيأتي الجواب قال كذا .

وهنا لما قال سبحانه "فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ... " كأنه خطر في الذهن سؤال فما قال حين وضع الطعام بين أيديهم ، فأتى الجواب " قال ألا تأكلون " .

وكذلك لما قالوا: قَالُوا لَا تَخَفْ عندما أوجس منهم خيفة ، كان سؤالاً خطر في الذهن:

فما قالوا حين رأوه وقد تغير ودخلته الخيفة فقبل: قَالُوا لَا تَخَفْ . [اللائل: ص 240] .

ومن ذلك قوله تعالى: قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ

قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ العبر: 57-58) فكانهم قالوا " فما قال له الملائكة لمأسألهم هذا السؤال فقبل قالوا: قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ .



نشاط (5)

ارجع إلى كتاب دلائل الإعجاز في موضوع الفصل والوصل، واذكر ثلاثة أمثلة أخرى مما ذكره الجرجاني.

وفي أسلوب القصر بين سر النظم في آيات كثيرة مثل قوله سبحانه: إِنَّمَا يَعْمُرُ

مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَأَيُّومِ الْآخِرِ ^{الآخرة: 18} وقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ^{الرعد: 40} وقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ^{الحجرات: 10}

لِرَسُولٍ فمعنى إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَأَيُّومِ الْآخِرِ أي إن المؤمنين وحدهم

هم الذين يعمرون مساجد الله لا غيرهم ، فلو قيل " إنما يعمر المؤمنون مساجد الله " لكان
المعنى أن المؤمنين يعمرون المساجد ولا يعمرون شيئاً آخر ، فلا يعمرون البيوت ولا المدارس
ولا المستشفيات ، وهذا غير صحيح .

وقوله سبحانه " إنما عليك البلاغ " معناه عليك البلاغ فحسب ، أما غيره من الحساب
فهو لله وحده ، ولو قال إنما البلاغ عليك ، لكان معناه أنك تبلغ دعوة الله وحدك ، ولا يجوز
لأحد غيرك أن يبلغ هذه الدعوة ، وهذا ليس صحيحاً لأن المؤمنين جميعاً عليهم واجب
التبليغ .

وهذا قوله إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ معناه أن أعظم علامات الإيمان الأخوة ، فالمؤمنون
أخوة لا متقاطعون ولا متدابرون ، ولو قيل إنما الأخوة المؤمنون ، لكان المعنى أن رابطة
الأخوة لا تكون إلا بين المؤمنين وحدهم ، وهذا غير صحيح ، فإن الأخوة رابطة قد تكون بين
المؤمنين وقد تكون بين غيرهم .

مَعْرِفٍ وَأَخْبِرَ مَعْرِفٍ
ومن ذلك قوله تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ^{طاهر: 28} فقد تقدم لفظ

الجلالة (الله) على لفظ (العلماء) وفي تقديمه معنى يختلف عن معناه لو تأخر ، وذلك أن
تقديم اسم الله إنما كان لإجل أن الغرض أن يبين الخاشعون من هم ؟ ويخبر بأنهم العلماء خاصة
دون غيرهم ، فهم أشد الناس خشية لله ، وهذا مدح لهم ، ولو أخرج ذكر اسم (الله) وقدم
العلماء فقليل " إنما يخشى العلماء الله " لصار الغرض بيان المخشي من هو؟ والاختبار بأنه الله
دون غيره ، وليس في هذا مدح خاص للعلماء ، لأن العلماء وغيرهم من الناس لا يخشون إلا
الله ، فخشية الله ليست مقصورة على العلماء . (البرجاني ، الدلائل ص 338) .

وهكذا لمجد عبد القاهر ببذل قصارى جهده ، وهو يحرض على شرح نظرية النظم مبيناً
أن إعجاز القرآن الكريم إنما هو لهذا النظم البديع الذي بهر العرب وعجزوا أن يأتوا بمثله ، وها

هو ذا عبد القاهر يبين لنا الغاية من هذه النظرية - نظرية النظم - وهي إدراك الإعجاز وتذوق حلاوته.

النظم - إذن - هو سر الإعجاز أما أنواع المجاز والإستعارة والكنائية ، فمع ما لها من

شأن إلا أن الفضل فيها يرجع إلى النظم ، ويمثل لذلك بقوله سبحانه: وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا (مرم: 4) فالاستعارة في قوله " اشتعل " فالاشتعال كما نعلم للنار ، ولكن شبه انتشار الشيب بالاشتعال .

يرى عبد القاهر أن الفضل للنظم ، لا للاستعارة وحدها ، فلو أننا أبقينا الاستعارة وغيرنا النظم ، فقليل (واشتعل شيب الرأس) ، ولم يكن للكلام هذا الفضل وتلك المزية ، وإنما كانت المزية والفضل أن أسندنا الاشتعال إلى الرأس ، وجعلت كلمة شيباً تمييزاً ، وهو تمييز محول عن الفاعل كما يقول النحويون ، لأن الأصل . وأذا أردت أن تدرك الفرق بين النظم في الجملتين ، أعني النظم القرآني (أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) وقلنا (اشتعل شيب الرأس) فانظر إلى هاتين الجملتين ، (اشتعلت النار في البيت) و(اشتعل البيت ناراً) ولا شك أنك مدرك ما بين الجملتين من فرق شاسع ، فالأولى تفيد اشتعال النار في جزء من البيت ، وقد يكون صغيراً ، وأما الثانية فتفيد التعميم أي اشتعال النار في البيت كله .



تدريب (6)

أخي الدارس ، أختي الدارسة: تدريب
أ - متى تقول: فتحت الباب ؟ وأنت فتحت الباب ؟

ب- ما الفرق بين قوله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمِنٍ بِاللَّهِ وقلنا: " إنما يعمر (من آمن) مساجد الله " .

المؤسسه تنظيم كبريه مساجده على المبرور ~~المؤسسه تنظيم كبريه مساجده على المبرور~~

3.4.5.2 وجوه الإعجاز عند عبد القاهر

بعد أن تحدث عبد القاهر - رحمه الله - عن نظرية النظم ، وأورد الأمثلة التطبيقية الكثيرة حولها من خلال أي القرآن الكريم ، والشعر العربي ، يصل أخيراً إلى الحديث عن إعجاز القرآن ، أي ما الذي أعجز العرب ، ويضع احتمالات متعددة . فيقول رحمه الله:

" لا يجوز أن يكون -الإعجاز- في الكلم المفردة التي هي أوضاع اللغة ، قد حدث في مذاقة حروفها وأصدانها أوصاف لم تكن لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن ، وتكون قد اختصت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعا السامعون عليها إذا كانت متلوة في القرآن ، لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن .

ولا يجوز أن يكون في معاني الكلم المفردة " التي لها بوضع اللغة لأنه يؤدي إلى أن يكون قد تجدد في معنى " الحمد " " والرب " ومعنى " العالمين " و " الملك " و " اليوم " و " الدين " وهكذا وصف لم يكن قبل نزول القرآن ، وهكذا ، ما لو كان هنا شيء أبعد من المحال وأشنع ، لكان إياه .

ولا يجوز أن يكون هذا الوصف في " ترتيب الحركات والسكنات " حتى كأنهم تحدوا إلى أن يأتوا بكلام تكون كلماته على تواليه في زنة كلمات القرآن ، وحتى كأن الذي بان به القرآن من الوصف في سبيل بينونة بحور الشعر بعضها من بعض ، لأنه يخرج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحماسة في " إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وجاهر " و " الطاحنات طحناً " .

وكذلك الحكم إن زعم زاعم أن الوصف الذي تحدوا إليه هو أن يأتوا بكلام له مقاطع ، وفواصل كالذي تراه في القرآن ؛ لأنه أيضاً ليس بأكثر من التعديل على مراعاة وزن ، وإنما الفواصل في الآي كالتوافي في الشعر ، وقد علمنا اقتدارهم على التوافي كيف هو ، فلو لم يكن التحدي إلا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه التوافي ، لم يعوزهم ذلك ، ولم يتعذر عليهم .

ولا يجوز أن يكون الإعجاز بأن لم يلتق في حروفه ما يثقل على اللسان. (الهرجاني- دلائل الإعجاز/ ص 386).

"فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه، لم يبق إلا أن يكون في (النظم) لأنه ليس -من بعدما أبطنا أن يكون فيه- إلا النظم والاستعارة، ولا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز، وأن يقصر عليها، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في أي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة، وإذا امتنع ذلك فيها ثبت أن النظم مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه . (الدلائل/الهرجاني ص 391) .

ومن المفيد أن نشرح لك أخي الدارس، أختي الدارسة كلام الشيخ بإيجاز .
يبين الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - الأمر الذي كان به إعجاز القرآن ، وتحذوا به فعجزوا أن يأتوا بمثله ، وهو في هذا يطرح بين يدي القارئ عدة أمور، يحتمل كل واحد منها أن يكون وجهاً من وجوه الإعجاز .

(الاحتمال الأول) من الممكن أن يكون الذي أعجزهم كلمات القرآن وألفاظه المفردة، ولكن عبد القاهر يرد هذا القول، وحق له أن يُرد، لأن معنى كون هذه الألفاظ معجزة، جهل العرب بها قبل نزول القرآن، وأنهم لم يسمعوها إلا بعد أن نزل بها القرآن الكريم وهذا غير مقبول، لأن ألفاظ القرآن الكريم لا يجهلها العرب، ولهذا لم تكن غريبة عليهم .

(الاحتمال الثاني): أن يكون الذي أعجز العرب معاني الكلمات، وهذا مردود أيضاً، لأنه يلزم منه أن يكون للكلمة معنى قبل نزول القرآن وأن يكون لها معنى آخر تجدد بنزول القرآن الكريم، وهذا غير مقبول لأن معنى الحمد، والكتاب، والرب، والفلاح، والخذاع، والفساد، والاستهزاء، والعبادة، والفراس، والأرض، والسماء وغيرها من الألفاظ، إن معنى هذه قبل نزول القرآن وبعد نزول القرآن شيء واحد.

(الاحتمال الثالث) أن يكون سبب عجز العرب القالب الشكلي الذي جاءت عليه الكلمات القرآنية، بيان ذلك أن كلام العرب ليس نوعاً واحداً، فمنه الشعر ومنه الرجز، ومنه السجع، ومنه كلام موزون وكلام غير موزون، والبنية الشكلية التي جاء عليها القرآن الكريم تختلف عن كل ما ألفه العرب وعرفوه، فليس شعراً وليس سجعاً وليس شيئاً آخر من هذه الأشكال التي نطق بها العرب، ويرد عبد القاهر هذا الاحتمال، لأن من ركب جملأ تشبه الجمل القرآنية حري أن يكون كلامه معجزاً، ومنه هذه الحماقات التي قيل إنها عورض بها القرآن مثل "والطاحنات طحنأ، والعاجنات عجنأ" و"الفيل وما أدراك ما الفيل" ومثل "إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر" و" ألم تركيف فعل ركب بالحبل، أخرج منها نسمة تسعى" ولا يشك أصحاب هذه الكلمات بأنها حماقات ركيكة.

(الاحتمال الرابع) أن يكون وجه الإعجاز الفواصل القرآنية، ويرد عبد القاهر هذا الاحتمال، لأن الفاصلة مثل القافية في الشعر، ولقد برع القوم في الشعر - كما نعلم - ومن برع في الشعر وقوافيه لا يعجز أن يجعل للكلام خاتمة تشبه القافية .

ولا بد أن نعلق هنا بكلمة قصيرة، وهي أن عبد القاهر ينفي أن يكون وزن الفاصلة وجهاً من وجوه الإعجاز، أما اختيار الكلمة في الفاصلة كأن تختار كلمة (يفقهون) في آية و (يعلمون) في آية أخرى، (وسميع بصير) في آية و (غفور رحيم) في أخرى و (لقوم يتفكرون) في آية و (قوم يعقلون) في أخرى فهذا يدخل في النظم الذي هو لب الإعجاز .

الاحتمال الخامس: أن تكون خفة الكلمات وعدم ثقلها وتنافرها هو وجه الإعجاز ، ويرد عبد القاهر هذا القول بأن للعرب كلاماً مثيراً خالياً من الثقل ، والتنافر ، متلازمة حروفه في كلماته ، وكلماته في جملة ، ولم يقل أحد إن ذلك من الإعجاز .

الكلمة حرم

الاحتمال السادس: أن يكون وجه الإعجاز ما في القرآن الكريم من استعارات ، ويرد عبد القاهر أن يكون هذا هو الذي كان به القرآن معجزاً ، وهو الذي أعجز العرب ، ولذا لما قالوا إن القرآن مفترى ، قال لهم : هاتوا عشر سور مفتريات ، افترتوا معانيها كما تشاءون ، ولكن لتكن في نظم يشبه نظم القرآن ، فعجزوا .
والحق أن عبد القاهر قد سلك لإثبات ما يريد طرقاً فجاجاً ، ولم يترك منفذاً يرى فيه ثغرة لمعترض إلا سده ، ولقد اشتمل كتاب الدلائل كما عرفنا من قبل جانبين : الجانب النظري يناقش فيه الذين جعلوا الفضل للفظ ويرد عليهم ويقسوا عليهم ، والجانب العملي الذي كان تطبيقاً لقواعد النظم .

استعارات



تدريب (7)

ذكر عبد القاهر الجرجاني احتمالات عدة لوجوه الإعجاز القرآني ، اذكرها ، وما الذي رجحه منها .
النظم

الجرجاني

5.2.5 تطبيق الإمام الزمخشري لنظرية النظم

لقد كان فضل الله عظيماً أن قبض لكتابه أئمة أعلاماً يبرزون عرائس الإعجاز بأثواب قشبية ، ومظاهر خلافة وجذابة ، لقد كان فضل الله عظيماً أن قبض مثل عبد القاهر ببدع في نظرية النظم ، ولقد كان فضل الله عظيماً أن قبض لنا مثل الزمخشري ، يطبق هذه النظرية تطبيقاً عملياً تفصيلياً في تفسير كتاب الله تعالى (تفسير الكشاف) .

هو الإمام محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، سافر إلى مكة فجاور بها زمناً ، ولذلك لقب بجار الله ولد عام (467 هـ) وتوفي عام (538) من كتبه تفسير الكشاف ، والفائق في غريب اللغة ، والمستقصى في الأمثال ، وأساس البلاغة وغيرها .

لقد كان الزمخشري بحق عالماً أليماً ، هضم نظرية عبد القاهر في النظم ، واستثمرها استثماراً تاماً في تطبيقها على أي الذكر الحكيم ، وظهر ذلك جلياً في الكشاف كما قلت ، بل زاد عليها كثيراً مما جارت به قريحته ، وأنتجه فكره ، وسنضرب بعض الأمثلة التي أفادها الزمخشري من نظرية النظم لعبد القاهر في تفسيره .

عرفتم من قبل أن كتاب دلائل الإعجاز كان فيه جانب عملي، وهي الفصول التي كتبها عن التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير، وغير ذلك مما عرضنا له من قبل، ولنعش مع الزمخشري وهو يشرح لنا هذه الفصول شرحاً عملياً في تنزيلها على الآيات الكريمة.

سَمِعَ سَلَمَةَ بْنَ عَدْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعَ مِنْ أَبِيهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الْكَلْبِيِّ

1- عند قوله سبحانه: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (البقرة: 2) يتساءل

الزمخشري لم قدم الريب في هذه الآية الكريمة وهو أسم (لا) النافية للجنس على الجار والمجرور، بينما جاءت آية أخرى على عكس ذلك، فتقدم فيها الجار والمجرور، وهي قوله سبحانه في وصف خمر الجنة: لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ؟ (الصافات: 47) فهو يفيد بما ذكره عبد القاهر في التقديم والتأخير فتقديم الخبر على المبتدأ يفيد التخصيص، لذلك جاء نظم كل من الآيتين متفقاً ومنسجماً مع المعنى الذي تحدثت عنه كل منهما.

فقوله سبحانه: (لا ريب فيه) كل الذي يفيد نفى جنس الريب عن القرآن الكريم دون التعرض لغيره من الكتب؛ إذ لو قال (لا فيه ريب) لكان المعنى نفى الريب عن القرآن وإثباته لغيره من الكتب الأخرى، وهذا غير مراد هنا.

أما قوله (لا فيها غول) فالمقصود منه شيء آخر، إذ للقرآن هنا هدفان اثنان: نفي الغول - والغول اهلاك الشيء، من حيث لا يحس به - عن خمر الآخرة وهو ما فيها من ضرر، وهذا هو الهدف الأول، أما الهدف الثاني فهو إثباته في خمر الدنيا، ولو قال (لا غول فيها) لم تعد إلا شيئاً واحداً وهو نفي الغول عن خمر الآخرة. (الزمخشري/ الكتاب 1/34).

2- عند قوله سبحانه: أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (البقرة: 5)

يتساءل الزمخشري، لم وسطت الواو في قوله: (وأولئك هم) ولكننا لا نجد لها في آية

الأعراف: أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (الأعراف: 179).

ويجيب الزمخشري بأن الواو وسطت في آية البقرة، لأن الجزء مختلف، فللمتقين جزءان: صححة المنهج وهو قوله " أولئك على هدى من ربهم " ثم الغاية والنتيجة وهي قوله " أولئك هم المفلحون " فالأمران مختلفان، لذا جاء حرف العطف، أما آية الأعراف فليس فيها إلا شيء واحد، فإن كونهم كالأنعام بيان لغفلتهم، ولو أن الواو ذكرت في الآية فقال:

"وأولئك هم الغافلون" كما جاءت آية البقرة لترتب عليها أمر محال، وهو أن الأنعام ليست غافلة، وهذا ما بينه عبد القاهر بياناً شافياً في حديثه عن الفصل والوصل. (الزمخشري / الكشاف 43/1).

3- عند قوله سبحانه: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة: 15] بين الزمخشري: حكمة مجيء

الخبر جملة فعلية وهي (يستهزيء) وعند قوله: وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ [الكهف: 18] بين الحكمة من مجيء الخبر اسماً.

أما الأولى: فقد جاء الخبر جملة فعلية لأنه يدل على التجدد، أما الثانية: فلأن مجيء الخبر اسماً يدل على الثبوت، وهذا ما بينه عبد القاهر وهو يتحدث عن الفروق بين الخير والإنشاء. (الزمخشري / الكشاف 40/3).

4- ومن ذلك قوله تعالى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ

فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ [الذاريات: 24، 25] فقد فرق بين السلامين فجعل الأول منصوباً بفعل تقديره نسلم سلاماً، والثاني مرفوعاً، والتقدير: سلام عليكم والاسم أثبت وأقوى من الفعل، فالاسم يدل على الثبوت والاستمرار، فقد اراد سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يرد عليهم بأحسن من تحيتهم. فأتى بالجملة الاسمية الدالة على اللوام والاستمرار. (الزمخشري / 2/4).

عند قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة: 15] بين الزمخشري الحكمة من مجيء ضمير

الفصل (هم) والحكمة من تعريف الخبر (المفلحون) فضمير الفصل يؤتى به للتأكيد وليبان أن ما بعده خير لا صفة، كما بين أن الهدف من التعريف الاختصاص، أي هم (المفلحون)، وكل هذا مما عرض له عبد القاهر وأطال النفس فيه. (الزمخشري / الكشاف 67/1).

5- وعند قوله تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ

وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ

الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (التمس: 23، 24).

يقول فإن قلت : لم ترك المفعول غير مذكور في قوله (يسقون) ، و (تذودان) و (لا نسقي) ، (فسقى لهما) ؟ قلت : لأن الغرض هو الفعل ، لا المفعول ، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذباد وهم على السقي ، ولم يرحمهما لأن مدودهما غنم ومسقيهما إبل مثلاً ، وكذلك قولها (لَأَنْسُقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ) المقصود فيه السقي لا المسقي . (الزمخشري/ الكشاف 45/3).

وقد ذكر هذا عبد القاهر ، وبين أن المفاعيل حذفت من الأفعال الأربعة لأن الغرض أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي ، ومن المرأتين ذود ، وإنهما قالتا ، لا يكون منا سقي وأنه كان من موسى بعد ذلك سقي ، أما ما كان المسقي أغناماً أم أبلاً فخارج عن الغرض ، ولكنه أنكر عليهما أن تذودا غنماً ، ولو ذادتا بقرأ لما أنكر ذلك . (المرجاني/ الدلائل ص 161).

7- ومن ذلك حديثه عن سر اختلاف الحرف في قوله تعالى: مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ

(المائدة: 54) فقد بين لم عبره (على) مع المؤمنين ولم يقل " أذلة للمؤمنين " قال: فإن قيل: هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين قلت: فيه وجهان:

أحدهما أن تضمين الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع.

والثاني : أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنتهم" (الزمخشري، الكشاف 648/1).

8- ومن ذلك تقديم السموات على الأرض في سورة سبأ: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا

السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لَتَأْتِيَنَّهُمُ السَّاعَةُ لَمَّ يَتَّبَعُنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالسَّمَوَاتُ بِثِقَلٍ وَأَنزَلْنَ السَّمَاءَ سَاقِطًا

فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (سبا: 3).

وتقديم الأرض في سورة يونس: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ

مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ

ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

(يونس: 61).

قال الزمخشري عند تفسير سورة يونس: حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما

ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله " لا يعزب عنه، لا م ذلك أن قدم الأرض على السماء . (الزمخشري، الكشاف / 355/2) .



منها مجرد وعزب ليس بموت

نشاط (6)

1- قال تعالى: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا

إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (البقرة: 14). بين الزمخشري لما عبر بالجملة

الفعلية أولاً (قالوا : آمنا) وعبر بالإسمية (إنا معكم) .

2- قال تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ (طاهر: 32) بين الزمخشري لم قدم

الظالم ثم المقتصد ثم السابق .

3- قال تعالى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ

عِلْمٍ (الأنعام: 100) ذكر الزمخشري لم قدم المفعول الثاني (شركاء) على الأول (الجن) .

أخي الدارس، أختي الدارسة، ارجع إلى الكشاف في تفسيره الآيات المذكورة .

وبين رأيه في ذلك.

وهكذا نجد الزمخشري يعيش مع نظرية عبد القاهر في تفسير الكشاف ، بل لا يكتفي بذلك فيبين لنا ألواناً من الإعجاز البياني، ولعلنا لا نغالي ولا نتجاوز إذا قلنا إن الإبداع في تقرير قضايا الإعجاز وقف عندما قرره عبد القاهر في نظريته ، وطبقه الزمخشري في كشافه، والذين من بعدهما لم يزيدوا شيئاً ذا بال ، إنما كان الذي ذكره شرحاً أو اختصاراً ، أو نقلاً، وقد تظهر عليه سمات التكلف.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

- أخي الدارس، أختي الدارسة اجب عما يلي :
- س1 أ - اذكر وجوه الإعجاز في القرآن الكريم عند الرمانى .
 ب- عرض الخطابي لبعض الشبهات حول ألفاظ القرآن الكريم هات واحدة مناقشاً لها .
- س2 أ - من وجوه إعجاز القرآن الكريم عند الباقلاني حسن تأليف القرآن، وقد بين هذا الأمر من عدة وجوه، هات وجهين منها .
 ب - قارن بين رسالتي الخطابي والرمانى .
- س3 ما المقصود بنظرية النظم عند عبد القاهر ، هات مثالين توضح فيهما هذه النظرية.

سؤاى صاى بنى ر صاى انا ط بن صاى صاى صاى صاى صاى

3. المؤلفات الحديثة في الإعجاز

1.3 توطئة

يحمل هذا العلم من كل زمن قوم ينفون عنه كل تحريف ، ويميطون عن طريقه كل أذى، لذا رأينا للمحدثين في هذا العصر جهوداً طيبة مشكورة في موضوع الإعجاز، وإن كانوا قد أفادوا كثيراً ممن تقدمهم من العلماء ، فلقد كان لكثير منهم ملحوظات جديرة بالتقدير، حرية بالتسجيل، ثم إن لكل عصر أسلوبه الذي يلائمه ، وطريقته التي تناسبه، وسنعرض لكم بعض نتائج هؤلاء العلماء لتقفوا من جناهم محاولين أن ندلل لكم هذه القطوف لتكون دانية إن شاء الله.

كان للأستاذ الإمام الشيخ **محمد عبده** - رحمه الله - جهد لا ينكر في النهضة التفسيرية، وما يتصل بعلوم القرآن الكريم ، ولغته وبلاغته ، فلقد ظل كتاباً عبد القاهر - رحمه الله - الدلائل والأسرار بعيدين عن متناول العلماء والأدباء المثقفين حقبة طويلة من الزمن حتى جاء الشيخ - رحمه الله - فحببهما إلى المثقفين، وكان له حلقة علم في تدرسهما، كما كان له مجالس في جامع الأزهر لتدريس التفسير، وكان من نتائج ذلك كله هذه الجهود الطيبة التي وجدناها في آثاره وآثار العلماء من بعده.

2.3 إعجاز القرآن للرافعي

أخي الدارس، أختي الدارسة، كان أول كتاب ظهر في إعجاز القرآن الكريم للأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - والرافعي منحة من منح الله لهذه الأمة في عصر كان الناس فيه في أمس الحاجة إليه، فلقد وهبه الله قلماً ذاباً عن القرآن ولغته، أمام هجمات شرسة، وحقاً كان الرافعي كاتب العربية المناجح عنها، جعل الله منه في الأواخر كما جعل من حسّان في الأوائل .

وكانت كتابته تتصف بالعمق في الأسلوب ، مع سعة في الاطلاع ، مع قوة في العرض ، يزين ذلك كله عاطفة صادقة ، وإحساس مرهف ، وخيال خصب ، وذهن ثاقب . كان يرقى مع قارئه في سلم البيان ، ليصل به إلى السمو الأدبي، ولنستمع إليه في هذه الكلمة الحية الموجزة المعبرة " عابوا السمو الأدبي بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك، وبأنه مخالف ولكن .. الحق كذلك ، وبأنه محير ولكن.. الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكليف ولكن... الحرية كذلك "

« إن لم يكن البحر فلا تنتظر الدر ، وإن لم يكن السحاب فلا تنتظر المطر ، وإن لم تكن شجرة الدر فلا تنتظر الورد ، وإن لم يكن الكاتب البياني فلا تنتظر البيان » . والرافعي أديب لم يقتصر أدبه على النشر وحده ، بل كان كاتباً وشاعراً وناقداً كذلك ، وقليل أولئك الذي اجتمعت لهم هذه الصفات كلها ، وكما كان الرافعي كاتباً وشاعراً له طابعه المميز في الشعر ، وأسلوبه الواضح في الكتابة ، فقد كان أيضاً ناقداً له منهجه المستقل في نقده ، ولم يخرج نقد الرافعي عن الهدف العام الذي دار في إطراره أدبه هو : الدرد عن حمى الدين واللغة العربية ، ولقد أفاد الأدب العربي ولغته ، وانتفعت حقول الفكر وميادين الثقافة من جهود الرافعي في النقد إفادة غير محدودة .

ولعل أعظم كتبه من حيث القيمة العلمية " تاريخ آداب العرب " وتتكون من ثلاثة أجزاء ، كان الجزء الثاني منه حديثاً عن القرآن وهو أصل لكتاب الإعجاز ، فقد وسعه الرافعي وزاد ما شاء الله له فكان كتابه (إعجاز القرآن) . يحتوي الكتاب على موضوعين كل منهما ذو شأن وخطر ، أحدهما إعجاز القرآن ، والثاني البلاغة النبوية .

1.2.3 وجوه الإعجاز عند الرافعي تاريخه ، آثاره ، مما نقله للإعلاميين بدأ الرافعي كتابه بكلمة رصينه جزلة عن القرآن ، ثم تحدث عن علوم القرآن الكريم ، نزوله وجمعه وقرأاته ، وأخذت هذه ما يقرب من نصف الكتاب ، ثم تحدث عن معنى الإعجاز ، وذكر جهود السابقين ، وعلق عليها ، وبعد ان انتهى من ذلك كله أنشأ يتحدث

عن الإعجاز كما يراه . فبين بادئ بدء أن القرآن الكريم معجز من جهات ثلاث:

- 1- من حيث تاريخه بين الكتب السماوية فهو كتاب محفوظ . ولم يطرأ عليه تحريف ولا تبديل .
- 2- من حيث آثاره ، فلم يعرف في الدنيا كتاب ، كان أثره ولا يزال مثل هذا الكتاب المبين.
- 3- من حيث حقائقه ، وهي حقائق في مجالات متعددة ، تعدد أنماط الحياة ، ولكنها حقائق ليس فيها ثغرة يتسلل من خلالها زيع أو زائغ ، وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .
- 4- وبين الراقعي أنه ليس له غرض في الحديث عن هذه النواحي الثلاث ، وإنما غرضه في هذا الكتاب أن يتحدث عن الإعجاز البياني ، وهي الجهة الرابعة من جهات إعجاز القرآن الكريم . وبين الراقعي أن الفضل يرجع إلى هذا الكتاب في وحدة هذه الأمة ، وبخاصة وحدتها اللغوية ، و يتحدث في هذا الباب عن أسلوب القرآن ونظمه و غرابته وأوضاعه التركيبية ، وهو وإن كان يلتقي في كثير من الحقائق مع ما كتبه الأقدمون ، فإنه والحق يقال صيغ ذلك كله بصيغة جديدة ببراعة بيانه وقوة أسلوبه ، وجميل تصويره ، ونفث أخاسيسه ، وصادق عاطفته ، وشدة غيرته الإيمانية ، وسعة معرفته باللغة وأسرارها .

1.1.2.3 أسلوب القرآن نوع النسخ إعجاز من السرد ، أنه على نسو واحد ،

- يرى الراقعي - رحمه الله - أن سر التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر ، مع أن المادة اللغوية واحدة لا تختلف ، يرجع إلى أمور أهمها :
- أولاً: ما مجده في أسلوب القرآن من قوة نسج إحكام في السرد ، بحيث لو قرأته كله من أوله إلى آخره ، فإنك لا تحس بنبوة أو ثغرة ، وأنت تنتقل من معنى إلى آخر من الآية إلى التي بعدها أو من موضوع إلى موضوع . ^{الاستدراك}
- ثانياً: إن هذا الإحكام وتلك القوة في الأسلوب القرآني مجدها في القرآن مكيه ومدنيه على السواء ، وفي سوره الطويلة والقصيرة على السواء ، فهو لا يختلف في تصويره اليوم الآخر ، والحديث عن الكون وآياته الوحدانية ، لا يختلف في هذه عنه في آيات الأحكام على تعددها ، وهذا ما لا مجده عند فصحاء العرب شعراء وخطباء .
- ثالثاً: وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم نسق واحد وهذا يجعله يختلف عن أساليب البشر ، حيث كانت أمزجتهم تنعكس على أساليبهم .

وما قرره الرافعي في أسلوب القرآن، لجمده قريباً مما حدثناك عنه عند الباقلاني، لكن الرافعي أفرغه بقلب جديد، وأنشأ بناءً محكماً قوياً، وأضفى عليه مما منحه الله من قوة أسلوبه، وأضاف إليه ما يتفق مع روح العصر .

2.1.2.3 نظم القرآن

أما نظم القرآن عند الرافعي فهو يتمثل:

أولاً: الحروف وأصواتها .

ثانياً: في الكلمات وحروفها .

ثالثاً: في الجمل وكلماتها

وهذا ترتيب طبيعي منطقي ، فالحروف هي التي تتكون منها الكلمات ، والكلمات هي التي تتكون منها الجمل ، ويرى الرافعي أن أصوات الحروف في القرآن الكريم منسجم بعضها مع بعض ، بحيث يتكون منها جرس صوتي خلّاب . وكما يعبر عنه بلغة العصر " موسيقى صوتية جذابة " . فقد نجد ثقلاً في ضم حرف لحرف ، أو اتباع حركة لحركة ، ولكن هذا الثقل

يتلاشى في نظم القرآن الكريم . ويمثل ذلك بقوله تبارك وتعالى: وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا

فَتَمَارَوْا بِالْأَنْذَارِ (النمر: 35) فرغم هاتين الضمتين على النون والذال في كلام الناس: إلا أنهما

جاءتا في القرآن الكريم بعيدتين عن هذا الثقل ، بل جاءتا بجرس أخاذ .

ويتفطن الرافعي في بيان هذه الحركات وقد تجيء الكلمة على حروف كثيرة مما يدعوا إلى

ثقلها في النطق وعلى السمع ، ولكنها في القرآن يذهب منها كل هذا ، ويمثل ذلك بقوله تعالى:

فَسَيَكْفُرُكَمُ اللَّهُ وقوله: لَيْسَتْ خِلْفَتُهُمْ وما ذلك إلا لاختيار الحروف والحركات .

أما الكلمات فهي كلمات موحية معبرة فيها الانسجام بين الصوت والمعنى ، وأما الجمل

فهي جمل قدرت لها كلماتها تقديراً محكماً بحيث لا تجد كلمة زائدة ، أو معنى فيه شيء من

النقص ، ولذا فإن الرافعي ينكر الزوائد في كتاب الله تعالى ، كما يرى أن التكرار إنما جاء

لحكم بيانية .

وقد تأتي الكلمة القرآنية في القرآن ، لكن تأليف حروفها من جهة ، وغرابة المعنى

الذي جاء فيه مجدها أنها فصلت تفصيلاً بحيث لا يصلح غيرها مكانها ، وذلك مثل كلمة

(ضيضى) .

3.1.2.3 الأصوات الثلاثة

يرى الرافي أن ينتج من الكلمات في حروفها ، والجمل في كلماتها ، أصوات ثلاثة هي : صوت النفس ، صوت العقل ، صوت الحس .
أما صوت النفس فإنما ينشأ من الكلمات ومعانيها ، فكل لفظة تتساقق وتنسجم مع معناها الذي أعدت له وهذا ما يسمى في العصر الحديث بالإيحاء ، وأما صوت العقل فإنما ينشأ من تركيب الكلمات في الجمل ، ذلك لأن هذا التركيب ، أعني تركيب الكلمات في الجمل لا بد فيه من عمليات فكرية ، فنحن بدهاة بحاجة ماسة إلى الفكر والعقل لنذكر الصلة بين الكلمات في الجمل ، وهذان الصوتان قد عرفهما العرب من قبل .
أما صوت الحس فهو الذي لم يعرفه العرب قبل القرآن ، وهو تقدير الكلمات تقديراً محكماً لمعانيها بحيث لا نجد كلمة فضفاضة تزيد على المعنى الذي جيئت من أجله ، وهذا ما لا نجد في شعر أو نثر ، فقد نجد البيت الواحد في القصيدة أو الجملة أو الخطبة ، حين ننعم النظر فيها ، وإذ بنا يمكن أن نطرح بعضها ونستغني عنه ، وليس كذلك القرآن الكريم .
وهكذا يمضي الرافي يحدثنا عن غرابة أوضاع القرآن التركيبية .

الذي
>

2.2.3 موقف الرافي من القول بالصرفة

عرفت أن معنى الصرفة { صرف الله للعرب أن يأتوا بمثل القرآن ، [معنى ذلك أن الله سلبهم القدرة التي تمكنهم من المحي] بكلام يشبه القرآن الكريم في نظمه وأسلوبه ، كما سلب الإنسان السليم القدرة على تحريك يده ، وهذا الذي روي عن النظام المعتزلي شيخ الجاحظ .
وروي عن بعض القائلين بالصرفة ممن جاؤا بعده أن معنى الصرفة : أن الله سلب العرب العلوم التي تمكنهم من الإتيان بمثل ما في القرآن .
ويترتب على هذا أن عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن ليس ناشئاً عن رقة أسلوب القرآن ويديع نظمه وعلو شأنه في البلاغة؛ بل هو راجع عند القائلين بالصرفة لأمر خارج عن القرآن الكريم ، وهو أن حال الله بينهم وبين ذلك والإ-أي لولا أن صرفهم الله- لكان بمقدورهم أن يأتوا بمثله ، كيف لا ولهم الكلام البليغ شعراً ونثراً .
عرض الرافي - رحمه الله - للقول بالصرفة ، ولشيء من سيرة النظام الذي اشتهر عنه هذا القول ، ثم قال بأسلوب ساخر:

وهو عندنا رأي لو قال به صبية المكاتب وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدروه ، لكان ذلك مذهباً من تخاليطهم في بعض ما يحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون ليؤهموا أنهم

قد عرفوا ثم قال " وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه إن

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه وجعل القول به ضرباً من

العمى. أفسحراً هذا أم أنتم لا تبصرون فاعتبر ذلك بعضه ببعض فهو كالشيء الواحد .
(الرافعي / إعجاز القرآن ص 146).

(فالرافعي يرى أن القول بالصرفة لا يتفق مع الحكمة الإلهية: بيان ذلك أن الله تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو بسورة منه ، فهل يليق بالحكيم الخبير ، والحكم العدل ، أن يقول لهم: لتجتمعوا ، ولتعاونوا ، ولتبدلوا كل ما عندكم من جهد و طاقة ، ولتستعينوا بمن تشاؤون، افعلوا كل ذلك من أجل الإتيان بسورة ومع إرخاء العنان لهم يقول : سأمنعكم وأضركم عن هذا.

لنتصور مدرساً وضع أسئلة الامتحان لطلابه ، ولكنه عند لحظة الامتحان جمع الأقلام من الطلاب، أو أطفأ الكهرباء، ولنتصور أحد الناس يتحدى حامل الأثقال ، ولكنه حينما جاء ليحمل قيد يديه، فماذا يقول الناس عن هذا المدرس وهذا المتحدي ، إن عملهما ليس فيه شيء من الحكمة ولا الجدبية بل هو عبث.

وإذا كان هذا لا يليق بالبشر ، فكيف يتفق مع الحكمة الإلهية ، كيف يتحدى الله

الخلق أنساً وجناً بقوله: قُلْ لِيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الاسراء: 88)، ثم بعد ذلك بصرفهم وسلبهم

القدرة ، سبحانه ربنا ذي الجلال والإكرام أحكم الحاكمين ۱۱

على أن الجديد في كلام الرافعي عن الصرفة الموازنة بين هذا القول وقول العرب عن

القرآن الكريم إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ وقد رد الله هذا الافتراء وأبطله، وكذلك القول

بالصرفة قول باطل يتنافى مع بديهات العقل، ومسلمات المنطق ، لأنه يتنافى مع الحكمة الإلهية .

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة، أجب عما يلي :



نشاط (7)

اكتب تقريراً موجزاً حول فصل " القرآن والعلوم " عند الرافعي .



تدريب (8)

تحدث الرافعي - رحمه الله - عن ما يسمى بالأصوات الثلاثة ، هات ما ذكره بإيجاز.

3.3 الدكتور محمد عبدالله دراز وكتابه النبأ العظيم

1.3.3 توطئة

يعد كتاب النبأ العظيم في الإعجاز من خير الكتب وأدقها وأعمقها إن لم يكن خيرها وأدقها وأعمقها ، ويأتي في الترتيب الزمني بعد كتاب الأستاذ الرافعي - رحمه الله - منذ أن أنشئت الكليات الأزهرية عام (1352 هـ - 1933 م) .

بمراجعة الأستاذ الدكتور محمد دراز

قسم أستاذنا كتابه إلى مبحثين :

الأول : في بيان مصدر القرآن الكريم .

الثاني : إعجاز القرآن الكريم .

وبعد أن انتهى من المبحث الأول قال " وبعد فإننا في هذا المنهج الذي سلكناه من أول المبحث إلى هذا الحد لم نرد أن نعرض للقرآن في جوهره ، بل كان قصارى ما صنعناه أننا درسنا الطريق التي جاء منها فما وجدنا في اعترافات صاحبه ، في حياته الخلقية ، ولا في وسائله وصلاته العلمية ، ولا في سائر الظروف العامة أو الخاصة التي ظهر منها القرآن إلا شواهد ناطقة بأن هذا القرآن ليس له على ظهر الأرض أب ننسبه إليه من دون الله .

وتلك كلها دراسات خارجية إنما يسلكها رجل وقف معنا على طرف صالح من هذه الحياة النبوية وملابساتها وكان مع ذلك سليم الفطرة يتعرف الأشياء بمثلها ويهتدي إليها بأقرب أمارتها ، فمثل هذا سيرضى منا بهذا القدر ويهتدي به .

وأما الذين لا يعلمون عن تلك الحياة النبوية إلا قليلاً - وكثير ما هم - والذين يريدون أن يأخذوا حجة القرآن لنفسه من نفسه ، فهؤلاء لا غنى لهم أن نتقدم بهم خطوة أخرى نيين لهم فيها أن هذا الكتاب الكريم يأبى بطبيعته أن يكون من صنع البشر ، وينادي بلسان حاله أنه رسالة القضاء والقدر ، حتى إنه لو وجد ملقى في صحراء لا يقن الناظر فيه أن ليس من هذه الأرض منبعه ومنبته . وإنما كان من أفق السماء مطلعاً ومهبطاً

ذلك أن قدرة الناس وإن تفاوتت فإلى حدود معدودة لا تتعداها ، و قدرة الخالق على
 الممكنات لا حد لها ، فكل كائن يجاوز حدود القدرة العالمية واقع في حدود القدرة الإلهية البتة
 ولا ثالث.



مثال ذلك:

أن الرجل قد يصرع الرجل ، وقد يصرع الرجلين ، وقد يصرع الآحاد والعشرات ، ولكن
 هل من الناس من يقف في وجه العالم كله فيقهر الأمم أفراداً وجماعات ؟ والله يأتي بالشمس
 من المشرق فمن ذا الذي يأتي بها من المغرب ؟ ... وأنت تستطيع أن تطفئ المصباح وأن توقده
 حيث تشاء ، ولكن هل يستطيع الناس جميعاً أن يطلعوا الشمس قبل وقتها ، أو يؤخروها
 عن ساعتها ، أو يطفئوا نورها ، أو يأتوا بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ

[النج: 73]، فَأَنْ لَهِمْ أَنْ يَصَاهُنُوا تِلْكَ الْكَائِنَاتِ الْعُلُوبَةِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا أَيْدِيهِمْ وَلَا قَدَائِفُهُمْ ،
 والتي لا يملكون من أمرها سوى النظر إليها والإعجاب بها والاستفادة منها والخضوع لها .
 فذلك العجز العام عن مضاهاة الخلق ، وعن محاكاة الصنعة هو آية كونها ليست من
 صنع الناس ، وذلك هو الطابع الألهي والمظهر السماوي يمتاز به صنعة الخالق عن صنعة المخلوق ،
 وهذا هو المثل الذي نريد أن نطبقه على القرآن الكريم .

غير أن من الناس فريقاً فريقاً في حماة العناد ، يقولون:

مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ [الاعراب: 132]، وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ

الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

[الأنعام: 111] . إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ [الجاثية: 32] وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنْ

السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ

[الحجر: 15]، وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ

[الأنعام: 7] .

فهؤلاء وأولئك لا سبيل لنا عليهم ، ولا ينفعهم نصحن إن كان الله يريد أن يغويهم ،
 إذ ليس من شأننا أن نسمع الصم أو نهدي العمى ، ولا الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم
 فإذا هم لا يسمعون أو يضعون أكفهم على أعينهم ، فإذا الشمس الطالعة ليست ب طالعة
 وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً^{٤١} [المائدة: 41] وإنما سبيلنا أن نصب
 حجة لجاهلها من طلاب الحق ، ونوضح الطريق لسابلهما من رواد اليقين .

وها نحن ندعو كل من يطلب الحق بإنصاف، أن ينظر معنا في القرآن من أي النواحي
 أحب: من ناحية أسلوبه، أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغيره
 وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة -على أن تكون له الخيرة بعد ذلك أن ينظر إليه في
 حدود البيئة والعصر الذي ظهر فيه، أو يفترض أنه ظهر في أرقى الأوساط والعصور التاريخية
 وسواء علينا أيضاً أن ينظر إلى شخصية الداعي الذي جاء به أو يتلمس شخصاً خيالياً تجمعت
 فيه مزايا الأدباء وسلطات الزعماء، ودراسات العلماء بكافة العلوم الإنسانية ثم نسأله: هل
 يجد فيه إلا قوة شاذة تغلب كل مغالب، وتتضائل منها قوة كل عالم ، وكل زعيم ، وكل
 شاعر وكاتب، ثم تنقضي الأجيال والأحقاب ولا ينقضي ما فيه من عجائب، بل قد تنقضي
 الدنيا ولما يحط الناس بتأويل كل ما فيه:

يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ^{٥٣} [الأعراف: 53] .

فلنأخذ الآن بعون الله وتوفيقه - في دراسة هذه النواحي الثلاثة من الإعجاز القرآني
 : أعني ناحية الإعجاز اللغوي ، وناحية الإعجاز العلمي ، وناحية الإعجاز الإصلاحي
 التهذيبي الاجتماعي ، ولتكن غايتنا أوفر بناحيته اللغوية لأنها هي التي وقع من جهتها
 التحدي بالقرآن جملة وتفصيلاً في سورة سورة منه .

2.3.3 الإعجاز اللغوي

يبدأ الدكتور دراز حديثه عن الإعجاز اللغوي ، فيبين أن القرآن معجزة لغوية ، ولم لا
 يكون كذلك ، وما هي الشكوك والشبهات التي عساها تحول بين المرء وبين صدق اليقين ،
 يقول الدكتور دراز : من كان عنده شيء من الشك في هذه القضية فليأذن لنا أن نستوضحه:
 فيم ذلك الشك : هل جدته نفسه بأنه هو يستطيع أن يأتي بكلام في طبقة البلاغة القرآنية ؟
 أم هو قد عرف من نفسه القصور عن تلك الرتبة ، ولكنه لم يعرف عن الناس ما عرف
 من نفسه ؟

أم علم أن الناس جميعاً قد سكتوا عن معارضة القرآن ، ولكنه لم يعلم أن سكوتهم عنه كان عجزاً ، ولا أن عجزهم جاء من ناحية القرآن ذاته ؟

② أم علم أنهم قد عجزوا عنه ، وأنه هو الذي أعجزهم ، ولكنه لم يعلم أن أسلوبه كان من أسباب إعجازه ؟

③ أم هو يوقن بأن القرآن الكريم كان وما زال معجزة بيانية لسائر الناس ، ولكنه لا يوقن أنه كان معجزاً كذلك لمن جاء به .

④ أم هو يؤمن بهذا كله ، ولكنه لا يدري : ما أسراره وما أسبابه ؟ .

هذه وجوه ستة لكل وجه منها علاج يخصه .

وفي أثناء رده على هذه التساؤلات يعرض لقضيتين اثنتين ، ففي رده على التساؤل الثالث يبطل قضية الصرفة ، وفي رده على التساؤل الخامس يبين الفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث ، ويذكر أن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان صلى الله عليه وسلم أفصح العرب فإنه يظل بعيداً عن أسلوب القرآن الكريم ، لأنه بشر والقرآن الكريم كلام الله .

1.2.3.3 إبطاله الصرفة

أما القول بالصرفة ، فهو يرى أنه باطل ، ذلك أن معنى القول بالصرفة أن يكونوا حاولوا الإتيان بمثل القرآن ولكنهم صرفوا عن ذلك ، فمثلهم كمثل الذي حاول أن يرفع جسماً ثقيلاً لظنه أنه يستطيع ذلك ، وبذل جهده ، ولكنه عبثاً يحاول إن هذا الإنسان بان عجزه بعد أن بذل أكثر من محاولة ، وكذلك هؤلاء كان سببهم عجزهم بعد أن يحاولوا الإتيان بمثل القرآن ، ولو أنهم حاولوا ذلك وصرفوا ، لنقل عنهم ، ولقالوا أننا كلما حاولنا الإتيان بشيء مثله ، أحسننا بصارفٍ يصرفنا عما نريد ، لكنهم لم ينقل عنهم شيء من هذا ، كما لم ينقل أن أحداً من فصائحهم حاول أن يأتي بشيء مثل القرآن . وما ذلك إلا لأنهم حينما سمعوه أدركوا أنه فوق مستوى كلامهم ، فلم يروا أن من الحكمة معارضته ، ولنستمع إلى ما قاله رحمه الله :

" أما لو كان عجزهم عن مضاهاة القرآن لعارض أصابهم ، حال بينهم وبين شيء في مقدورهم ، لما استبان لهم ذلك العجز إلا بعد أن يبسطوا ألسنتهم إليه ، ويجربوا قدرتهم عليه ، لأنه ما كان لامرئ أن يحس بزوال قدرته عن شيء كان يقدر عليه كقدرته على القيام والقعود إلا بعد محاولة وتجربة ، ونحن قد علمنا أنهم قعدوا عن هذه التجربة ، ولم يشرع منهم في هذه المحاولة إلا أقلهم عدداً ، وأسفهم رأياً ، فكان ذلك آية على بأسهم الطبيعي من أنفسهم ، وعلى شعورهم بأن عجزهم عنه فطري عتيدي كعجزهم عن إزالة الجبال ، وعن

تناول النجوم من السماء وأنهم كانوا في غنى بهذا العلم الضروري عن طلب الدليل عليه بالمحاولات والتجارب .

على أنهم لو كانوا لم يعرفوا عنه بادئ بدء ، وإنما أدرکهم العجز بعد شعورهم بأنه في مستوى كلامهم ، لكان عجبهم إذاً من أنفسهم ، كيف عيوا به وهو منهم على طرف الشام ؟ ولجعلوا يتساءلون فيما بينهم أي داء أصابنا فعقد ألسنتنا عن معارضة هذا الكلام الذي هو ككل الكلام ؟ أو لرجعوا إلى بيانهم القديم قبل أن يصيبهم العجز ، فجاموا بشيء منه في محاذاته ، ولكنهم لم يجيئوا فيه بتقديم ولا جديد ، وكان القرآن نفسه هو مثار عجبهم وإعجابهم ، حتى إنهم كانوا يخرون سجداً لسماعه من قبل أن تمضي مهلة يوازنون فيها بينه وبين كلامهم بل إن منهم من كان يغلبه هذا الشعور فيفيض على لسانه اعترافاً صريحاً " مَا هَذَا بِقَوْلِ بَشَرٍ " (النبا العظيم / 82)

2.3.3 النظام الصوتي في القرآن

وبعد الرد على هذه التساؤلات الستة يشرع رحمه الله تعالى بأسلوبه العذب ، وكلماته الجذابة ببيان كون القرآن الكريم معجزة لغوية فيذكر أن أول ما بهر به العرب من هذا الكتاب الكريم نظامه الصوتي، وهذا النظام الصوتي له مظهران اثنتان:

الأول: ترتيب الحروف في كلماتها من حيث الحركات والسكون ، فهذه حركة تعقبها حركة أو يعقبها سكون ، ولكل ذلك يستهوي الأذن من قبل أن تعرف ذات الحرف وحقيقته.

سهم حركات الحروف
الثاني: فهو وضع الحروف بعضها مع بعض، فهذا حرف مجهور، وآخر شديد، وثالث مهموس، ورابع فيه صفير ، وخامس فيه قلقله .

وهذان المظهران يمثلان جمال الإيقاع في القرآن الكريم ، وهو ما يعبر عنه بالجرس الصوتي، أو موسيقى الألفاظ وهو ما تحدث عنه الرافعي رحمه الله من قبل. وهذه هي القشرة السطحية كما يسميها رحمه الله . يقول رحمه الله :

"من هذه الخصوصية والتي قبلها - المظهران - تتألف القشرة السطحية للجمال القرآني، وليس الشأن في هذا الغلاف كشأن الأصداف مما محتويه من اللائق النفيسة ، فإنه جلت قدرته قد أجرى سنته في نظام هذا العالم أن يُغشي جلال أسرارها بأستار لا تخلو من متعة وجمال ، ليكون ذلك من عوامل حفظها ويقانها بتنافس المتنافسين فيها وحرصهم عليها ، انظر كيف جعل باعثة الغذاء ورابطة المحبة توأماً لبقاء الإنسان فرداً وجماعة ، فكذلك لما

سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب ، قضت كلمته أن يختار لها صواناً يحيها إلى الناس بعدوته ويفريهم عليها بطلاوته... ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبداً في أفواه الناس وأذانهم ما دامت فيهم حاسة تدرق وحاسة تسمع، وإن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها ، حقيقة سره، وينفذون بها إلى بعيد غوره. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (المجر: 9) (د. دراز / النها العظيم / ص 98) .

وبعد هذا يحدثنا الأستاذ - رحمه الله - عما وراء هذه القشرة السطحية ، بعد حديثه عن جمال الإيقاع في كتاب الله ، يحدثنا عن جمال التنسيق ، يقول : -
 " فإذا أنت لم يلهك جمال الغطاء عما تحته من الكنز الدفين ، ولم تحجبك بهجة الأستار عما وراءها من السر المصون ، بل فليت القشرة عن لبها ، وكشفت الصدفة عن درها ، فنذلت من هذا النظام اللفظي إلى ذلك النظام المعنوي ، تجلى لك ما هو أبهى وأبهر ، ولقبتك ما هو أروع .



① طهارة السورة
 ② صناديق الحروف

تدريب (9)

ما هي مظاهر النظام الصوتي عند دراز ؟

3.3.3 ميادين الإعجاز البياني في القرآن ومراتبه

يحدد الدكتور دراز مراتب أربعاً ليتحدث عنها وهي :

① القرآن في قطعة قطعة منه . 2- القرآن في سورة سورة منه .

3- القرآن فيما بين السورة والسورة 4- القرآن في جملته .

ولكننا لم ننعم إلا بالمرتبين الأولين من هذا القرآن؛ في قطعة قطعة ، والقرآن في سورة سورة ، وفاضت روحه إلى بارئها قبل أن يتم الكتاب رحمه الله رحمة واسعة.

1.3.3.3 القرآن في قطعة قطعة منه

خصائص الأسلوب القرآني:

أخي الدارس، أختي الدارسة، يبين الشيخ رحمه الله خصائص الأسلوب القرآني على النحو التالي :

1- القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى: وهاتان نهايتان لا يستطيع احد من الكتاب الجمع بينهما، فالذي يعتمد إلى ادخار لفظ، والقصد فيه، وعدم الانفاق منه إلا على حد الضرورة لا بد أن يحيف عن المعنى ولا يوفيه حقه والذي يعتمد إلى الوفاء بحق المعنى وتحليله إلى عناصره وإبراز دقائقه، لا بد أن يطيل الكلام ويفيض فيه.

لكن القرآن الكريم استطاع أن يجمع بين هاتين الخاصيتين، فإنك إن نظرت إليه، تجد بياناً قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقدير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية واضحة لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، وافية لا يشد عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه" (دراز، ص 106).

2- خطاب العامة وخطاب الخاصة: وهاتان كذلك غايتان متباعدتان عند الناس، فإن الكاتب إذا أراد مخاطبة العامة لا بد أن ينزل إلى مستواهم فيوضح ويبين، ولو خاطب بهذا الأسلوب الخاصة لعد كلامه معيباً، لأن الخاصة تكفيهم اللمحة والإشارة، وهكذا تجد أن هناك أسلوباً للخاصة وآخر للعامة، ولا يمكن أن تخاطبهما بجملة واحدة، ولكنك واجد هذافي القرآن الكريم. فإن الجملة الواحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء، والأذكياء والأغبياء.

3- اقناع العقل وامتاع العاطفة: النفس الإنسانية قوتان، قوة تفكير وقوة وجدان وكل منهما محتاج إلى ما لا محتاجه الأخرى، والحكماء والعلماء لا يخاطبون إلا العقل والفكر، والأدباء والشعراء لا يخاطبون غالباً إلا الوجدان، فإنك لا تجد فيلسوفاً يخاطب عاطفتك، أو شاعراً يخاطب عقلك. فالحكماء هم الذين يقفون العقل، والشعراء والأدباء هم الذين يمتعون العاطفة ولا تجد من يجمع بينهما في الخطاب إلا ما تجده في كتاب الله تعالى.

4- البيان والإجمال: وهذه كذلك عجيبة لا تجدها عند الكتاب، فمن أراد أن يجمل لا بد أن يذهب إلى الإبهام والإلباس، ومن أراد تحديد غرضه وتوضيحه لم تتسع تلك التأويل، فهذان الطرفان لا يجتمعان إلا في كتاب الله، فإنك إذا قرأت القطعة من القرآن وجدت الإحكام والدقوالخلو من الغريب ويخيل إليك أنك أحطت بها ومعناها، ولكنك لو رجعت إليها كرة أخرى لاستخرجت منها معنى آخر جديداً غير الذي فهمته من قبل، وهكذا تجد للكلمة الواحدة والجملة الواحدة وجوهاً عدة، كلها صحيحة.

اقرأ قوله تعالى: وَاللَّهُ يَرزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (البقرة: 212) وانظر هل

ترى كلاماً أبين من هذا في عقول الناس، ثم انظر كم في هذه الكلمة من مرونة، فإنك لو قلت في معناها: إنه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه ولا سائل يسأله لماذا يبسط الرزق لهؤلاء ويقدره على هؤلاء أصبت، ولو قلت: إنه يرزق بغير تقدير، ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاذ أصبت، ولو قلت: إنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر مكافأ ولا يحتسب أجراً أصبت، ولو قلت: إنه يرزق بغير معاتبه ومناقشة له على عمله أصبت، ولو قلت: يرزقه رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حصرو حساب، أصبت، فعلى الأول يكون الكلام تقريراً لقاعدة الأرزاق في الدنيا وأن نظامها لا يجري على حسب ما عند المرزوق من استحقاق بعلمه أو عمله، بل تجري وفقاً لمشيئته وحكمته سبحانه في الابتلاء، وفي ذلك ما فيه من التسلية لفقراء المؤمنين، ومن الهضم لنفوس المغرورين من المترفين، وعلى الثاني يكون تنبيهاً على سعة خزائنه وبسطة يده جل شأنه، وعلى الثالث يكون تلويحاً للمؤمنين بما سيفتح الله لهم من أبواب النصر والظفر حتى يبدل عسرهم غنى من حيث لا يظنون، وعلى الرابع والخامس يكون وعداً للصلحين إما بدخولهم الجنة بغير حساب، وإما بمضاعفة أجورهم أضعافاً كثيرة لا يحصرها العد، ومن وقف على علم التأويل واطلع على معترك أفهام العلماء في آية آية رأى من ذلك العجب العجاب" (دراز، النبا العظيم، ص 112).



للهمة لغيره ولربنا رحمه الرحمن
حفظاً لعامة التي هي
السنة والاعمال

تدريب (10)

اذكر خصائص أسلوب القرآن عند د. دراز. اصنع بعض اصناف العاطفة

ويطبق الدكتور دراز هذه الخصائص على قطعة من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نؤمنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ

وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تقتلون أنبياءَ اللَّهِ من قَبْلُ إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

(البقرة: 91)

جملانة للرسول يا لله
عامة لغيره

عناصر لا يحصى
في هذه القطعة تبرز بعض العناصر وهي:

- أ- مقالة ينصح بها الناصح لليهود؛ إذ يدعوهم للإيمان.
- ب- إجابتهم لهذا الناصح بمقالة تنطوي على مقصدين.
- ج- الرد على هذا الجواب بركنية من عدة وجوه.

ويبدأ الحديث عن المقصد الأول، ونلاحظ فيه التقص باللفظ والوفاء بالمعنى، فقد قال الناصح لليهود: آمنوا بالقرآن كما آمنتم بالتوراة، أستم قد آمنتم بالتوراة التي جاء بها موسى، لأنها أنزلها الله، فالقرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنزل الله، فأمنوا به كما آمنتم بها.

ثم كان المقصد الثاني وهو رد اليهود، فقالوا إن الذي دعانا للإيمان بالتوراة، ليس كونها أنزلها الله، فحسب، بل إننا آمننا بها لأن الله أنزلها علينا، والقرآن لم ينزله الله علينا، فلکم قرآنکم، ولنا توراتنا، وهنا نلاحظ كذلك التقص باللفظ والوفاء بالمعنى.

ويبين الله سبحانه بأنهم قد كفروا بما وراء التوراة، أي بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يكفروا بما قبلها، لذلك قال "بما وراءه".

ثم يأتي المقصد الثالث، وهو الرد والمناقشة، فبين لهم:

أولاً: (هو الحق)، فكتابهم حق ينبغي أن يبعثهم على الإيمان بما هو حق، والقرآن حق كذلك.

ثانياً: بقوله (مصدقاً) أي هذا الحق وهو القرآن جاء كذلك مصدقاً لما في التوراة.

ثالثاً: بقوله (لما معهم) فلو كان ما جاء به القرآن لا يعرفونه، أو قد خالف ما جاء في التوراة لكان لهم بعض العذر في عدم الإيمان به، ولكن هذا الحق جاء مصدقاً لما معهم.

ويذكر بعض اللغات البيانية في الآيات، فقد قال: تَقْتَلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ: بصيغة

المضارع، وهذا يدل على استحضر الصورة، وقال (من قبل) وفيه طمأنة للنبي صلى

الله عليه وسلم أنه تعالى عاصمه من القتل.

ومجد في الآيات الإجمال والبيان فقد قال (مصدقاً) ولم يذكر بماذا، هل هو في

أصول الدين أو الفروع أو ماذا؟ ومجد الإمتاع والإقناع في قوله (وهو الحق) .

وينتقل للحديث عن الإيجاز والإطناب، ويذكر أن الكتاب الكريم إذا أطنب كذلك

فإنما هو إيجاز إذ المعنى هو الذي احتاج كثرة الألفاظ، فهو إيجاز، وهذا هو ما ذهب إليه الرماني من قبل.

ويرد القول بالزيادة، ويذكر أن كل كلمة لها معناها في القرآن، ويمثل لذلك بقوله

تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ^ط السورى: 11، ويقول: إن للناس في هذه رأيين: -فأكثرهم- قالوا

الكاف زائدة، لأن الآية بوجود الكاف تنفي المثل عن شبيه الله، فكأنها تسلم بثبوت

المثل، -وقليل- منهم من ذهب إلى أنه لا بأس ببقائها على أصلها، إذ رأى أنها لا تؤدي

إلى ذلك المحال لا نصاً ولا احتمالاً، لأن نفي مثل المثل يتبعه في العقل نفي المثل أيضاً.

وقد رد ما ذهب إليه هؤلاء ، بأن هذا الحرف جاء في موقعه وأنه لو سقط

لسقطت معه دعامة المعنى ، ولتهدم ركن من أركانه وبين هذا من طريقين :-

الأول: لو قال " ليس مثله شيء " لكان هذا نفيًا للمثل المكافئ فقط ، ولكنه قال:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ليفيد نفي المثل المكافئ له في كل صفاته ، ونفي من هو أقل منه .

الثاني: إنه إذا قال " ليس مثله شيئاً " لكانت هذه دعوى فقط ولكنه قال : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

فهي دعوى ودليلها معها كذلك ، ومثال ذلك لو قلت (فلان لا يكذب) لكانت هذه

دعوى ، لكن إذا قلت (مثل فلان لا يكذب) لكانت دعوى ودليلاً كذلك .

2.3.3.3 القرآن في سورة سورة منه

يتحدث الدكتور دراز عن الوحدة الموضوعية في السورة ، فيقول : إن أي كاتب لو أراد

الكتابة في معنى لا بد أن تكون عنده القدرة الفائقة للربط بين جملة فقراته ، فما بالك فيمن

يكتب في أكثر من معنى ، فلا نجد كاتباً أو شاعراً ينتقل من معنى إلى معنى دون أن يشعر

القارئ بالانتقال .

ويذكر أن هنالك أسباباً كان من الممكن أن تجعل القرآن الكريم مفكك الأوصال وهي :

1- الزمن الطويل بين نزول الآيات

2- الطريقة التي اتبعت في ترتيب الآيات .

3- الاختلاف الذاتي بين دواعي الآيات ، لأنها تنزل حسب الوقائع والأحداث ولكن مما يدل

على إعجاز القرآن ، وعلى أن مصدره ليس محمداً - صلى الله عليه وسلم - أنه جاء

مترايبطاً في آياته وسوره على الرغم من تلك الأسباب ، ونحن إذا قرأنا السورة الطويلة

المنجمة في نزولها ، لا نحس بشيء من تناكر الأوضاع ، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام

الألفة ، ويذكر أننا ينبغي أن ندرس السورة كلها حتى نستطيع البحث عن الصلات بين

كل مجموعة من الآيات أو بين آية وأخرى .

3.3.3.3 طريقة القرآن في الجمع بين الآيات

يذكر الكاتب أن القرآن :

1- يعمد إلى الأضداد ، يجاور بينها فيخرج محاسن تلك ومساويء الأخرى ومن ذلك

حديثه عن فريق المؤمنين وفريق الكافرين .

2- يعتمد إلى الأمور المختلفة غير المتضادة فيجعلها تتعارف في أحكامها بالاستشهاد والاستنباط وغير ذلك .

3- إن لم يكن بين المعنيين نسب ولا صهر ، نراه ينتقل من موضوع إلى آخر، دون أن يشعر القارئ، وهذا ما يسمى بحسن التخلّص.

ويطبق الوحدة الموضوعية واتساق الآيات بعضها مع بعض، على سورة البقرة، وهي أطول سورة في كتاب الله ، وقد استغرقت العهد المدني كله ، فكان نزولها في عشر سنين ، فقد ذكر فيها آيات تحويل القبلة وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة - كما نعلم - كما ذكرت فيها آيات الربا وهي من آخر الآيات نزولاً كما ذكر فيها قوله تعالى: **وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ توفى كل نفس ما كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** البقرة: 281.

وقد نزلت قبل انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى (بثمان ليال وعلى الرغم من هذه المدة الزمنية الطويلة وهي عشر سنين فإن الذي يقرأ هذه السورة الكريمة لا يجد فيها موضعاً لثغرة من الثغرات ، والذي لا يعرف المدة التي نزلت فيها السورة الكريمة لا يرتاب في أنها نزلت دفعة واحدة ، وفي وقت واحد ، وذلك لما بين آياتها من صلوات وثيقة وروابط محكمة واتساق بديع.

رحم الله أستاذنا الفاضل رحمة واسعة، وجزاه عما قدم للمسلمين في كشف إعجاز الكتاب الكريم خير الجزاء، وما أعظم الفائدة التي كنا نحنيها لوأن الخطة التي وضعها الشيخ لكتابه قد كملت فحدثنا عن الفصلين الباقيين في المعجزة اللغوية القرآنية فيما بين السورة والسورة، والقرآن في جملته، وعن الوجهين الآخرين للإعجاز : العلمي والتشريعي ، ولكنها مشيئة الله (وأنا لله وأنا إليه راجعون) .

إن كتاب الشيخ في الإعجاز ، هو بحق فتح جديد ، فلقد هضم الشيخ كل ما كتب قبله وأفاد منه ، وقد منحه الله قوة في التقرير ، وإصابة في الفكر مع سعة علم وصدق وعاطفة .

ونعترف هنا بأن ما كتبه الشيخ رحمه الله يصعب تلخيصه، ولكننا اجتزأنا منه ما أمكننا، والذي يود أن ينعم بكلام الشيخ فحري أن يقرأ كتابه مرة بعد مرة. ونحن على يقين أنه سيجد في كل مرة فيه جديداً .



ارجع إلى كتاب النبا العظيم، واقرأ ما كتبه الشيخ حول تحليل سورة البقرة .

4.3 الإعجاز القرآني عند/سيد قطب

1.4.3 توطئة

الشهيد سيد قطب أديب مطبوع معطاء ، وكاتب فذ مرهف ، ثري العواطف ، غني الشاعر ، ألمعي الذهن ، متقد القريحة ، وهو قبل ذلك كله وبعده يمتاز بسمو الروح ، وعمق الإدراك ، وقوة الإيمان ، تفاعل مع القرآن الكريم ، فتفاعل القرآن في نفسه ، وكان هذا التفاعل خالياً من الشوائب ، بعيداً عن الشبهات ذلكم أن تفاعل الرجل مع القرآن الكريم بعد رحلة طويلة قضاها مع أفكار أرضية متضاربة متباينة، وثقافات متعددة كان أسيرها، استهوت فؤاده، وملكت عليه لبه، ولكنه بعد أن خبرها جميعها وجدها نخالات وعفارات فكان لا بد من أن يرجع إلى القرآن وثيقة السماء الوحيدة الخالدة رجوعاً فيه سلامة العقيدة وصفاء الفكر وحاجات النفس .

ولقد سعدت المكتبة الإسلامية بهذا النتاج الثري المبارك ، فمن التصوير الفني في القرآن الكريم ، إلى مشاهد يوم القيامة ، إلى غير ذلك من كتب ومقالات ، ولقد بلغ هذا الإنتاج قمته بما تفتق عنه فكره وحكمة نفسه رحمه الله ، وهو كتاب الظلال .

2.4.3 إعجاز القرآن عند سيد قطب

إن سيداً رحمه الله لم يكتب كتاباً خاصاً بالإعجاز ، ولكن ما كتبه عن القرآن الكريم وهو كثير نتذوق فيه حلاوة الإعجاز ، ويسري فيه روحه ، ولنجد فيه لبه وحقيقته ، ومن نافلة القول أن يكون الإعجاز البياني الوجه الأول والأتم عند سيد رحمه الله ، ولكنه مع ذلك لم يفتنه أن ينبه إلى وجوه كثيرة من وجوه إعجاز القرآن .

يقول " إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه ، وعجز الإنس والجن عن

الإتيان بمثله ، هو عجز كذلك عن إبداع منهج يحيط بما يحيط به (قطب، الظلال، 4/2250)

1.2.4.3 الإعجاز اللفظي (الكلمة القرآنية)

المتتبع لما كتبه سيد - رحمه الله - يجده يولي الكلمة القرآنية كثيراً من العناية ، وهو ينبه على سرها ، ويبين جمالها في موضعها ، ودقتها في سياقها ، وأحقية مكانتها ، فقد اختيرت اختياراً دقيقاً؛ لأن غيرها لا يؤدي ما تؤديه ، وهذا ما نبه عليه وأشار إليه العلماء السابقون كما عرفنا . واليك بعض النماذج مما ذكره رحمه الله .

يقول وهو يقارن بين هاتين الآيتين حيث يذكر قوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى

الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى

إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [صمت: 39] وقوله سبحانه: وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا

أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [الحج: 15].

لقد جاءت كلمة خاشعة في الآية الأولى؛ لأنها تتفق مع السياق ، فالسياق هنا

سياق عبادة ، لأن الآية التي قبلها تحدثت عن سجود الليل والنهار والشمس والقمر ، فكان

من الحكمة البيانية أن يذكر هنا الخشوع؛ لأنه متصل بالعبادة ، أما الآية الثانية فلقد

جاءت الكلمة في سياق الحديث عن نهاية الدنيا وزلزلة الساعة ، وإثبات البعث ، فكان

الملائم مع السياق أن تذكر كلمة هامدة

ويحدثنا عن سر التعبير في كلمة (سَجَى) من قول الله تعالى: وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ

إِذَا سَجَى الضحى: 1-2 دون " أظلم " ودون " يغشى " ؛ ذلك لأن هذا يتناسب مع السياق الذي

جاءت له الآيات ، من انقطاع الوحي مدة وفتوره ، فما هي إلا حالة تشبه " سجي الليل " دون

أن يعم ظلامه .

وأشار إلى دقة التعبير عند قوله تعالى: كَذَٰلِكَ كَذَّبَ لِيُؤْسَفَ لِيُؤْسَفَ 176 فقال:

والكيد يطلق على التدبير في الخفاء للخير أو للشر سواء ، وإن كان الشر قد غلب عليه ،

وظاهر الأمر هنا أنه شر يحل بأخيه ، وهو شر يحل بأخته لا حراجهم أمام أبيه ، وهو سوء -

ولو مؤقتاً - لأبيه ، فهذا اختار تسميته كيداً على اجمال اللفظ ، وبالإلماع إلى ظاهره ، وهو

من دقائق التعبير " . (قطب ، الظلال ، 202/3) .

وعند قوله "ينشر لكم ربكم من رحمته" يقول : ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة

ممتدة، يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ [الكهف: 16] ولفظة (ينشر) تلقي ظلال السعة

والبحبوحة والانفساح، فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب " . (نطب. الظلال 4/2262) .

وبين سر اختيار كلمة (تظلم) في قوله تعالى: كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ

تَظْلَمُ مِنْهُ شَيْئاً [الكهف: 33] . قال، ويختار التعبير (تظلم) في معنى تنقص وتمنع،

لتقابل بين الجننتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر " (نطب. الظلال، 4/2270) .

وبين سر التعبير عند قوله سبحانه: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا عِنْدَهُ

ليرسف: 79) فما السر في استعمال هذه الكلمة (عنده) ولم يقولوا " معاذ الله أن نأخذ برئنا مكان سارق، لأنه يعلم أن أخاه ليس بسارق، وهذا قليل من كثير عند سيد -رحمه الله- .

2.2.4.3 مميزات الأسلوب القرآني وخصائصه

وكما حدثنا - رحمه الله - عن سر الكلمة ، فهو يحدثنا عن مزايا أسلوب القرآن

وخصائصه ، وهو ما يجعل القرآن الكريم في أعلى طبقات البلاغة :

① تأثيره على النفوس : يقول " سيد قطب " إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري، إن له سلطاناً عجبياً على القلوب ، ليس للأداء البشري ، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً . (نطب. الظلال، 3/1786) .

② استثماره الألفاظ القليلة في التعبير عن القضايا الكبرى : يقول سيد قطب :

إن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض ، وذلك بأوسع مدلول ، وأدق تعبير ، وأجله وأحياء أيضاً مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو ، ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن واحد ، بحيث لا يغني لفظ عن لفظ في موضعه، وبحيث لا يجور الجمال على الدقة ولا الدقة على الجمال ، ويبلغ من ذلك مستوى لا يدرك إعجازه أحد كما يدرك ذلك من بزاولون فن التعبير فعلاً ، لأن هؤلاء

هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال ، ومن ثم يتبينون بوضوح أن هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعاً . (قطب، الظلال، 1787/3) .

3- احتمال النص لمعاني كثيرة كلها صحيح - يقول سيد قطب :

النص الواحد يحوي مدلولات متنوعة متناسقة في النص ، وكل مدلول فيها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء، أو اختلاط بين المدلولات، وكل قضية وكل حقيقة تنال الذي يناسبها بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى. (قطب، الظلال، 1787/3) .

4- استحضار المشاهد وتمجيس الأحداث وتصويرها تصويراً ينفذ إلى أعماق النفس :

يقول " وللأداء القرآني طابع جاوز كذلك في القدرة على استحضار المشاهد ، والتعبير المواجه . كما لو كان المشهد حاضراً ، بطريقة ليست معهودة على الإطلاق في كلام البشر ، ولا يملك الأداء البشري تقليدها ، لأنه يبدو في هذه الحالة مضطرباً غير مستقيم مع أسلوب الكتابة . (قطب، الظلال، 1787/3) .

3.4.3 نظرية التصوير الفني

وإذا كان ما تقدم من الإعجاز البياني يشارك فيه سيد غيره من العلماء -رحمهم الله- فإن مما امتاز به الرجل حديثه عن التصوير الفني في القرآن الكريم، وهو جانب من الإعجاز البياني كما يراه كثير من الناس .

إن الأساس الذي يقوم عليه التصوير الفني كون التصوير هو الأداة المفضلة في التعبير، والقاعدة الأساسية في الكتاب العزيز ، عدا آيات الأحكام بالطبع ، وهذا التصوير ليس للمعاني المجردة وحدها ، بل هو للحالات النفسية ، والحوادث التاريخية والقصص والأمثال كذلك ، وهذا التصوير يقوم على التجسيم المحسوس والتخييل ، وهو إذ يأتي بأمثلة لذلك يشعر القاريء وكأنه أمام مناظر بدیعة ، تصور حالات من مشاهد الكون بل والحق يقال إن ما تحدّثه الآيات في النفس أعظم وأكثر روعة وأشد أثراً من تلك .

يقول رحمه الله " ويجب أن نتوسع في معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن ، فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخييل ، كما أنه تصوير بالنعمة تقوم مقام اللون في التمثيل وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، في إبراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان .

وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة ،
تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في
نفوس آدمية حية ، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة " . (قطب، التصوير
الفني، ص 33) .

1.3.4.3 خصائص التصوير الفني

يعرض سيد قطب رحمه الله لخصائص هذا التصوير الفني وهي :

أولاً: التخييل الحسي:

وذلك أن أغلب الصور في القرآن فيه حركة، يرتفع بها نبض الحياة ، وتعلو بها
حرارتها، وهذه الحركة ليست مقصورة على مشاهد القصص والحوادث، ولا على مشاهد
القيامة، ولا صور النعيم والعذاب، أو صور البرهنة والجدل، بل إنها لتلحظ كذلك في مواضع
أخرى، وهذه الحركة، حركة حية مما تنبض به الحياة الظاهرة للعيان، أو الحياة المضمره في
الوجدان، وهي التي نسميها "التخييل الحسي" التي يسير عليها التصوير في القرآن لبث
الحياة في شتى الصور مع اختلاف الألوان، وهذا التخييل الحسي له ألوان :

1- لون من ألوان التخييل يمكن أن نسميه التشخيص وهو يتمثل في خلق الحياة على
المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية ، مثال ذلك خلق الحياة على

الصبح ، فها هو الصبح يتنفس وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسُ [التكرير : 18] حيث بخيل إليك
هذه الحياة الوديعه الهادئة التي تنفج عنها ثنياه ، وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة
ويدب النشاط في الأحياء، على وجه الأرض والسماء .

وهذا هو الليل يسرع في طلب النهار ، فلا يستطيع له دركاً يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ

يَطْلُبُهُ حَشِيئًا [الأعراف: 54] ويدور الخيال مع هذه الدورة الدائبة ، التي لا نهاية لها ولا
ابتداء .

أو هذا الليل يسري وَاللَّيْلُ إِذَا يَبْسُرُ فتحس سريانه في هذا الكون العريض ،

وتأنس بهذا الساري على هيئة واتناد . [قطب، التصوير / ص 61، 62] .

2- ومن ألوان التخيل تلك الصور المتحركة التي يعبر بها عن حالة من الحالات أو معنى

من المعاني، كالصورة التي تخيلها الآية: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ

رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا الكهف: 109، فالخيال

يظل يتصور تلك الحركة الدائبة، حركة الإمتداد بقاء البحر لكتابة كلمات الله في غير ما توقف ولا انتهاء، إلى أن ينتهي البحر بالنفاد.

3- ومن ألوان التخيل: ما يتمثل في الحركة المتخيلة التي تلقيها في النفس بعض

التعابير، مثل: وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا الفرقان: 23،

إذ تلفتنا فيها لفظة (فقدمنا) ذلك أنها تخيل للحس حركة القدوم التي سبقت نشر العمل كالهباء، وهذا التخيل يتوارى بكل تأكيد لو قيل: وجعلنا عملهم هباءً منثوراً حيث كانت تنفرد حركة النشر وصورة الهباء، دون الحركة التي تسبقها حركة القدوم.

4- ومن ألوان التخيل يتمثل في تلك الحركات السريعة المتتابعة، يريد أن يبين أن الذي

يشرك بالله لا منبت له ولا جذور، ولا بقاء له ولا استقرار، فيمثل لهذا المعنى بصورة

سريعة الخطوات عنيفة الحركات: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ

الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ الحج: 31.

هكذا في ومضة يختر من السماء من حيث لا يدري أحد، فلا يستقر على الأرض

لحظة، إن الطير لتخطفه، أو أن الريح لتهوي به، وتهوي به في مكان سحيق، حيث لا يدري أحد كذلك، وهذا هو المقصود.

5- ومن ألوان التخيل ما يتمثل في الحركة المنوحة لما من شأنه السكون، كقوله تعالى

"وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا" فحركة الاشتعال هنا تخيل للشيب في الرأس حركة

كحركة اشتعال النار في الهشيم فيها حياة وجمال.

ثانياً : التجسيم:-

ويعني به سيد قطب رحمه الله تجسيم المعنويات، لا على وجه التشبيه والتمثيل، بل

على وجه التصيير والتحويل.

من ذلك قوله تعالى: وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ (الأنعام: 31) وفي هذا

تجسيم للذنوب كأنها تحمل على الظهر، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، (النجم: 118) فهي تتحدث عن حالة نفسية معنوية هي حالة التضايق

والضجر والحرَج، فيحسها كحركة جثمانية... فالأرض تضيق عليهم، ونفوسهم تضيق بهم كما تضيق الأرض، ويستحيل الضيق المعنوي في هذا التصور ضيقاً حسيّاً أوضح وأوقع، وتتجسم حالة هؤلاء الذين تخلفوا عن الغزو مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فأحسوا بهذا الضيق الخائق، وندموا على تخلفهم ذلك الندم المرحج، حتى لا يجدون لهم ملجأ ولا مفراً، ولا يبطقون راحة إلى أن قبل الله توبتهم.

ومن التجسيم وصف المعنوي بحسوس، كوصف العذاب بأنه غليظ وَمِنْ وَرَائِهِ

عَذَابٌ غَلِيظٌ (إبراهيم: 17). واليوم بأنه ثقیل وبذرون وَرَأَاهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (الإنسان: 27) فينتقل العذاب من معنى مجرد إلى شيء ذي غلظ وسك، وينتقل اليوم من زمن لا يمسك إلى شيء ذي كثافة ووزن.

وكثيراً ما يجتمع التخييل والتجسيم في المثال الواحد في القرآن، فيصور المعنى المجرّد جسماً محسوساً، ويخيل حركة لهذا الجسم أو حوله من إشعاع التعبير، من ذلك بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ (الأنبياء: 18) فكانما الحق قذيفة خاطفة تصيب الباطل فتزهقه (قطب/ التصوير، ص 63-7).

فإننا : التناسق الفني:-

يتحدث سيد قطب عن التناسق الفني في الآيات ، من إيقاع بين أجزائها وتلازم بين ألفاظها ومعانيها ، ويذكر رحمه الله أروناً للتناسق الفني :-

أ- تناسق التعبير مع الحالة المراد تصويرها ، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية مثال ذلك ، قوله تعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

1 الأنتال: 22 } فإن الدواب تطلق عادة على الحيوان ، وإن كانت تشمل الإنسان فيما تشمل لأنه يدب على الأرض ، لكن شمولها هذا للإنسان ليس هو الذي يتبادر إلى الذهن، لأن للعادة حكمها في الاستعمال ، فاختيار كلمة الدواب هنا ، ثم تجسيم الحالة التي تمنعهم من الانتفاع بالهدي بوصفهم " الصم والبكم " كلاهما يكمل صورة الغفلة والحيوانية ، التي يريد أن يرسمها لهؤلاء الذين لا يؤمنون أنهم لا يعقلون .

ومن ذلك قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ

وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ¹ محسد: 12} فقد رسم لهم بهذا التشبيه صورة دقيقة: إنهم يأكلون ويتمتعون غافلين عن الجزاء الذي ينتظرهم، كما تأكل الأنعام وتمرح، غافلة عن شفرة القصاب، أو غافلة عما سوى الطعام والشراب" (فطب/التصوير الفني، ص75).

ومن ألوان التناسق أن يستقل لفظ واحد يرسم صورة شخصية، فاللفظ يرسم الصورة تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وأخرى بظله الذي يلقيه في الخيال، ومرة بالجرس والظل معاً، وذلك كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ؟ (التوبة: 38) ، فيتصور الخيال ذلك الجسم المثقل، يرفعه الرافعون

في جهد فيسقط في أيديهم في ثقل، إن في هذه الكلمة " طناً " على الأقل من الأثقال، ولو أنك قلت: تثاقلتم لحف الجرس ، ولضاع الأثر المنشود وتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها اللفظ.

ومن ذلك وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ النساء: 72} فترسم صورة التبطئة في

جرس العبارة كلها وفي جرس ليبطئن خاصة، وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها حتى يصل ببطء إلى نهايتها (فطب، التصوير، 76).

ومن ألوان التناسق تلك المقابلات الدقيقة بين الصور التي ترسمها التعبيرات ، ومن ذلك هاتان الصورتان السريعتان للبت والجمع ، قال تعالى: وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (الشورى: 29) فصورة بت الدواب وصورة جمعها تلتقيان في سطر بينما الخيال نفسه يكاد يستغرق مدى

أطول في تصورها واحدة بعد الأخرى ، ومن ذلك المقارنة بين الكافرين والمؤمنين كما رسمته صورة الغاشية .

د- ومن ألوان التناسق التقابل بين صورتين أحدهما حاضرة والأخرى ماضية في الزمان ، حيث يعمل الخيال في استحضار هذه الصورة الأخيرة ليقابلها بالصورة المنظورة ، قال تعالى "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ" فالصورة الحاضرة هنا صورة الإنسان الخصيم المبين ، والصورة الماضية هي صورة النطفة الحقيرة. (تطب. التصوير، ص 81) .

ويتحدث سيد قطب عن التناسق في سورة (والليل) . قال تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (الليل: 2) ، إنها شيطان أسود وأبيض، ليل ونهار، وكأما السورة كلها تقوم على ذلك المشهد فهناك الذكر والأنثى، وأعطى واتقى، وبخل واستغنى ، واليسرى والعسرى، والآخرة والأولى، والأشقى والأتقى.

كما يحدثنا دون تكلف عن سر الإعجاز في الفاصلة القرآنية ، وسر تغييرها ، فهذه الفاصلة في سورة مريم وهي تتحدث عنها وعن عيسى عليه الصلاة والسلام: وَأَذْكُرُ فِي

الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ لُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا
إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا.....

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا..... وفجأة وإذا بالفاصلة تتغير ذلك عيسى ابن

مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ سَبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
فَأَنفَأ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اسم: 16-35 . لماذا ؟ يقول : إنه الحكم يصدر ولهجة صدر

الحكم تختلف عما قبلها من لهجات المرافعة والإدعاء .



عرف التصوير الفني واذكر خصائصه الفنية، مع التمثيل بمثال واحد لكل منها.

وهكذا أخي الدارس، أختي الدارسة، نسير معه والآيات تسير به، وهكذا تنكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق من التناسق والإتساق، فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى سياق متسلسل، إلى لفظ معبر، إلى تعبير مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى موسيقى منغمة، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى توافق في الموسيقى، إلى تفنن في الإخراج، وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز.

2.3.4.3 القصة في القرآن

وحيثما يعرض للقصة في القرآن، ويذكر أغراضها الدينية، يقفني على ذلك بالخصائص الفنية للقصة في القرآن، ويذكر من هذه الخصائص: تنوع طريقة العرض، وتنوع المفاجأة، والفجوات بين المشهد والمشهد، ليتأمل السامع، وأما الخصيصة الرابعة وهي أهم هذه الخصائص. فهي التصوير في القصة، سواء كان هذا التصوير لقوة العرض أو العواطف والانفعالات أو رسم الشخصيات فمثلاً بعد نهاية القصة في القرآن تتفق فنياً مع المشهد الأخير لنهاية كل قصة، فهذه قصة موسى عليه السلام: ذكرت آخر ما ذكرت في سورة المائدة، حينما وصل بنو إسرائيل إلى التيه ولم ينزل شيء، بعد ذلك عن سيدنا موسى.

أما في تصوير العواطف والانفعالات، فأكتفي بمثال واحد مما ذكره، ولنستمع إليه وهو يحدثنا عن قصة مريم عليها السلام، وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (مريم: 16) فما هي ذي في خلوتها، مطمئنة إلى انفرادها، يسيطر على وجدانها ما يسيطر على الفتاة في حمامها، ولكن ها هي تفاجأ مفاجأة عنيفة، تنقل تصوراتها نقلة بعيدة، ولكن بسبب ما هي فيه أيضاً

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ

مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا إنها انتفاضة العذراء المذعورة ينفجوها رجل في خلوتها فتلجأ إلى

استشارة التقوى في نفسه ، إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا

ولئن كنا نحن نعلم أنه الروح الأمين ، فإنها هي لا تعلم إلا أنه رجل ، وهنا يتمثل الخيال تلك الفتاة الطيبة البريئة ، ذات التقاليد العائلية الصالحة ، وقد تربت تربية دينية ، كفلها زكريا ، بعد أن نذرت لله جنيناً ، هذه هي الهزة الأولى .

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ثم يتمثل الخيال مرة أخرى: مقدار الفرع والنجبل، وهذا الرجل الغريب، الذي لم تثق بعد بأنه رسول ربها، فقد تكون حيلة فاتك يستغل طبيعتها بصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول، وهو أنه يريد أن يهب لها غلاماً وهما في خلوة وحدهما ، وهذه هي الهزة الثانية.

ثم تدركها شجاعة الأنثى تدافع عن عرضها قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي

بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا هكذا صراحة، وبالألفاظ المكشوفة، فهي والرجل في خلوة ، والغرض من مباغتته لها قد صار مكشوفاً، فما تعرف هي بعد كيف يهب لها غلاماً ، وما يخفف من روع الموقف أن يقول لها إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ فقد تكون هذه خدعة فاتك كما قلنا ، فالحياء إذن ليس يجدي ، والصراحة هنا أولى .

قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ثم ماذا ؟

هنا نجد فجوة من فجوات القصة ، فجوة فنية كبرى ، تترك للخيال تصورها ، ثم تمضي القصة في طريقها ، لنرى هذه العذراء المسكينة في موقف آخر أشد هولاً: فَحَمَلَتْهُ

فَأَنْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جُدُوعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلِيَّتَنِي مَتَّ قَبْلَ

هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا وهذه هي الهزة الثالثة .

فلئن كانت في الموقف الأول تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها ، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة ، ثم هي تواجه آلاماً جسدية بجانب الآلام النفسية تواجه الأثم الجسمي الحاد الذي " أجامها " إجابة إلى جلع النخلة ، وهي وحيدة فريدة تعاني حيرة العذراء في أول مخاض ، ولا علم لها بشيء ، ولا معين لها في شيء ، فإذا هي تقول:

يَلِيَّتِنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا فَإِنَّا لَنكَاد نَرَى مَلَاحِمَهَا ، وَنَحْسُ اضْطِرَابِ
خَوَاطِرِهَا وَنَلْمَسُ مَوَاقِعَ الْأَلَمِ فِيهَا .

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ
تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا فَكَلَى وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا .

وهذه هي الهزة الرابعة ، والمفاجأة العظمى ، وإنا لنكاد نحن لا مريم نهبُ على أقدامنا
وثباً ، روعة من هذه الهزة وعجباً طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها ، ويمهد لها مصابها
ويهيئ لها طعامها ، ألا إنها الهزة الكبرى .

ونحسها قد دهشت طويلاً ، وبهتت طويلاً ، قبل أن تمدَّ يدها إلى جذع النخلة ، تهزه
ليساقط عليها رطباً جنياً ، لتتأكد على الأقل ، وليطمئن قلبها لما تواجه به أهلها ، ولكن هنا
فجوة تترك للخيال أن يقيم عندها قنطرة أو يعبرها .

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، فلتطمئن الآن مريم ، ولتنقل الهزات النفسية إلى سواها ، قَالُوا

يَمْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا .
إن الهزة لتطلق ألسنتهم بالسخر والتهكم على " أخت هارون " أو في تذكيرها بهذه
الأخوة ما فيه من مفارقة ، فهذه حادثة في هذا البيت لا سابقة لها " ما كان أبوك امرأة سوء
وما كانت أمك بغية " .

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، وببدو أنها مطمئنة لتكرار المعجزة هنا ، أما هم فما عسى أن نقول في

العجب الذي يساورهم ، والسخرية التي تجيش بها نفوسهم ، وهم يرون عذراء تواجههم بطفل ،
ثم تتبجح فتشير إليهم ليسألوه عن سرها ؟ " قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ؟ " .

ولكن ها هي ذي المعجزة المرتقبة " قال : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا كُنتُ حَيًّا وَبِرَأٍ بَوَالِدَتِي

وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا .

لو أننا قد جرينا من قبل ، لوئبنا على أقدامنا فرعاً ، أو لسرنا في مواضعنا دهشاً ، أو لفرنا أفواها عجباً، ولكننا جرينا فلتفض أعيننا بالدمع من التأثر .
في هذه اللحظة يسدل الستار، والأعين تدمع للانتصار، وفي هذه اللحظة نسمع في لهجة التقدير ، وفي أنسب فرصة للإقناع والإمتاع .

ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ
وَسُبْحٰنَهُ اِذَا قَضٰى اٰمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ وَاِنَّ اِلٰهَ رَبِّكُمْ فَاَعْبُدُوْهُ هٰذَا
صِرٰطٌ مُسْتَقِيْمٌ

لقد برز الغرض الديني هنا، وبرزت مشاهد القصة، وبرزت معها قوة العواطف والانفعالات وهي شيء ، وهذا اللون هو يطبعها ، ويغلب فيها على الألوان الأخرى .
تلك هي الزاوية التي تنبئ لها رحمه الله ، فتناول النص القرآني من خلالها ، وهو كما قلت من قبل ، مجدد مبتكر كسابقيه، وكان لكل واحد منهم ، زاوية خاصة استأثر بها في عرض النص القرآني .

أما كتابه "مشاهد القيامة" ، فإنما هو عرض للآيات التي تحدثت عن اليوم الآخر ، مصورة تلك المعاني الذهنية، فيشبهه أن تكون فصلاً شاملاً ، أو تطبيقاً عملياً لما جاء في كتاب التصوير.



نشاط (9)

ارجع إلى كتاب التصوير الفني لسيد قطب ولخص حديثه عن التصوير في القصة القرآنية وخصائصه.

5.3 بنت الشاطيء: والإعجاز البياني في القرآن

1.5.3 توطئة

الدكتورة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطيء " لها كتاب في الإعجاز البياني ، بدأت كتابها بقولها " لولا نسب لي في الشيوخ عريق ، لتهدبت التصدي لهذا الموضوع الدقيق

الصعب الذي توارد عليه أئمة من علماء السلف ، أفنوا أعمارهم في خدمة القرآن الكريم ،
 وقدموا إلى المكتبة الإسلامية ثمار جهودهم السخية الباذلة (بنت الشاطي - الإعجاز البياني، ص 11).
 عرضت في المقدمة المسيرة التاريخية للإعجاز منذ القرن الثالث الهجري، إلى هذا
 القرن، ولكننا نجد الكاتبة تحاول أن تنقص من قدر علمائنا السابقين، وتصورهم جميعاً صورة
 مستكبره منفرة، ولم تتحدث بكلمة واحدة تبين فيها منزلة هؤلاء الأعلام الأقدمين منهم
 والمحدثين، بل همزتهم ونالت منهم جميعاً وهذا ما لم نكن نتوقعه من الكاتبة.
 ثم تحدثت في المبحث الأول عن المعجزة وآيات التحدي، وما نظنها جاءت بجديد،
 ولكنها - كما قلنا - لا تدع فرصة تسنح لها أبداً إلا وتنال من الباقلاني وترد عليه.

2.5.3 رأيها في الإعجاز

1.2.5.3 فواتح السور

أول الموضوعات التي بدأت بها بحثها بنت الشاطي، فواتح السور، وقد ذكرت أقوال
 المفسرين في هذه الحروف، ومن هذه الأقوال: انها حروف يتألف منها اسم الله الأعظم،
 ومنها انها أسماء للسور، وقيل هي أصوات للتنبيه. وقيل هي سر مكنون من أسرار الله،
 لا يعلمه إلا هو.

وخلصت بنت الشاطي، لترجع ما قرره من قبل الإمام الزمخشري وقد نقلته عن أبي
 حيان وأغفلت ذكر الزمخشري - وما كان ينبغي لها أن تكثر من هذه الأقوال . من أن الحروف
 جاءت للتنبيه والتحدي، التنبيه إلى أن هذا الكلام الذي تنطقون به هو من جنس كلامكم
 الذي تنطقون به ، ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون الإتيان بمثله ، وذلك أنه كانت كل سورة
 تبتدئ بالحروف المقطعة ، كان يذكر بعدها القرآن الكريم مباشرة ، قال تعالى: **الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ**

لَا رَيْبَ فِيهِ البقرة: 1، وقال تعالى: **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** القلم: 1، وقال تعالى:

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ص: 1، **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** ق: 1.



تدوين (12)

أخي الدارس، أختي الدارسة، ما المقصود بالأحرف المقطعة في بداية السور القرآنية .

ابتدأت الكتابة الحديث عن الزوائد، فهي تنكر الزوائد في كتاب الله تبارك وتعالى ، وهي تتحدث عن الباء في خبر (ليس) التي عدها النحويون زائدة.

وتعرض الكتابة لنيابة الحروف بعضها مكان بعض، وتمثل لذلك بقوله تعالى: وَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا مَثَلْتُمُوهُنَّ وَتِلْكَ وَرِيعٌ ^{أَوْرُوطٌ} ^{النساء: 3}

وتقول إن المفسرين ذهبوا إلى أن الواو بمعنى (أو) وتدعي أن المفسرين قالوا إن (في)

بمعنى (عن) في قوله " وهم في ربهم يترددون " وقوله: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ

وَرَفَعُوا ^{فِي} صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ^{الماعن: 5.4}، فقالوا الأولى بمعنى عن ربهم " والثانية بمعنى "

في صلاتهم ساهون " .

ونحن مع الكتابة في نفي التناوب ، ولكننا لسنا معها كذلك ، إذ تنسب هذا إلى

المفسرين، وكنا نتمنى أن تحدثنا عن أولئك المفسرين الذين نسبت إليهم الأقوال ، وها هم أئمة

التفسير البياني وها هي الكتب المعتبرة في التفسير، وها هو ذا تفسير روح المعاني لعلامة

الرافدين الألوحي - رحمه الله - وهو آخر التفاسير من حيث التحقيقات البيانية وما يتصل

بها ، لا نجد فيه شيئاً مما ذكرته الكتابة .

ولقد ذكر الخطابي في رسالته بسنده أن رجلاً سأل أبا العالية عن قوله سبحانه:

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ^{الماعن: 5.4} في حضرة الحسن البصري ،

فقال أبو العالية ، هذا لمن يسهو في صلاته، قال الحسن البصري -رحمه الله- لا يا أبا

العالية: إن الله يقول (عن صلاتهم) ولم يقل (في صلاتهم) .

ولقد تحدث المفسرون عن سر استعمال (الواو) في قوله: مَثَلْتُمُوهُنَّ وَتِلْكَ وَرِيعٌ ^{النساء}

: 3 [بدل (أو) ، أفيجوز للسيدة الكتابة أن تطلق هذا الكلام إطلاقاً من غير تمحيص وتقول :

يقول المفسرون ؟ وهي تعلم أن كثيرين سينقلون كلامها على أنه من المسلمات .

إن تصيد الأقوال الشاذة ونسبتها إلى جمهور المفسرين والعلماء لا يقره منطق الأمانة

والعلم .

3.2.5.3 دلالات الألفاظ

تعالج الدكتورة عائشة في هذا الفصل قضية الترادف في اللغة العربية، وقد بينت اختلاف العلماء في هذه المسألة، فمنهم من يقول بالترادف، ومنهم من ينكره، وظل هذا الخلاف قائماً حتى راج في العصور الأخيرة القول بالترادف، ثم اقترح أحد السادة الأعضاء في المجمع اللغوي في القاهرة أن يصنف معجم الألفاظ العربية يخفف فيه من ثقل المترادفات، والكاتبة بدورها تنكر وجود الترادف في العربية، وقد مثلت لذلك في القرآن الكريم.

1- (الرؤيا والحلم) بينت أن الحلم يأتي في القرآن الكريم، ويكون المقصود منه الأضغاث

المشوشة، والهواجس كقوله تعالى: قَالُوا أَضْفَلْتُمْ أَحْلَمُ (يوسف: 44) أما الرؤيا

فجاءت في الرؤيا الصادقة، واستعملت مفردة دلالة على تمييزها ووضوحها وصفانها.

2- أنس وأبصر: الإيناس ليس مجرد الإبصار، ولكنه يزيد عليه بالطمأنينة المؤنسة، وهذا

ما يدل عليه السياق في الآيات: إِنِّي ءَأَنَسْتُ نَارًا (طه: 10)، وهو قد أبصرها وأنس

بها، وقوله: حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا (النور: 27) ليس مجرد الإستئذان، وإنما هو حسن

الإيناس لدى أهل البيت.

3- النأي والبعد: النأي هو الإعراض والصد والإشاحة وإِذَا أَنَعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ

أَعْرَضْنَا وَنَسَا بِجَانِبِهِ (الإسراء: 83) أما البعد فهو ضد القرب، سواء كان بعداً مادياً

أم معنوياً بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ (النساء: 42)، وقيل: بُعْدُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (مريم: 44).

وهكذا تبين الكاتبة مشكورة مدلولات الألفاظ، فكل كلمة في كتاب الله لها معناها ومدلولها، وهو ملحظ دقيق طيب، لم تكف الكاتبة فيه بالدراسة النظرية، بل قامت مشكورة بدراسة عملية تطبيقية.

4.2.5.3 الأساليب وسر التعبير

تتحدث الكاتبة في هذا الفصل عن حذف الفاعل، فالأفعال في القرآن كثيراً ما تأتي مبنية للمجهول، أو مسندة إسناداً مجازياً، وذكرت الكاتبة أن البلاغيين يكتفون بالقول بأن

الفاعل قد حذف للعلم به أو الجهل ، أو الخوف منه أو عليه ، وتبين هي أن الفعل إذا كان مبنياً للمجهول يكون حذف الفاعل لتركيز الإهتمام على الحدث بصرف النظر عن المحدث ، وإن الإسناد المجازي يعطي المسند إليه فاعلية محققة يستغنى بها عند ذكر الفاعل الأصلي ، ويظهر هذا في مشاهد يوم القيامة مثل وَنُفِخَ فِي الصُّورِ [الكهف: 99] ، [النجم: 23] ،

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ [الزمر: 173] ، فلم يذكر الفاعل هنا وذلك للتركيز على الحدث .

وقد لا يذكر الفاعل ليعين أن الحدث يحدث تلقائياً ، أو على وجه التسخير ، كأنه

ليس بحاجة لفاعل كقوله تعالى: كُنْتُ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ .

وما ذكرته الكاتبة أشار إليه عبد القاهر - رحمه الله - ثم ذكره من بعده من

المفسرين وعلماء البلاغة.

وقد تحدثت بنت الشاطيء ، كذلك عن القسم بالواو وخالف المفسرين فيما ذهبوا إليه ، وارتأت أن الواو هنا قد خرجت عن أصل معناها اللغوي ، وهو القسم للعظم إلى معنى بلاغي هو اللفت إلى حسيات لا تحتتمل أن تكون موضوع جدل ، وهذا يكون توطئة لبيان معنويات يمارى فيها ، فالقسم بالفجر والصبح والشمس والنهار ، يجلو معاني من الهدى والحق والضلال والباطل.

ولسنا معها فيما ذهبت إليه بالطبع ، بل نحن مع جمهور المفسرين ، من أن القسم هنا

للعظم.

وتتحدث الكاتبة عن السجع ، وتذكر آراء العلماء السابقين ، وهي لا ترى بأساً أن يكون في القرآن سجع ، وأن تسمى رؤوس الآيات فواصل ، وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء ، ومن ذلك

قوله تعالى: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى [الضحى: 3] ، قالوا إن المفعول قد حذف مراعاة للفاصلة ،

ولكنها ترد هذا القول بأن حذف الكاف من (قلى) مع دلالة السياق عليه تقتضيه حساسية مرهفة باللغة الدقة هي تحاشي خطابه تعالى رسوله في موقف الإيناس بصريح القول: وما قلاك ، وذلك لما في القلى من الإبعاد وشدة البغض ، أما التوديع ، فلا شيء فيه ، وهذا لا يكون إلا بين الأحباب ويكون مع رجاء العودة وأمل اللقاء ، وهذا القول سبقها إليه أنمتنا وإن لم تشر إليهم.

وأخيراً تتحدث الكاتبة عن سر التعبير في قوله: لَا أُقْسِمُ وبعد أن تذكر أقوال العلماء

جميعاً وتردها تبين رأيها :

- 1- فقد قيل إنها نافية ، ومنهم من قال إنها تنفي شيئاً تقدم في سورة أخرى ، ومنهم من قال إنها تنفي الفعل أقسم .
- 2- وقيل هي زائدة .
- 3- وقيل هي لام الابتداء أشيعت فتحتها فتولدت عنها ألف ومنه قراءة الحسن

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ .

- 4- وترى بنت الشاطي (أن (لا) هنا جاءت لنفي الحاجة للقسم ، وفرق بين أن تكون (لا) لنفي القسم ، وبين أن تكون لنفي الحاجة للقسم ، ومن نفي الحاجة للقسم يأتي التأكيد والتقرير ، لأنه يجعل المقام في غنى " بالثقة واليقين عن الإقسام ، ومثلت لذلك بقولك لصديقك " لا أوصيك بكذا " تأكيداً للتوصية بنفي الحاجة إليها .

نقول : ولكن إذا كان الله تعالى ليس بحاجة إلى قسم ، فكيف يتفق هذا مع قوله :

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ وقد أقسم الله تعالى هنا ،

وهكذا أخي الدارس ، أختي الدارسة عرضنا لك خلاصة موجزة لكتاب الإعجاز لبنت الشاطي .



نشاط (10)

ارجع إلى كتاب الإعجاز البياني لبنت الشاطي ، ص 235 ولخص حديثها عن السجع

ورعاية التواصل .

6.3 موريس بوكاي

وكتابه دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة .

1.6.3 توطئة

كتب الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف

الحديثة) وقد هدف من كتابه هذا دراسة الكتب المقدسة: التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم،

ليرى مدى توافق معطيات كل كتاب مع معطيات العلم الحديث.

بدأ بدراسة التوراة أولاً، فوجد أن أسفار التوراة جميعها تتناقض مع العلم الحديث،

وأكثر هذه المتناقضات في سفر التكوين في قضايا ثلاث جوهرية، وهي:

1- خلق العالم ومراحله.

2- تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.

3- رواية الطوفان.

وكذلك في حديثه عن الإنجيل، وجد التناقضات الصريحة بين روايات الأناجيل نفسها،

في نسب المسيح عليه الصلاة والسلام، وفي رواية الآلام، وظهور المسيح بعد قيامته، وصعود المسيح وغيرها من القضايا، وخلص إلى أن الأناجيل تحتوي على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده، وهي أمور غير معقولة لا تتوافق مع معطيات العلم الحديث.

وانتقل للحديث عن القرآن الكريم، فذكر أن القرآن الكريم لم يعثره أي تحريف أو تغيير أو ضياع، ويدل لذلك: الأمانة والدقة التي توخيت في جمع القرآن الكريم، وكتابته، وبين أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من تأليف النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لأن للنبي - صلى الله عليه وسلم - أسلوباً آخر عرفت به (الأحاديث النبوية) وهي تختلف كثيراً عن القرآن الكريم. ولا يعقل أن يكون لشخص واحد أكثر من أسلوب في التعبير، ثم إنه لا يمكن لإنسان - كان في بداية أمره أمياً - ثم أصبح فضلاً عن ذلك سيد الأدب العربي على الإطلاق، أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذا الوجه .

2.6.3. قضية خلق السماوات والأرض

أخي الدارس، أختي الدارسة :

1- ثم ذكر بعد ذلك نقاط الاختلاف والتجانس بين رواية التوراة ورواية القرآن في قضية الخلق، فالتوراة تذكر أن السماوات والأرض خلقتا في ستة أيام وتبعها يوم الراحة يوم السبت، ويوم في مفهوم التوراة المسافة الزمنية بين إشراقين متتاليين للشمس أو غروبين متواليين، والقرآن كذلك يذكر إن السماوات والأرض خلقتا في ستة أيام،

واليوم في اللغة له أكثر من معنى:

أ- إنه الساعات الأربع والعشرين بين شروقين أو بين غروبين.

ب- النهار حتى تغرب الشمس.

ج- المدة من الزمن، وهذا ما اختاره الكاتب في تفسير اليوم، والدليل على ذلك قوله

تعالى: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (السجدة: 5) وقوله: فِي يَوْمٍ كَانَ

مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (المارج: 4).

2- يذكر أن القرآن لا يحدد ترتيباً في خلق السماوات والأرض، ففي آية تقدم (الأرض)

وفي أخرى تقدم السماوات على الأرض ولكن هناك سورة واحدة حددت هذا الترتيب

وهي سورة النازعات: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَّاها رَفَعَ سَمَكها فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلها وَأَخْرَجَ فُصْحها وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْها.

3- ويحدث عن عملية تشكل الكون، وأنتهائها إلى تكوين العالم أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا

4- ويرى أن [رقم (7)] في قوله تعالى: فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ رمزي يراد به العدد

الكثير، كما عرف عند اليونان والرومان، فهذا الرقم يرمز إلى التعدد دون تحديد، ولا

نستطيع أن نوافق الكاتب على هذا الرأي، فإن هذا العدد ذكر كثيراً في كتاب الله،

وتأكيد القرآن ذكر هذا العدد في آيات كثيرة دليل قاطع على أن هذا العدد مقصود

لذاته، وأن السماوات سبع، قال تعالى: فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ (البقرة: 29) وقال سبحانه:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ (الطلاق: 12) وقال: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ما ترى

فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَلُّوتٍ (الم: 3) وقال: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا

(نوح: 15) وقال: وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدِيدًا (النبا: 12)، فهذه الآيات وغيرها تدل دلالة

بينت على أن العدد مفهوم، فهذه الآيات الكريمة قطعية الدلالة على تحديد هذا العدد تحديداً منضبطاً.

5- وذكر أن مما يشير دهشة القاريء تلك الآيات التي يشير إلى ثلاث مجموعات من المخلوقات:

أ - تلك التي توجد في السماء.

ب- تلك التي توجد في الأرض.

ج- تلك التي توجد بين السماوات والأرض.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

وَمَا تَحْتِ الثُّرَىٰ طه: 6] وقوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ

أيامٍ ^{على اليهود}

أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ لِن: 38] وهذه الآية ترد على اليهود الذين ادعوا أن الله تعالى

تعب في اليوم السادس فاستراح اليوم السابع.

وينتهي المؤلف من عرض آيات الخلق إلى نقاط استنتاجها:

- 1- وجود ست مراحل للخلق عموماً.
- 2- تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.
- 3- خلق الكون من كومة أولية فريدة كانت مجتمعة فتفصلت.
- 4- تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.
- 5- وجود خلق وسيط بين السماوات والأرض (بركاي، دراسة الكتب المقدسة، ص 166).

ع ١ كَيْتَ سَمَرَتِ عَمْرِو لَفَسْ

3.6.3 الفلك

وينتقل المؤلف للكلام على علم الفلك، ويذكر أن القرآن الكريم احتوى أكثر من (أربعين

آية تتحدث عن علم الفلك، وما جاء فيه يعد حدثاً جديداً في التنزيل الإلهي، فلا الإنجيل ولا

التوراة عاجلا ترتيب الكون، ويذكر أن القرآن الكريم لا يذكر النظريات التي كانت سائدة في

عصر التنزيل من تنظيم العالم.

ويعرض الكاتب هذه الآيات المتحدثة عن الفلك، ويبين أنها متوافقة مع ما توصل إليه

العلم الحديث، من هذه الآيات قوله تعالى: **وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى**

الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ [المع: 65] ، وهذه الآية تشير إلى **قضية الجاذبية**، فمن المعروف أن

ابتعاد الأجرام السماوية على مسافات عظيمة ومتناسبة طردياً مع الكتلة نفسها يشكل أساس توازنها، فكلما تباعدت الأجرام وهنت قوة جذب كل منها للأخر، والتقارب الشديد بين جرمين سماويين يؤدي لا محالة إلى اصطامهما.

ومن ذلك وصفه الشمس بالسراج، والقمر بالنور في قوله تعالى: **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ**

خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا

[نوح: 15-16] فالشمس هي مصدر الاشعاع ولذا وصفت بالسراج، والقمر مظلم يتلقى الضوء ويعكسه نوراً.

ثالثاً: انتقل للحديث عن الأرض وما يتصل بها، فتحدث عن دورة الماء والبحار كقوله تعالى:

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ

[المجر: 22] ، وتحدث عن البحار، وعن الثروات المستخرجة منها **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آءِ الرَّبِّ كَيْفَا تَكْذِبَانِ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

[الرحمن: 19-20] .

وتحدث كذلك عن تضاريس الأرض وتشكل الجبال **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِسَاطًا**

لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا [نوح: 19-20] ، وقوله: **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْلَدًا وَالْجِبَالَ**

أَوْتَادًا [النبا: 6-7] .

رابعاً؛ وأخيراً تناول بالبحث حديث القرآن عن النبات والحيوان، فتحدث عن تنوع المأكّل

وتناسل النبات، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ [لقمان: 10] وتناسل الحيوان

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَفَنَّىٰ [النجم: 45-46]، ويشير إلى

حديث القرآن عن مجموعة من الحيوانات [النحل، العنكبوت، الطيور] وهي تشكل
أمثلة غاية في الجمال عن النظام الراقى، إلى غير ذلك من القضايا التي ذكرها القرآن
الكريم.

وأخيراً انتقل الكاتب إلى المقارنة بين روايات التوراة وروايات القرآن في بعض
القضايا التاريخية، كالطوفان، وخروج موسى من مصر، ووجد أن هناك اختلافات بين هذه
الروايات، ولكن روايات التوراة متناقضة فيما بينها، وهي مثيرة للنقد الموضوعي، أما رواية
القرآن فهي خالية من أي عنصر مثير للنقد.

الرواية اليهودية ٩
بين طبرود
٦
اللاهوتية
بين طبرود

الطوفان

ذكرت التوراة روايتين حرتا في عصور مختلفة، الرواية اليهودية التي ترجع إلى
القرن التاسع قبل الميلاد، والرواية الكهنوتية التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، وينقل
الكاتب عن الأب ديفو أن هذه النصوص متعددة الأصول ولا تتمتع بالوضوح إلا من حيث
تعاقب الأحداث، فبين النصين توجد تناقضات صارخة، فهما حكايتان لطوفان تختلف فيهما
العوامل التي أدت إلى الطوفان، كما يختلف زمن وقوعه، ويختلف عدد الحيوانات التي
شحنها نوح بالسفينة.

وعليه فإن رواية الطوفان في العهد القديم غير مقبولة لسببين: الأول: أن العهد القديم
يعطي طابعاً عالمياً للطوفان، والثاني: أن الرواية الكهنوتية وحدها تحدد زمن الطوفان في
وقت لم يكن من الممكن أن تقع فيه كارثة من هذا النوع، وزمن الطوفان كما بينته في القرن
(21) أو (22 ق.م)، وفي هذا العصر ازدهرت حضارات كثيرة وخاصة في مصر، فلا يمكن أن
يحدث الطوفان في هذا الزمن.

أما القرآن الكريم فقد عرض للعقاب الذي وقع على قوم نوح عليه الصلاة والسلام في
سورة هود، ونوح، والشعراء، وسورة هود تحدثت عن الطوفان، والقرآن حينما يتحدث عن
كارثة الطوفان، يتحدث عنها باعتبارها عقاباً نزل بشكل خاص على شعب نوح، ولكن التوراة

كما ذكرنا يجعله عقاباً عالمياً، وهذا الفرق الأول بينهما، أما الفرق الثاني فإن القرآن لا يحدد زمن الطوفان.)

أما الفرق الثالث فإن القرآن يحدد بشكل صريح محتوى سفينة نوح، أَحْمَلُ فِيهَا

مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آثْنَيْنِ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ [هود: 40]، أما التوراة فإن بين روايتها تناقضاً صريحاً، فالرواية الكهنوتية تذكر نوح وأسرته دون استثناء وزوج من كل نوع، والرواية اليهودية، تميز من ناحية بين الحيوانات الطاهرة والطيور، وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى، فالسفينة تحتوي على سبعة أزواج من الطاهرة، وزوج واحد فقط من النجسة، وهناك رواية ثالثة تذكر أنه حمل زوجاً من كل نوع طاهر ونجس، وهذه الاختلافات لا نجدها في سور القرآن (هود، والمؤمنون).

وعلى ذلك فإن رواية التوراة لا تتفق مع مكتسبات المعرفة الحديثة، أما رواية القرآن فهي خالية من أي عنصر مثير للنقد الموضوعي.

الاستدلال
لم يذكر

المخرج من مصر:

تحدثت التوراة عن خروج اليهود من مصر، وهي تتشابه في خطوطها العريضة مع معطيات القرآن، فالتوراة لا تذكر اسم فرعون مصر وقت ولادة موسى وكذلك القرآن الكريم، إلا أن القرآن يذكر اسم أحد أعضاء مجلسه وهو هامان هي أكثر من موضع. وتتحدث التوراة عن العقاب الذي أنزله الله على مصر وهي تحول مياه النهر إلى دم، وغزو الضفادع والناموس، وموت القطعان، وظهور الأورام على الجلود، والجراد، وموت المواليد، تتحدث عنها بشكل مفصل أما القرآن فإنه يذكرها بايجاز موجز "الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم".

وتذكر التوراة عدداً ضخماً لجماعة موسى التي خرجت معه هاربة من فرعون، وهذا لا يشير إليه القرآن الكريم (ثم ينفرد القرآن بالحديث عن جثة فرعون قَالَ يَوْمَ نُنَجِّيكَ

بِيَدِنَا لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً لِّمَنْ يَرْتَدُّ). (يونس: 92).

ويذكر الكاتب أن علماء الآثار حاولوا معرفة اسم فرعون الذي كان في عهد موسى عليه الصلاة والسلام فتوصل بعضهم إلى أنه رمسيس الثاني، وآخرون إلى أنه تحتمس

الثاني، وغيرهم إلى أنه منبتاح ابن رمسيس، ويرجح الكاتب أن موسى عليه الصلاة والسلام، قد عاصر رمسيس الثاني ومنبتاح، إذ أن معطيات التوراة الخاصة بعمر موسى لا يمكن أن تدخل إلا في إطار تعاقب حكمي رمسيس الثاني ومنبتاح، وكل شيء يسمح بالتفكير بأن موسى قد ولد في بداية حكم رمسيس الثاني وكان ما زال موجوداً في مدين عندما مات بعد سبعة وستين عاماً من الحكم ثم أصبح بعد ذلك المدافع عن العبريين في مصر أمام منبتاح ابن رمسيس الثاني، وعليه فإن رمسيس هو فرعون الاضطهاد، ومنبتاح هو الفرعون الغريق.

وموت فرعون عند الخروج يشكل نقطة شديدة الأهمية في روايات القرآن والتوراة، ولكن الأمر الغريب أن الكتاب المسيحيين يسكتون عن حادثة موت فرعون، وروايات التوراة تذكر أن فرعون غرق هو ومن معه ولم يبق منهم أحد ولم تشر إلى جثة فرعون، ولكن بعض الكتاب حاول التقريب-على رأيه- بين القرآن والتوراة فقال « يشير القرآن إليه- أي موت فرعون- وعلى حسب التراث الشعبي فإن فرعون قد ابتلع بجيشه- وهذا ما لا يقوله النص المقدس- وهو يسكن الآن قاع البحر ويحكم مملكة إنسان البحر أي عجول البحر » (بوكاي، ص 268).

وهذا الذي ذكره خرافات وأوهام فإن القرآن الكريم ورد فيه ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَفَافِلُونَ (نونس: 91-92). وقد اكتشفت الجثة في القرن التاسع

عشر، وهي تقبع في قاعة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة.

هذه خلاصة موجزة لما جاء في كتاب موريس بوكاي، وقد رأينا الكاتب يعتمد في كتابه الطريقة العلمية الموضوعية، فهو يهدف مما كتبه الوصول إلى الحقيقة دون تعصب أو تحيز ولا بد أن نشير هنا إلى أنه يقال أن الكاتب لما بدأ كتابه لم يكن مسلماً، ولكنه بعد الوصول إلى تلك النتائج وهي دقة القرآن الكريم في معطياته وعدم تناقضها فيما بينها أولاً، وفيما بينها وبين معطيات العلم الحديث ثانياً أعلن إسلامه.

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة، أجب عما يلي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



اسئلة التقويم الذاتي (2)

- س1 أ - تحدث الرافي عن القول بالصرفة ، هات ما ذكره مبيناً رده له .
ب - اذكر خصائص الأسلوب القرآني التي ذكرها الدكتور محمد عبدالله دراز.
ج - ذكر الدكتور دراز أن هناك أموراً تهيأت كان من الممكن أن تجعل القرآن مفككاً غير مترابط. هات ما ذكره ^{خطابها}.
- س2 أ - من خصائص التصوير الفني التجسيم، ما هي ألوان هذا القسم مع التمثيل بمثال..
ب- هات رأي بنت الشاطيء في القسم ، والتعبير بـ (لا أقسم) .
- س3 أ - عرض موريس بوكاي لقضية الخلق في القرآن. وخلص إلى بعض النتائج. هاتها كما ذكرها.
ب- بين موريس بوكاي صحة أخبار القرآن وذلك من خلال المقارنة بين القرآن والتوراة في قضية الطوفان، وضع ما ذكره.

4. الخلاصة

أخي الدارس، أختي الدارسة: تحدثنا في هذه الوحدة عن المسيرة التاريخية لإعجاز القرآن، فقد عرفت أن الأقدمين قد وضعوا القواعد الأولى لإعجاز القرآن، وبنى عليها من جاء بعدهم، فقد حدثناك عن رسالة الرماني ووجوه الإعجاز عنده، وكذلك رسالة الخطابي وما رجحه من وجوه الأعجاز ومارده ، وحديثه عن شبهات الملاحده حول القرآن ومناقشته لها .
وانتقلنا إلى كتاب إعجاز القرآن عند الباقلاني ، وتحدثنا عن وجوه الإعجاز عنده، وشرحه للإعجاز البياني للقرآن ، وحدثناك عن النظرية التي وضعها عبد القاهر، التي كانت الأصل في الإعجاز البياني، وهي نظرية النظم وأتينا لك بالأمثلة التطبيقية على هذه النظرية مما ذكره عبد القاهر الجرجاني ... وقد كان أول من طبق هذه النظرية في تفسيره الإمام الزمخشري في الكشاف، ولذا كان لا بد أن نعرض لبعض تفسيراته رحمه الله .
وانتقلنا بك بعد ذلك إلى دراسة المؤلفات الحديثة في الإعجاز ، فحدثناك عن كتاب إعجاز القرآن الكريم عند الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، وعرضنا لحديثه عن أسلوب القرآن وخصائصه ، ونظم القرآن ، ورده للقول بالصرفة ، وتحدثنا عن كتاب النبا العظيم

للدكتور محمد عبدالله دراز ، وما ذكره حول إعجاز القرآن البياني ، من حديث حول النظام الصوتي في القرآن ، وعن خصائص أسلوب القرآن وتطبيقه لتلك الخصائص على قطعة من القرآن وحديثه عن الإيجاز ورده للزيادة وما ذكره تحت موضوع القرآن في سورة سورة منه . وانتقلنا بك للحديث عن الإعجاز عند سيد قطب، وحدثناك عن نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، المقصود من هذه النظرية ، وخصائص التصوير الفني ، والتصوير في القصة القرآنية .

وتحدثنا عن كتاب الإعجاز البياني عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي،، فحدثناك عن آرائها في الإعجاز حول سر الحروف ، وزيادة الحروف ونيابة بعضها مكان بعض، وحول دلالات الألفاظ ومعانيها، وحول بعض الأساليب التعبيرية مثل حذف الفاعل، والقسم، والفاصلة، والتعبير بـ (لا أقسم) .

وأخيراً حدثناك عن موريس بوكاي وكتابه دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، وبينما ما ذكره الكاتب من أن القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذي جاء خالياً من الأخطاء، ومتفقاً مع ما توصل إليه العلم الحديث ، وهذا يدل على إعجازه.

نرجو أن تكون قد أفدت من هذه الوحدة ، دراسة وفهماً ، نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياك لما فيه الخير والصلاح.

وحدة سابعة عن الوحدة الدراسية التالية

بعد أن حدثناك عن المسيرة التاريخية لإعجاز القرآن ، تنتقل بك أخي الدارس، أختي الدارسة لنحدثك عن وجوه إعجاز القرآن الكريم ، فقد عرفت أن الإعجاز لا يقتصر على الإعجاز البياني ، بل يتعداه إلى غيره كذلك ، لكن كما قلنا أهم هذه الوجوه وأعظمها الوجه البياني... لذا سيكون حديثنا في الوحدة التالية عن الإعجاز البياني .

وسنحدثك فيه عن إعجاز الكلمة القرآنية ، ونبين أن كل كلمة لها معناها في كتاب الله ، ولا يمكن أن يكون لأكثر من لفظة معنى واحد ، ونحدثك - إن شاء الله - عن رسالة الحرف القرآني وإعجازه، وإعجاز الجملة القرآنية ، ونعرض لإعجاز الفاصلة القرآنية ، ودعوى التكرار والزيادة في كتاب الله تعالى ، نسأل الله أن يوفقنا إلى الصواب في القول والعمل.

تدويب (1)

وجوه الإعجاز التي ذكرها الخطابي .

- 1- القول بالصرفة، وقد رده - رحمه الله - لأنه يتنافى مع الآيات القرآنية ، فقد تحدى الله الناس وأرخص لهم العنان بقوله " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " فلا يعقل أن يطلب منهم التعاون والاجتماع للإتيان بمثل القرآن ثم يصرفهم.
- 2- الإخبار عن الأمور الغيبية: وقد رده كذلك لأنه ليس وجهاً عاماً، فإخبار الغيب لم ترد إلا في بعض السور ، والقرآن حين تحدى الناس مجادلهم الإتيان بأي سورة كانت .
- 3- البلاغة ورده كذلك ، لأن القائلين به لم يضعوا لهذه البلاغة قواعد وأصولاً ، بل هي ترجع للذوق وحده، والذوق وحده لا يكفي .
- 4- الذي رجحه أن القرآن معجز بأجناس الكلام التي احتوى عليها القرآن هي :
أ - البليغ الرصين الجزل ،
ب - الفصيح القريب السهل .
ج - الجائز الطلق الرسل .
- 5- ويذكر وجهاً آخر وهو تأثير القرآن في النفس .

تدويب (2)

بما ذكره الباقلاني تحت موضوع حسن تأليف القرآن .

- 1- إن القرآن الكريم جاء على قالب شكلي يختلف عن قالب كلام العرب، فكلام العرب يدور بين الشعروالرجز والسجع والنثر المرسل، وبين كلام موزون مقفى ، وكلام موزون غير مقفى، وكلام غير موزون ، لكن القرآن جاء على طريقة مغايرة .
- 2- إن القرآن الكريم كله نسق واحد ، بمعنى أن آياته كلها ليس بينها تفاوت واختلاف، فلا يمكن القول أن هناك آية أبلغ من آية، ولكن إذا جئنا إلى كلام الشعراء وغيرهم، نجد أن الشاعر قد يجود في قصيدة واحدة مثلاً أو قصيدتين، والقصيدة لا نجد جميع أبياتها سواء، بل نجد فيها بيتاً أو بيتين هي واسطة عقد هذه القصيدة .

تدوير (3)

الفريق الأول يرى أن المزية في الكلام للألفاظ .

الفريق الثاني : يرى أن المزية في الكلام للمعنى .

ولكن عبد القاهر لم يقف عند هذين العنصرين - وهما اللفظ والمعنى - بل ذكر

عنصراً ثالثاً وهو النظم .

تدوير (4)

(سورة البقرة حفظت) : تقدم هنا المفعول به وهو هنا يفيد الاختصاص ، ويعني :

1- أنني حفظت سورة البقرة فقط وخصصتها بالحفظ .

2- نفيت الحفظ عن غيرها .

وهذا الجواب لمن سألتني عن حفظ سورة القرة وآل عمران مثلاً ولم أكن حفظت إلا

البقرة .

(حفظت سورة البقرة) يعني أنني حفظت البقرة ، ولا تفيد هنا نفي الحفظ عن

غيرها ، فقد أكون حفظت غيرها كذلك .

تدوير (5)

النظم : هو توخي معاني النحو ، وهو ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني

في النفس .

مثال ذلك قوله تعالى: ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا أَيُّهَا هِيمُ فقد قدموا الفاعل (أنت) ولم

يقدّموا الفعل (فعلت) وذلك أن المعنى المراد: هو السؤال عن الفاعل وليس عن الفعل؛ ذلك

أن الفعل قد حدث أمامهم وانتهى وهو تكسير الأصنام فلا يعقل أن يقولوا (أفعلت)؛ لكن

الأمر المشكوك فيه هو الفاعل فكان لا بد أن يقولوا " أنت فعلت "

تدوير (6)

أ - أقول : أفتحت الباب ؟ إذا كنت أشك في أمر الباب هل هو مفتوح أم مغلق ،

وأكون قد طلبت من شخص فتحه ، ولم أعلم أفتحه أم لم يفتحه .

وأقول " أنت فتحت الباب ؟ إذا كان الباب أمامي مفتوحاً ، لكنني أشك في الفاعل ،

أي من الذي فتحه ؟ أهذا الذي أمامي أم غيره ؟

ب- قوله تعالى: **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَأْمَنَ بِاللَّهِ** هنا قصرالعمارة على المؤمنين ، وهو يعني أنه لا يمكن لغير المؤمنين أن يعمرؤا مساجد الله ولا يجوز لهم ذلك، ودليل ذلك أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يهدم المسجد الذي بناه المنافقون ضراراً بالمؤمنين .

أما قولنا **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَأْمَنَ بِاللَّهِ** فهو قصر للمؤمنين على عمارة المساجد فقط، أي لا يجوز للمؤمنين أن يعمرؤا غير المساجد، من بيوت ومدارس، ومستشفيات، وهذا معنى غير صحيح .

تدويب (7)

ذكر الجرجاني احتمالات عدة لإعجاز القرآن :

- 1- أن يكون معجزاً بألفاظه .
 - 2- أن يكون معجزاً بمعانيه .
 - 3- أن يكون معجزاً بفواصله .
 - 4- أن يكون معجزاً باستعارته .
 - 5- أن يكون معجزاً بقالبه الشكلي
 - 6- أن يكون معجزاً لخفة كلماته وعدم ثقلها وتناثرها .
- وهذه الوجوه ردها كلها ورجح وجهاً واحداً وهو أنه معجز بنظمه .

تدويب (8)

يرى الرافيى إنه ينتج من الكلمات في حروفها ، والجمل في كلماتها أصوات ثلاثة هي:

- 1- صوت النفس : وينشأ من الكلمات ومعانيها ، فكل لفظة تتساقق وتنسجم مع معناها الذي أعدت له وهو ما يسمى في العصر بالإيحاء .
- 2- صوت العقل : وهو ينشأ من تركيب الكلمات في الجمل ، ذلك لأن تركيب الكلمات في الجمل لا بد فيه من عمليات فكرية .
- 3- صوت الحس : وهو تقدير الكلمات تقديراً محكماً لمعانيها بحيث لا نجد كلمة فضفاضة تزيد على المعنى الذي جيئت من أجله .

تدريب (9)

النظام الصوتي كما يرى الدكتور محمد عبدالله دراز له مظهران :
الأول : ترتيب الحروف في كلماتها من حيث الحركات والسكون ، فهذه حركة تعقبها حركة ، أو يعقبها سكون وكل ذلك يستهوي الأذن من قبل أن تعرف ذات الحرف وحقيقته .
الثاني: وضع الحروف بعضها مع بعض ، فهذا حرف مجهور ، وآخر شديد ، وثالث مهموس ، ورابع صفيح ، وخامس فيه قلقة .
وهذان المظهران يملآن جمال الإيقاع في القرآن الكريم ، وهو ما يعبر عنه بالجرس الصوتي، أو موسيقى الألفاظ .

تدريب (10)

- 1- القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى .
- 2- خطاب العامة ، خطاب الخاصة .
- 3- إقناع العقل وإمتاع العاطفة .
- 4- البيان والإجمال .

تدريب (11)

نظرية التصوير الفني تقوم على التجسيم المحسوس والتخييل ، هو تصوير للمعاني المجردة وللحالات النفسية والحوادث التاريخية والقصص والأمثال ، فالقرآن يأتي بأمثلة تشعر القارئ وكأنه أمام مناظر بدیعة تصور حالات من مشاهد الكون.

خصائص التصوير :

- 1- التخييل الحسي، حيث تبث الحياة في الظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية ، مثال ذلك خلق الحياة على الصبح وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسُ حيث تخيل إلينا هذه الحياة .
الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناباه وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة ويدب النشاط في الأحياء .
- 2- التجسيم: مثال قوله: وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ وفيه تجسيم للذنوب كأنها تحمل على الظهر.

3- التناسق الفني : ومن ذلك التقابل بين صورتين إحداهما حاضرة والأخرى ماضية ومنه

قوله تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ .

تدوير (12)

اختلف العلماء في ذلك :

- 1- وقيل هي حروف يتألف منها اسم الله الأعظم .
- 2- وقيل هي أسماء للسور التي افتتحت بها .
- 3- وقيل هي أصوات للتنبيه كما في النداء ، ليكون في غرابتها ما يشير الالتفات ، وهي تنبيه للمشركين إلزاماً للحجة .
- 4- وقيل هي حروف الجمل .
- 5- وقيل هي سر من أسرار الله لا يعلمها إلا هو .
- 6- وقيل إن الحروف في مفتتح السور تشير إلى غلبة مجيئها في كلمات هذه السور .
- 7- والرأي الراجح أن هذه الحروف جاء للتنبيه والتحدي ، ومعنى هذا أن هذا الكلام الذي تنطقون به أيها الناس من جنس كلامكم الذي تنطقون به ، ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون الإتيان بمثله .

7. مسرد المصطلحات

الأحرف المقطعة : أحرف ابتدئت بها بعض السور القرآنية كقوله " ألم " ، " المر " وتقصد منها التنبيه والتحدي إلى أن هذه الأحرف التي نزل عليها القرآن هي من جنس ما تنطقون به أيها الناس ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون الإتيان به .

الإستعلاء : من صفات الحروف : وهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فيرتفع الصوت معه وحروفه سبعة جمعت في قوله " خص ضغط قظ " .

الأشاعرة : مدرسة كلامية، هم اتباع أبي الحسن الأشعري، جاءوا وسطا بين الذين يحكمون العقل، وبين الذين يقفون عند الظاهر، فجمعوا بين النصوص، فأفادوا من الكتاب والسنة ومن العقل.

الشدة : من صفات الحروف وهي لزوم الحرف لموضعه لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى حبس الصوت عن الجريان معه فكان فيه شدة وحروفه جمعت في قولهم " أجد قـط بكت".

الصرفة : هي سلب الله العرب القدرة على الإتيان بمثل القرآن ، وهي صرف الله هم العرب عن الإتيان بمثل القرآن .

الفاصلة القرآنية : هي الكلمة التي ختمت بها الآية القرآنية ، وهي مثل القافية في الشعر.

المعتزلة : فرقة كلامية، أتباع واصل بن عطاء، سمو بذلك لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وقد وسعوا نطاق العقل وحكموه في كثير من القضايا، وقد أسهموا إسهاماً مشكوراً في الدفاع عن الإسلام، والوقوف في وجه الملاحدة والزنادقة والمشعوذين.

النظم : هو ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس .

نقض العادة : مجيء القرآن على طريقة مخالفة لطريقة كلام العرب ، فهو ليس شعراً ولا نثراً مرسلأً أو سجعاً .

الهمس : ضعف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج ، حتى جرى النفس معه فكان فيه همس وحروفه جمعت في قولهم " فحـثه شخص سكت " .



8.المراجع

- 1- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط ، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، سنة 1328هـ .
- 2- الألوسي، أبو الفضل محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ادارة الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية .
- 3- الباقلائي : أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر عام 1963م .
- 4- بنت الشاطي، د . عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني رسائل نافع بن الأزرق، دار المعارف بمصر .
- 5- بوكاي، موريس، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

- 6- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة - مطبعة المدني .
- 7- الحمصي، نعيم، فكرة إعجاز القرآن منذ الهجعة المحمدية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق، مؤسسة الرسالة- الطبعة الثانية (1400هـ - 1980م) .
- 8- الخطابي، حمد بن محمد بن ابراهيم البستي، ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني، تحقيق د. محمد زغلول سلام و د.محمد خلف الله، دار المعارف بمصر .
- 9- دراز، د .محمد عبد الله، النبا العظيم، مطبعة السعادة بمصر .
- 10- الرافعي، الأستاذ مصطفى صادق، إعجاز القرآن والבלغة النبوية، دارالكتاب العربي ببيروت، الطبعة التاسعة، (1393 هـ 1973م) .
- 11- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،مطبعة دار الأستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى (1365هـ - 1946م) .
- 12- عباس، د. فضل حسن، إعجاز القرآن، عمان .
- 13- قطب، سيد، في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة (1386 هـ - 1967م) .
- 14- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق .

الوحدة الثالثة

من وجوه إعجاز القرآن
الإعجاز البياني

محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
149	1. المقدمة
149	1.1 التمهيد
151	2.1 أهداف الوحدة
151	3.1 أقسام الوحدة
152	4.1 القراءات المساعدة
152	5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة
153	2. الإعجاز البياني
153	1.2 توطئة
156	2.2 الكلمة القرآنية
158	1.2.2 خصائص المفردات القرآنية
160	2.2.2 دعوى الترادف
162	1.2.2.2 كلمات يظن أنها مترادفة
176	2.2.2.2 استعمال الفاظ مختلفة في مواضع متشابهة
181	3.2 رسالة الحرف في كتاب الله تعالى
181	1.3.2 توطئة
182	2.3.2 حذف الحرف وذكره
189	3.3.2 استعمال الاحرف المختلفة في اماكن متشابهة
195	4.2 الجملة القرآنية
195	1.4.2 التقديم والتأخير
207	2.4.2 الحذف والذكر
214	5.2 الفاصلة القرآنية
214	1.5.2 المقصود بالفاصلة
214	2.5.2 إدعاء الموسوعة البريطانية
215	3.5.2 مناقشة الموسوعة فيما ذهبت إليه
217	4.5.2 أمثلة تبين إعجاز الفاصلة
217	1.4.5.2 فواصل أمرها ظاهر لا يحاج الى بيان

219 2.4.5.2 فواصل محتاج الى تأمل ونظر
224 6.2 قضية التكرار
230 7.2 دعوى الزوائد في كتاب الله
230 1.7.2 توطئة
232 2.7.2 بعض الأمثلة على دعوى الزوائد ومناقشتها
243 3. الخلاصة
244 4. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية
245 5. إجابات التدريبات
250 6. مسرد المصطلحات
251 7. المراجع

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير عباد الله وأشرف خلقه صلاة وسلاماً تامين، دائمين، متلازمين إلى يوم القيامة وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فإن القرآن الكريم ، كتاب الله إلى الخلق بعامه لهدايتهم إلى الحق وإبعادهم عن طريق الضلال ، ومن حكمة الله تعالى ، أن أنزل القرآن باللغة العربية التي هي أصلح اللغات لما امتازت به دون اللغات الأخرى من الخصائص، " قرآناً عربياً غير ذي عوج " ومن حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن أول ما ينزل على أفصح الناس وأبلغهم ، الذين كانت البلاغة بضاعتهم والبيان باعهم ، ومحمداهم الله بأن يأتوا بمثل القرآن ومع ذلك يقفون حيال هذا الأمر مكتوفي الأيدي فقد بهرهم القرآن ببلاغته وفصاحته وأخرس ألسنتهم .

لقد كان القرآن ولا يزال معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة ، معجزة بيانية وعلمية وتشريعية وغيبية ... وهذه هي وجوه إعجاز القرآن ، لكن أعظم هذه الوجوه وأعمها وأتمها الإعجاز البياني، فالقرآن كتاب العربية ، وكل كلمة، بل كل حرف فيه معجز.

ولذا - أخي الدارس، أختي الدارسة - بعد أن حدثناك عن المسيرة التاريخية لإعجاز

القرآن، كان لا بد أن نطلعك على شيء من وجوه إعجاز القرآن الكريم .

إذا رجعت إلى كتب العلماء تجد أنهم تحدثوا عن وجوه كثيرة منها :

- 1- الإعجاز اللغوي .
- 2- الإعجاز بالأسلوب .
- 3- الإعجاز بالنظم .
- 4- الإعجاز النفسي .
- 5- الإعجاز الروحي .
- 6- أخبار المستقبل .
- 7- الإعجاز التاريخي .
- 8- أخبار الماضي .

- 9- بعدم التناقض .
- 10- الإعجاز الأخلاقي .
- 11- الإعجاز العلمي .
- 12- الإعجاز التشريعي .
- 13- الإعجاز التربوي .
- 14- الإعجاز العددي .

إلى غير ذلك من الوجوه الكثيرة التي تحدثوا عنها ، ولكننا حينما ننظر إليها نجد أننا يمكننا أن نضم بعض هذه الوجوه إلى بعض، فالوجوه الخمسة الأولى يمكن أن تندرج كلها تحت الإعجاز البياني، والثلاثة التي بعدها تندرج تحت الإعجاز الغيبي، والخمسة التالية تندرج تحت الإعجاز التشريعي.

وسيكون حديثنا في هذا المقرر عن :

- 1- الإعجاز البياني .
- 2- الإعجاز العلمي .
- 3- الإعجاز التشريعي .
- 4- الإعجاز الغيبي.

وسيكون حديثنا في هذه الوحدة - إن شاء الله - عن الإعجاز البياني، نتحدث فيه عن الكلمة القرآنية من حيث خصائصها ، وتحديد مدلولها ، وبيان أنه لا يوجد ترادف في كتاب الله تعالى ، ونحدثك عن الحرف القرآني والرسالة التي يؤديها هذا الحرف ، ونحدثك عن إعجاز الجملة القرآنية ، والفاصلة القرآنية ، ونعرض للحديث عن التكرار والزيادة ، لنبين أن القرآن خال من هذه الأمور ، وقد ضمنا هذه الوحدة كذلك تدريبات يطلب منك الإجابة عليها ، وكذلك بعض الأنشطة التي لا بد أن تقوم بها ، وهناك أسئلة للتقويم الذاتي بعد كل قسم من أقسام الوحدة، لا بد لك من الإجابة عليها بعد أن تقرأ المادة العلمية قراءة متأنية .
والله أسأل أن يكون خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا إلى الصواب في القول والعمل، وأن يبعدنا عن الزلل والخطل وصى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .



2.1 أهداف الوحدة

- يتوقع منك أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد دراستك لهذه الوحدة ، وإجابتك عن أسئلتها وتدريباتها أن تصبح قادراً على أن :
- 1- تتبين أن أعظم وجوه الإعجاز هو الإعجاز البياني .
 - 2- تتعرف إلى خصائص الكلمة القرآنية .
 - 3- تتبين أن الحرف في كتاب الله معجز وله رسالة يؤديها .
 - 4- تتبين إعجاز القرآن في كلماته بحيث تحيي كل كلمة في مكانها لا تسد مسدها غيرها .
 - 5- يتضح لديك أن القرآن معجز في جملته .
 - 6- تتعرف إلى سر ختم بعض الآيات القرآنية بفواصل معينة .
 - 7- تتعرف إلى أن لا ترادف في القرآن الكريم .
 - 8- تتبين أنه لا تكرر في القرآن ولا زيادة في حروفه .

3.1 أقسام الوحدة

- تحتوي هذه الوحدة أخي الدارس، أختي الدارسة - على الأقسام التالية :
1. تمهيد في أهمية الإعجاز البياني، ودراسة هذا القسم يحقق الهدف الأول.
 2. الكلمة القرآنية .
 - 2-1- إخصائص الكلمة القرآنية .
 - 2-2 دعوة الترادف في كتاب الله وأمثلة لذلك .
 - 2-3 استعمال ألفاظ مختلفة في مواقع متشابهة من كتاب الله .
ودراسة هذه القسم يحقق الهدف الثاني والرابع والسابع .
 3. رسالة الحرف في القرآن .
 - 1-3 استعمال الأحرف المختلفة في الأماكن المتشابهة .
 - 2-3 حذف الحرف وذكره .
ودراسة هذا القسم يحقق الهدفين الثالث والرابع .
 4. الجملة القرآنية .
 - 1-4 الحذف والذكر .
 - 2-4 التقديم والتأخير .
ودراسة هذا القسم يحقق الهدف الخامس .

5. الفاصلة القرآنية .

5-1 المقصود بالفاصلة القرآنية .

5-2 سر ختم بعض الآيات بفواصل معنية .

ودراسة هذ القسم يحقق الهدف السادس .

6. دعوى التكرار في كتاب الله .

7. دعوى الزيادة في كتاب الله .

ودراسة هذان القسمان (6، 7) يحققان الهدف الثامن



4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس، أختي الدارسة:- حتى تزداد حصيلتك العلمية ، لا بد لك من الرجوع إلى الكثير من المراجع لقراءتها حول موضوع الوحدة ولذا نشير عليك الافادة من الكتب التالية:-

1- السامرائي، د.فاضل صالح، التعبير القرآني، جامعة بغداد، بيت الحكمة، سنة 1987م .

2- عباس، د. فضل، لطائف المنان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور، بيروت- سنة 1410 هـ 1989م.

1.5 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة

قبل أن تبدأ دراسة الوحدة تأكد بأنك هيأت المكان الهادئ والمريح للدراسة، ولديك المراجع اللازمة للقراءات المساعدة.

وفي أثناء دراسة الوحدة حاول الإجابة عن جميع أسئلة التقويم الذاتي؛ لأنها تساعدك في مراجعة أجزاء الوحدة الرئيسية، ولا تغفل التدريبات والتعيينات فهي تمنحك الفرصة لاختبار تعلمك وتطبيق المعارف والمهارات التي اكتسبتها حديثاً في معالجة مشكلات جديدة. كما أنها تعينك على تعلم المادة. فهي جزء أساسي من طرائق عرض المادة.

ولا تتردد في الاتصال بمرشدك أو موجهك كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما يعرض لك من صعوبات أو معضلات أو مسائل مثيرة للاهتمام.

2. الإعجاز البياني

1.2 توطئة

أشرنا أخي الدارس، أختي الدارسة إلى أن أعظم وجوه الإعجاز وأعمها وأتمها ، الإعجاز البياني ، ولذا وجدنا العلماء قديماً وحديثاً يركزون في حديثهم على هذا الوجه ، وكثيراً منهم - كما سنرى - جعل إعجاز القرآن مقتصرأ على الإعجاز البياني ، وآخرون جعلوه الوجه الأعظم إلى جانب وجوه أخرى .

والسبب الذي جعل هذا الوجه هو الأعم والأتم ، أنك تجد في كل كلمة من كلمات القرآن، وكل آية من آياته ، وكل سورة من سورته ، أما الوجوه الأخرى فليست كذلك ، فالإعجاز العلمي في عدد من الآيات ، فليست كل آية محتوية على قضية علمية وقل ذلك في الإعجاز التشريعي والغيبي ، وقد عرفت أن الخطابي، رد القول بأن من أوجه إعجاز القرآن أختيار الغيب، لأنه ليس وجهاً عاماً ، فالقرآن حين تحدى الناس أن يأتوا بمثل القرآن ، تحداهم الإتيان بأي سورة كانت سواء احتوت على الأمور الغيبية أم لم تحتو .

والإعجاز البياني يقوم على النظم ، والنظم هو ضم الشيء إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كما ينظم اللؤلؤ بأن تضم جباته بعضها إلى بعض ، وقد وضع العرب هذا المصطلح للأمور المحسوسة ، فأطلق كما قلنا على نظم اللؤلؤ والخرز، ثم استعمل في الأمور المعنوية وهي ضم الكلام وجمع بعضه إلى بعض ، وتأليفه في جمل وفقر وموضوعات .

وقد عرض العلماء قديماً للنظم - كما عرفت - فالخطابي يذكر أن الكلام يقوم على عناصر ثلاثة هي : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وعرض لها الباقلاني في أثناء حديثه عن بديع نظم القرآن ، وبعدهم كذلك جاء القاضي عبد الجبار الهمداني في كتابه المغني في أبواب العدل والتوحيد، ذكر أن الفصاحة - ويعني بها النظم - لها جهات متعددة

وهي : جهات الفصاحة عند الصائغ المحرري

1- اختيار اللفظة نفسها .

2- حركة هذه الكلمة من حيث الإعراب .

3- موقع هذه الكلمة من حيث التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، يقول القاضي عبد الجبار " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضع التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع، لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة، أو

حركاتها، أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لا بد من اعتبار مثلها في الكلمات، إذا أنضم بعضها إلى بعض، لأنه قد يكون لها عند الإنضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها، وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها، (الهمداني / المغني في أبواب العدل والتوحيد ج 117/16).

ولنمثّل لك بمثال بوضع ما قاله رحمه الله: قال تعالى: إلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

البقرة: 11 في قوله تعالى "لا ريب فيه" تظهر الجهات الثلاث التي تحدث عنها القاضي عبد الجبار، أما الجهة الأولى فهي اختيار كلمة (ريب) دون غيرها من الكلمات كالكشك والمرية، وأما الجهة الثانية فهي كلمة (ريب) مبنية على الفتح، وهي اسم (لا) النافية للجنس، ولم تحيى معرفة، فلم يقل "لا ريب فيه" وأما الجهة الثالثة، فهي تقديم كلمة "ريب" على الجار والمجرور "فيه" ولا شك أن لكل واحدة من هذه الجهات الثلاثة حكمة بيانية.

فاختيار كلمة (ريب) لأنها تعطي ما لا تعطيه كلمة (شك)، فإن الشك تردد النفس بين شيئين، ولكن الريب شك مع تهمة وقلق واضطراب. ومجئها مبنية على الفتح يدل على نفي الريب نفيًا تامًا، وقد قرروا أنك إذا قلت "لا رجل في البيت" بالبناء على الفتح فإنه نفي لوجود جنس الرجال في البيت، ولذا لا يجوز أن تقول "لا رجل في البيت بل رجلين"، ولكنك إذا قلت "لا رجل في البيت" بالضم فهو نفي للوحدة، ولذا يمكنك أن تقول بل رجلان.

وأما الجهة الثالثة، فلأن تقديم كلمة (ريب) يعطي معنى غير المعنى الذي تأخر فيه، فمعنى لا ريب فيه، نفي الريب عن القرآن دون التعرض لغيره من الكتب، ولكن لو قال "لا ريب فيه" لكان المعنى إثبات الريب في غيره من الكتب، ألا ترى إلى قوله سبحانه في وصف

خمر الجنة [لأفيتها] غولٌ ولا همُّ عنها يُنزفون [الصفات: 47] فالمراد ليس نفي الغول عن خمر الجنة

فحسب، وإنما المراد مع ذلك إثباته في الدنيا.

وجاء عبد القاهر الجرجاني ليجلي لنا الحديث عن النظم، ويبين أن النظم هو مجيء

الكلام بطريقة مخصوصة، وهو ترتيب الألفاظ في النطق، حسب ترتيب المعاني في النفس.

وإذا كان الإعجاز البياني إنما يرجع في لبه وجوهه - كما قلنا - إلى النظم. وإذا كان القرآن الكريم كتاب الإنسانية جميعها، عربها وعجمها منذ أنزله الله ما دامت الحياة والأحياء، وإذا كان ذلك كذلك فليس من المنطقي أن يكون هذا النظم خاصاً بالعرب وحدهم، وإنما غلط من غلط في هذه القضية لأنهم ظنوا أن الإعجاز البياني إنما هو حديث عن الصورة التي تمتع

العواطف، وتلاها النفس، وترهف الحس، الصورة التي تقوم على الاستعارة والكناية والتشبيه، وهذه تختلف عند كل قوم باختلاف بينتهم ولكن النظم ليس كما حسبه، وإنما نعني بالإعجاز البياني الذي يقوم على النظم؛ ذلكم الترتيب الذي كان للكلمات القرآن في جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة.

وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم دقائقها هم وغيرهم في ذلك سواء.

فإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه: وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ (النساء: 5) اختيرت فيه

حرف الجر (في) على حرف الجر (من) لحكمة بيانية وخطة تتصل بالاقتصاد، وهو أن رزق أولئك ينبغي أن يكون مما تنتجه الأموال، لا من أساسه ورأسه، فإن غير العربي يمكن أن يعرف هذا حين تفسر له معاني القرآن.

وإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه: فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ (المائدة: 14) استعملت

فيه كلمة (الإغراء) دون الإلقاء لتدل على الإلصاق والدوام، فإن هذا يمكن أن يدركه غير العربي حينما يفسر له، ولا أدل على ذلك من وضعنا نحن اليوم، فنحن مع كوننا عرباً، ولكن بعدنا عن العربية سليقة، يجعلنا لا ندرك هذه الدقائق ولا نتذوق معانيها إلا إذا فسرت لنا، فنحن العرب وغيرنا سواء.

إن المحققين من العلماء ذهبوا إلى أن الاستعارة والتشبيه وأنواع البديع ليست من جوهر الإعجاز القرآني، ولكن النظم وحده هو جوهر هذا الإعجاز.

والنظم له جانبان: جانب نفسي وجانب فكري، أما الجانب النفسي فيظهر في عمق التأثير الذي يحس به القاري، وهو يتأمل ويتدبر الكلام البليغ وفي مقدمته الآيات القرآنية، وأما الجانب الفكري فنجد في العلاقة بين المعاني بعضها مع بعض من جهة، وبين الألفاظ لا من حيث الوضع فحسب، بل من حيث الوضع والترتيب كلاهما.

لذلك فإن القول بأن الإعجاز البياني خاص بالعرب وحدهم على الرغم من أنه يكاد يكون من المسلمات - بحاجة إلى إعادة نظر.

اللفظة حبيبه تدل على المرارة .

2.2 الكلمة القرآنية

عرفت من خلال دراستك السابقة - أخي الدارس أختي الدارسة - أن اللفظة الجيدة تدل على المعنى المراد، ذلك أن الكلمة - كما يقول د. أحمد حسن الزيات - أصل الدقة في التعبير، والوضوح في المعنى، والصدق في الدلالة، لأن الكلمة إذا تمكنت في موضعها الأصل دلت على المعنى كله، فإذا حشرت حشراً، أو قسرت قسراً دلت على بعض المعنى أو الجأت إليه، وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع، والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة، والنظام المطلوب تحركت الآلة ولا ظلت جامدة. (الزيات/ مقدمة دفاع عن البلاغة).

ولذلك وجدنا العرب في عصورهم الأولى يقيمون وزناً للكلمة، ويجهدون أنفسهم في اختيار الكلمة والبحث عنها، فقد كانوا في الجاهلية يدركون ما للكلمة من شأن أو ما يحدثه من أثر سلبي فيقبلونها أو يردونها نتيجة معرفة وذوق:

النايضة سندس

1- من ذلك ما يروى عن حسان بن ثابت حينما أنشد:

لنا الجفنيات الغر يلمعن في الضحى وأسيفنا يقطن من نجدة دماً
ولدا نا بني العنقاء وابنسي محسرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة: أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيفانك، وفخرت بمن ولدت ولم تنخر بمن أمجيك، وفي رواية: قال: لو قلت (يسطعن في الدجى) ولو قلت "يجرين من نجدة دماً" لكان أولى. (الرائسي/ تاريخ آداب العرب).

2- ومن ذلك قول طرفة بن العبد حين سمع بيت المسيب بن علس: -

وقد أتناسى الهمم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال: استنوق الجمل، لأن الصيعرية سمة في عنق الناقة لا البعير.

طرفة سندس المسيب سندس

3- ومجد هذا واضحاً في العصر الإسلامي كذلك ، فقد روي عن أفصح الخلق وأبلغهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو بوجه معلماً ، مبيناً لأصحابه ، رضوان الله عليهم ولمن بعدهم، مكانة الكلمة وأصالتها " لا يقل أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقيت ". (أخرجه البخاري في صحيحه (51/8) كتاب الأدب، باب: لا يقل خبثت نفسي).

وذلك (كراهية أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه)

4- ومن ذلك ما روي عنه عليه الصلاة والسلام وهو يعلم أحد أصحابه -البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن يقول . أمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت فيقول البراء: " ورسولك الذي أرسلت " ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له: ونبيك الذي أرسلت. (أخرجه البخاري في صحيحه (84/8) كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهراً) .

5- ومن ذلك ما روي عن سيدنا عمر في قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

آل عمران : 110 قال لو شاء الله لقال : أنتم فكننا كلنا ولكن قال : كنتم في خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم ، كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، (الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن، 29/4) .

6- وفي العصر العباسي كذلك كان للكلمة منزلتها ، وما يروي في ذلك : أن رجلاً أنشد ابن هرمة بيته :

بالله ربك إن دخلت فقل لها . هذا ابن هرمة قائماً بالباب

فقال للرجل : ما كذا قلت : أكنت أتصدق (أسأل) ؟ قال: فماذا ؟ ، قال : واقفاً ، ثم قال: ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى. (ضيف - البلاغة تطور وتاريخ، ص26) . والمتتبع لأدب العرب ومساجلاتهم في أسواقهم يجد كثيراً من ذلك، والحق أن الذوق السليم يجد فرقاً شاسعاً بين الكلمة الجيدة وغيرها من الكلمات المجوجة. يقول ابن الأثير : " ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة (الغصن) ولفظة (العسلوج) ، وبين لفظة (السيف) ولفظة (الخنثليل) وبين لفظة (الأسد) ولفظة (الفدوكس) فلا ينبغي أن يخاطب ولا يجاوب بجواب ، بل يترك وشأنه ، كما قيل : اتركوا الجاهل بجهله ، ولو ألقى الجعر في رحله (والجعر الشيء المستقدر) ، وما مثاله في هذا المقام إلا كمن يسوي بين صورة زنجية سوداء، وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ، ذات خد أسيل و طرف كحيل، وجسم كأنما نظم من أقحاح، وطرة كأنها ليل على صباح" (ابن الأثير - المثل السائر، 149/1) .

س
ن

الفرق

ن

1.2.2 خصائص المفردات القرآنية

وإذا كان هذا في كلام الناس ، فهو في كلام الله المتناهي في البلاغة أكثر وضوحاً ، وأشد ظهوراً ، ولذلك وجدنا العلماء قديماً وحديثاً يتناولون الكلمة القرآنية بالبحث والتنقيب .
وإذا جئنا إلى علماء البيان وجدنا أكثرهم يحلون الكلمة منزلة سامية ، ويعطونها الحظ الأوفر والنصيب الأوفى في مباحث الإعجاز ومظاهره .

ومن هؤلاء **المجاظ** الذي يخص الكلمة القرآنية بعناية فائقة، فالقرآن الكريم إنما يختار فيه اللفظة التي تناسب الوضع الذي جاءت فيه، فقد يشترك لفظان أو أكثر في معنى، ولكن أحدهما يكون أكثر دقة؛ فالفاظ القرآن مختارة منتقاة، وإن كان يظن لأول وهلة بأن بعضها مترادف، إلا أن ما بينها من دقة الفروق ما يخفى على الكثيرين؛ حتى من ذوي النظر. يقول:-

وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن **الجوع** ، إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ، لأنك لا تحمد القرآن بلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامّة وأكثر الخاصة يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سماعات لم يقل الأرضين ، ألا ترى أنه لا تجمع الأرض على أرضين ، ولا السمع أسماعاً والجاري على أفواه العامّة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذکر وأولى بالاستعمال . (المجاظ / البيان والتبين - ج 1 / 20) .

ومحدث الإمام الخطابي عن خصائص الكلمة أنها تحيي في مكانها المناسب ، فهو يقول:
" ثم أعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني ، بحسب أكثر الناس أنها متساوية في افادة بيان مراد الخطاب ، كالعلم والمعرفة والحمد ، والشكر، والبخل والشح ، أو كالنعت والصفة ، أو كقولك : اقعِد واجلس ، ولى وذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوها من الأسماء والأفعال ، والحروف والصفات " . (الخطابي / ثلاث رسائل ، ص 29) .

ويقول الإمام ابن عطية رحمه الله:

" وكتاب الله لو نزعته منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد ، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب - يومنذ - في سلامة الدوق وجودة القريحة .

ويقول الراغب الأصفهاني في كتاب " المفردات " فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزيدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفرغ حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطياب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة" . (الراغب الأصفهاني / المفردات، ص 6) .
يتضح لك أخي الدارس، أختي الدارسة أن مفردات القرآن - اذن - ستمتاز :-

1- جمال موقعها .

2- إتساقها الكامل مع المعنى .

3- اتساع دلالتها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى .

المفردات القرآنية مفردات مختارة منتقاة ، ولا أدل على ذلك من أننا حين ننظر في المعاجم اللغوية نجدها زاخرة بالألفاظ الكثيرة فالقاموس المحيط يشتمل على أربعين ألف مادة، بينما يشتمل لسان العرب على ستين ألفاً ، ولكل مادة اشتقاقاتها الكثيرة المتعددة، وهي من حيث الفصاحة والخفة ليست سواء أولاً ، وقد تدار الكلمات الكثيرة على معنى واحد ثانياً، أما كتاب الله فيخص كل لفظ بمعنى لا يتعداه .

ومن هنا كانت مفردات القرآن الكريم قليلة نسبياً إذا قيست بتلك المفردات التي ذكرتها المعاجم ، فأكثر ألفاظ القرآن تنتمي إلى أصول ثلاثية، وقليل من هذه الألفاظ ينتمي إلى أصل غير ثلاثي ، ففي القرآن الكريم ألف وستمائة وأربعون (1640) أصلاً ثلاثياً ، يتفرع منها ما يزيد على خمسين ألف لفظة ، وهي تزيد على نسبة ثمان وتسعين بالمئة من مفردات القرآن، وغير الثلاثي لا يزيد على ثمانمائة لفظة ، وإن نظرة بسيرة في معجم واحد من المعجمين المتقدمين تجعلنا ندرك أن المفردات القرآنية كانت بمثابة فرائد ودرر إذا قيست بغيرها من المفردات .



تدوين (2)

اذكر ميزات اللفظة القرآنية . عمال صوبي . استعمل اللفظة . استعمل اللفظة .

إذا سمع أخى الدارس، أختي الدارسة؛

معناه وما تتميز به الألفاظ القرآنية وجود الغريب فيها ، وليس المقصود بالغريب في القرآن، ما عرف عند علماء البلاغة، فاللفظة الغريبة عند علماء البلاغة ما كانت غير ظاهرة في معناها، ولأ ما نوسة في استعمالها، تثقل على السمع، وينفر منها الطبع/ أما الغريب في كتاب الله تعالى : فهو الذي إذا سمعه السامع تحفز وتشوق لمعرفة معناه، ويذهي أن الناس جميعاً ليسوا سواء في معارفهم، فما يسهل على بعضهم، نجده يصعب على آخرين ممن هم أوسع ثقافة وأكثرهم علماً .

من هذا ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى جاء اعرابيان يختصمان في بئر قال أحدهما : أنا فطرتهما . (السيوطي - الإتيان في علوم القرآن 1/113) .

وما روي عن سيدنا عمر - رضي الله عنه - وقد سأل وهو على المنبر عن معنى التخوف ، وذلك في كتاب الله عز وجل في سورة النحل أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ [النحل : 47] .

إذن لا بد من وجود الغريب في كتاب الله بمعناه اللغوي - وهو ما لا يستوي في فهمه جميع مستمعيه - وهذا الغريب ليس كثيراً في كتاب الله تعالى

2.2.2 دعوى الترادف ^{الترادف} ^{أو الترادف} ^{لنظيريهما نفس المعنى} ^{الشركاء للفظ} ^{لفظ}

الترادف يعني أن يكون للكلمتين أو الكلمات معنى واحد ، وهذه قضية شغلت العلماء قديماً وحديثاً ، هي وما يسمى بالمشترك ، والمشترك اتحاد اللفظ وتعدد المعنى . ولا بد أن نقرر هنا أولاً - بأن عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية قد حرم الكثيرين من الفوائد ، وحال بينهم وبين إدراك متكامل، وسدّ أمامهم أبواب الوعي الدقيق لكثير من الآيات الكريمة، كما نعتف أن كثيراً من كتب التفسير والمعاجم اللغوية كانت سبباً في ذلك كله حيث التقت هذه الكتب والمعاجم على أن تعطي المعنى القريب للكلمة القرآنية، فتشبه المعاني، وتختلط الألفاظ بعضها ببعض، وكثير من العلماء وقف من الترادف في اللغة موقف السلبية والإنكار، على حين نجد بعضهم يعبه من خصائص اللغة ومفاخرها .

وقد عرض الإمام أبو هلال العسكري لهذه القضية في كتابه الفروق اللغوية ، وقد نقل كثيراً من أقوال المحققين مستشهداً على عدم وجود الترادف في العربية ، فيقول : قال

بعض النحويين : لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما فإن لم يكن فيه لذلك علامة ، أشكل وأبس على المخاطب ، وليس من الحكمة وضع الأدلة المشككة إلا أن يدفع إلى ذلك ضرورة أو علة ، ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلا ما شذ وقل .

وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان بدلان على معنى واحد ، لأن في ذلك تكريراً للغة بما لا فائدة فيه " ثم قال :

" ولعل قائلاً يقول : إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد رد على جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا : هو العقل ، أو الجرح قالوا هو الكسب ، أو السكب ، قالوا هو الصب ، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء ، وكذلك الجرح والكسب ، والسكب والصب ، وما أشبه ذلك ، قلنا : ونحن أيضاً كذلك نقول ، إلا أننا نذهب إلى أن قولنا : اللب وإن كان هو العقل ، فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا : العقل ، ومثل ذلك القول ، وإن كان هو الكلام ، والكلام هو القول ، فإن كل واحد منهما يفيد خلاف ما يفيد الآخر ، وكذلك المؤمن ، وإن كان هو المستحق للثواب ، فإن قولنا : مستحق للثواب يفيد خلاف ما يفيد قولنا المؤمن ، وكذلك جميع ما في هذا الباب .

(العسكري / الفروق اللغوية، ص 12) .

ومن عرض للترادف وانكره السيوطي - رحمه الله - وابن فارس ، وقد روى السيوطي عن عز الدين بن جماعة ، قال : حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة ، من أهل اللغة ، فيهم : ابن خالويه ، فقال : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسم أبو علي ، فقال : ما أحفظ إلا اسماً واحداً ، وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند ، والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة .

(السيوطي / الزهر في علوم اللغة وأنواعها - ج 1 ص 405) .

وقد عرفت أن العرب من قُبل كانوا ينكرون الترادف وقد مر بنا قول ابن هرمة "هذا ابن هرمة قائماً بالباب" ، وقد أنكر ابن هرمة هذا وبين أنه قال واقفاً ، وقال لمنشده: ليتك عرفت ما بين هذين اللفظين من فرق في المعنى.

وعرفت ما روي عن النضر بن شميل أنه دخل على المأمون ، فقال له: أجلس، مرتين أو ثلاثاً، فقال النضر: يا أمير المؤمنين: إنما يكون الجلوس بعد اتكأ وذكره بما جاء في السنة عن بعض الرواة، حيث كان صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه ويعلمهم فنهام عن الشرك بالله وعقوق الوالدين ، قال راوي الحديث : وكان متكئاً فجلس ثم قال : ألا وقول الزور (أخرجه

البخاري في كتاب الشهادات / باب ما قيل في شهادة الزور). قال: المأمون فماذا أقول أذن؟ قال: قل اقمعد فأعجب المأمون ذلك، وقد نقلنا لك كلمة الجاحظ . حيث يترق بين كلمتي الجوع والسغب، والمطر والغيث .

وإلى جانب هؤلاء العلماء الذين انكروا وجود الترادف ، وجدنا من العلماء من يثبت الترادف ويعدده من خصائص اللغة ومفاخرها ، وذكروا أنه قد يكون للكلمتين أو للكلمات معنى واحد .

والذي نقرره مطمئنين أن لا ترادف في كتاب الله تعالى ، فإن القول بأن في كتاب الله تعالى ترادف أمر غير منسجم مع قدسية القرآن وبيانه ، والكلمات التي ظنها بعض الناس مترادفة حينما نلعم النظر فيها نجد أن لكل معناها الدقيق ، وإليكم طرفاً مريجاً نطلمكم فيه على بعض الكلمات التي يظن أنها مترادفة .



نشاط (1)

أخي الدارس، أختي الدارسة قم بكتابة تقرير حول قضية الترادف عند العلماء ، ذكراً آراء عالين ممن أنكروا الترادف ، وآراء عالين ممن أثبتوه .

1.2.2.2 كلمات يظن أنها مترادفة

الشك والريب : من نفس

هاتان كلمتان استعملتا في كتاب الله تعالى وهما كلمة : شك وريب ، والعجب كل العجب من الذين يحتاجون على وجود الترادف في اللغة بقولهم : لو لم يكن هناك ترادف ما صح أن نفسر : الريب بالشك . (السيوطي / المزهري في اللغة / تحقيق محمد جاد المرسي 404/1) .

وإنما نعجب من أمره لأننا لا ندرى كيف يفسر الريب بالشك واستعمال القرآن شاهد لما بينهما من فرق، بل فروق . فالقرآن الكريم ينفي الريب دائماً عن القضايا الكبرى كالكتاب والساعة، كما أنه ينفيه عن المؤمنين في جميع أحوالهم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَرَبِّ فِيهِ البقرة: 2،

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَرَبِّ فِيهَا المجمع: 7 ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ

يُرْتَابُوا المبررات: 15 ، وَلَا يُرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ المدثر: 31 .

وعندما تستعمل كلمة (الشك) مسندة إلى الكافرين ، فإنها غالباً ما توصف بكلمة

(مريب) ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ^{التورى: 14} ،
وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ^{ابراهيم: 19} .

وقد نجد أن كلمة الشك ، إذا ذكرت وحدها مسندة إلى الكافرين فانه يضرب عنها ،
وينتقل إلى ما هو أكثر منها ضللاً، وأشد منها سوءاً ، قال تعالى عن الكافرين
بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ^{النمل: 66} ،

واستعمل (الشك) دون وصف في قول الله تعالى: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ^{يونس: 94} . وهذه الآيات الكريمة تجعلنا غير مترددين في أن الريب شيء أكثر من الشك .
" فالريب يتم عن القلق في النفس وما يختلج فيها من أسباب الغيظ " ، ومن تهم
تنافي الطمأنينة ، وهذا بعيد عن ساح المؤمنين ، فضلاً عن قلبه الشريف - صلى الله عليه
وسلم - لذلك حيل بينه وبين أن يسند إليه الريب. (محرد الأرمي / روح المعاني، 106/1) .

أما الشك فمع بعده عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- إلا أن الشك ليس فيه ما في
الريب من محاذير ، ذلك أنه أي : الشك تردد بين شيئين ، قال الراغب: " الشك وقوف النفس
بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمانة ، والمرية: التردد في المتقابلين ،
وطلب الامارة : من مرى الضرع أي مسحه للدر ، والريب : أن يتوهم في الشيء ، ثم ينكشف
عما توهم فيه " ^{الراغب الأصفهاني / المفردات / ص 205} .

ونزيد هنا أننا نجد هذه المادة ، يوصف بها المنافقون ، وأن هذا الفعل يسند إليهم ،
قال تعالى في سورة براءة في سياق الحديث عن المنافقين: إِنَّمَا يَسْتَعْذِرُ الَّذِينَ لَا

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ^{التوبة: 45} ،
وقال سبحانه عن الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب
الله ورسوله من قبل لا يزال بنينهم الذي بنوا رباً في قلوبهم ^{التوبة: 110} .

وفي التنزيل آية جمعت الكلمتين معاً ، وتدبرها يدل على ما بينهما من بون شاسع قال تعالى في سورة المؤمنون وهو يحكي لنا عن خطاب هذا المؤمن الذي سميت السورة باسمه وقوله لآل فرعون: **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**، ونرى من السياق الكريم الفرق الشاسع بين الكلمتين حيث جاءت كلمة

(الشك) مطلقة دون وصف ، لا يفهم منها أكثر من ترددهم فيما جاءهم به عليه السلام ، أما كلمة (مرتآب) المشتقة من الرب فقد ذكرت مقترنة بالإسراف والإضلال ، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تنم عن سوء أولئك الذين استقر في قلوبهم الرب . ولو اننا وقفنا مع الآيات القرآنية التي ذكرت فيها إحدى هاتين الكلمتين لوجدنا أن كل كلمة لا يمكن أن تصلح مكان أختها ،

- السنة والعام :

ونقرأ في كتاب الله تعالى آية ذكر فيها كلمتان اثنتان جاءت كل في موضعها ، لا أقول الذي يناسبها فحسب، ولكن أقول الذي لا يناسبها غيره ، قال تعالى: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ خَمْسِينَ عَامًا مُّكْتَرِينَ** [14] ، وتاملاً في كل من الكلمتين على حدة نستنتج أن هناك أكثر من فرق بينهما.

فالسنة : تلقي من منطوقها ظلال الشدة والقحط والصعوبة . والعام : على العكس

من ذلك . قال تعالى: **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ** [يوسف : 49] .

وفي الأثر : " سنين كسني يوسف " (أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستقواء -

باب : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : اجعلها عليهم سنين كسني يوسف / وأخرجه مسلم في صحيحه / كتاب المساجد / باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ، 135/2) .

وهناك فرق آخر وهو أن السنة تستعمل أكثر ما تستعمل في السنة الشمسية على حين يستعمل العام للقمرية ، ونحن نعلم أن بينهما أحد عشر يوماً تقريباً ، ومن هنا فلا

عجب أن تدهشنا روعة التعبير في اختيار الكلمات ، حيث ذكرت السنة فيما قضاها نوح عليه وعلى نبينا وأنبياء الله صلوات الله وسلامه ، وذكرت كلمة : العام بجانب المدة التي استثنيت من ذلك ، وفي هذا تصوير لما عاناه عليه السلام من شدة في الأمر ، ومقارعة لاعداء الله ، وطول أمد ، واذا تدبرنا كتاب الله تعالى ، فإننا لن نجد أي كلمة منه تشبه غيرها ، فضلاً عن أن تسد مسدّها .

- كتاب وقرآن :

وهاتان كلمتا: (كتاب وقرآن) ، وإذا أجلنا الفكر ورجعنا البصر كرتين فسيظهر لنا أن الاستعمالات لكلمة: " كتاب " إنما قصد به تعيين هذه الكلمة ، وكذلك كلمة " قرآن " .
 ذَالِكُ الْكِتَابِ لِارْتِبِ فِيهِ (البقرة: 2)، لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ (الأنبياء: 10) ،

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (النحل: 89) .

ويلحظ التالي لهذه الآيات الكريمة أن كلمة (الكتاب) تشير إلى ما يستنبط منه (من أحكام وما فيه من قواعد ومبادئ) ، وما اشتمل عليه من تشريع وحكم ، وما ضمنه من علوم ومعارف ، وما يوصل اليه من رفعة .

أما كلمة "قرآن" فنجدها في هذه الآيات الكريمة وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (الزلزل: 4) ،

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ (الإسراء: 106) ، وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ

قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (الإسراء: 78) ، وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (الإسراء: 45) .

وهذه الآيات جميعاً إنما تشير إلى قضية القراءة والتلاوة ، لَا تَحْرُكُ بِهِ لِسَانَكَ

لَتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (القيامة: 16-18) .

وهكذا نجد أكثر المواضع التي ذكرت فيها كلمة : القرآن .

التعبير بالقرآن إذن إما يكون في سياق القراءة والتلاوة، على حين نجد آيات كثيرة

فيها القرآن والكتاب معا، وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (البقرة: 137) ،

فالكتاب في الآية الكريمة يعني بها - والله أعلم - الكتب المتقدمة على القرآن في نزولها .

وأما قول الله تعالى إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ (الإسراء: 9) ،

فلا ينافي ما قلناه لأن الآية الكريمة جاءت بعد ذكر الكتاب الذي أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام، وقبل الكتاب الذي سيأخذه كل إنسان يوم القيامة ، فالآية الأولى التي ذكرت قبل

هذه الآية وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (الإسراء: 2) والآية التي

ذكرت بعد الثانية وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِيبَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا

(الإسراء: 13، 14) توسطت كلمة القرآن بين كتابين ، فناسب أن يذكر بينهما القرآن الذي جعل هداية للناس جميعاً .

- كتب وفرض :

أخي الدارس، أختي الدارسة، مما دمتا نتحدث عن الكتاب، يجمل بنا أن نعرض إلى ما جاء من هذه المادة كثيراً في كتاب الله تعالى وبخاصة في جملة التكاليف والتشريعات

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ (البقرة: 178) وبعدها كُتِبَ عَلَيْكُمُ

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ (البقرة: 180) ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (البقرة: 183) ،

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ (البقرة: 216) ، ونلاحظ أن هناك فرقاً بين الكتابة وبين الفرض في حسن

القرآن، (فالكتابة) ملحوظ فيها الإيجاب والروح الجماعية أعني كونها أمراً جماعياً لا يختلف باختلاف الناس .

أما الفريضة فبراعى فيها جانب القطع والتحديد، ولذا نلاحظ تفاوت الناس فيها كفرائض الموارث، أو ما شرعه الله لنبيه عليه وآله الصلاة والسلام أو للمؤمنين في بعض حالاتهم مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ^[الأحزاب: 38] ، قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ^[الأحزاب: 50] .

وأستأنس لهذا الفرق بشاهد من خير الشواهد في هذا المضمار ، وهو ما روي عن سيد البشر وأفصحهم في الحديث الصحيح (أن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة) . فانظر كيف خصت الصلاة بما لم توصف به الزكاة ، ونحن نعلم الفرق بين الشريعتين ، وأن الصلاة يتساوى فيها المسلمون جميعاً حرماً وعبدهم ، غنيهم وفقيرهم ، عاجزهم وغيره ، وليست الزكاة كذلك بالطبع .



تدريب (3)

فرق بين الكتاب والقرآن ، والسنة والعام .

- الفلاح والغوز :

وقد كثر استعمالهما في كتاب الله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ^[المؤمنين: 1] ،

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى^[الأعراس: 14] ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^[البقرة: 5] ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ^[النور: 52] .

وكثير من المفسرين يعطون الكلمتين مدلولاً واحداً فيقولون في معنى: أفلح ، فاز . والذي يلوح لنا من ذلك- والله أعلم بأسرار كتابه- أن الفلاح لغة: الشق، ومنه المثل: " الحديد بالحديث يفلح " ، بل هذه المادة اللغوية التي تبدأ بهذين الحرفين (الفاء ، واللام) تدل على ذلك ، كالفلق والفلج وغيرهما ، فالفلاح لا بد فيه إذاً من حركة ومشفقة ، ولهذا نجد الآيات التي ذكر فيها الفلاح في كتاب الله تعالى جاءت جامعة لكثير من التكاليف والأوامر، محذرة من كثير من النواهي ، مثل قوله تعالى قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، حيث ذكر أوصافاً كثيرة، منها : البدني والنفسي والمالي، ونهى عن غيرها ، وكذلك قوله تعالى في سورة

البقرة وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وفي غيرها من الآيات .

وأما الفوز فيلاحظ فيه جانب السلامة والنجاة. ولعل الأصل اللغوي يشير إلى ذلك

من قولهم (مفازة) لما كان سبب الهلاك غالباً ولذا قيل للصحراء مفازة.



نشاط (2)

أخي الدارس، أختي الدارسة إرجع إلى كتاب المفردات للراغب الأصفهاني وبين معنى

كلمتي أفلح وفاز، وكتب وفرض.

جاء إلى الجواهر والأعيان

أتى إلى المعاني والأعيان

- جاء وأتى :

ومن الكلمات القرآنية التي يظن أنها بمعنى واحد هاتان الكلمتان: (جاء وأتى)

فالكلمة الأولى: تسند غالباً إلى الجواهر والأعيان، بينما الكلمة الثانية: إلى المعاني

والأزمان.

والمتتبع للآيات القرآنية يجد ذلك واضحاً كل الوضوح ، قال تعالى: وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ

حِمْلٌ بِعَيْرِ لَيْسَ : 72 أي: بكرواح الملك: وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ لَيْسَ : 18،

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ النمر : 23 وقال تعالى: أَتَى أَمْرًا لَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ النحل : 1،

أَتَى أَمْرًا لَّهِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا البقرة : 24 .

وقد اجتمعت الكلمتان في قوله تعالى في سياق قصة لوط - عليه الصلاة والسلام -

قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بَمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ الحجر : 63، 64 فالذي

جاءوا به العذاب ، وهو أمر مشاهد ، والذي أتى به الحق . وقد ذهب الراغب إلى أن الإتيان إنما

هو: المجيء بسهولة فهو أخص من مطلق المجيء ، ومنه قيل : للسيل المار على وجهه أتى

وأتاوي . (الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 8) .

أما قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيئًا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ اعراف : 66 وقوله

سبحانه: فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ الأعراف : 34 .

فان المتحدث عنه في الآية الأولى هو : العذاب . وفي الآية الثانية هو : الموت وكأنه أمر مشاهد ، ولذا يعبر القرآن الكريم عنهم بالحضور . (الزركشي / البرهان في علوم القرآن . 80/4) .

- الفعل والعمل :

وهناك كلمتان في كتاب الله تعالى هما بحق مظهر من مظاهر إعجازه، وأعني بهما : الفعل والعمل. ويظهر الفرق بينهما من جهتين اثنتين : أما الأولى: فإن لفظ (عمل) يستعمل لما يمتد زمانه .وأما لفظ (الفعل) فعلى العكس من ذلك ، فهو لما يكون دفعة واحدة .

والاستعمال القرآني يؤيد هذا الفرق. والآيات الكريمة تشهد له خير شهادة قال تعالى:

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ [4: 13] يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ [سج: 13]، وَقُلِ اعْمَلُوا ۗ [التوبة: 105].

أما استعمال مادة الفعل ، فليس لها زمان مستمر، وإنما تحدث دفعة واحدة. ألم تر

كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ ۗ [النجم: 6]، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۗ [الفيل: 1]، وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي

فَعَلْتَ ۗ [الشعراء: 19] .



وهذا الفرق هو الذي اقتصر عليه السيوطي - رحمه الله تعالى - .

وهناك فرق آخر لا يقل عنه دقة وروعة . وهو ما ذكره الراغب رحمه الله تعالى حيث قال : " العمل : كل فعل يكون من الحيوان بقصد ، فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد ، وقد ينسب إلى الجمادات . (الراغب الأصفهاني / المفردات) .

ولم يذكر الراغب - رحمه الله تعالى - من الآيات ما يعد تطبيقاً لهذا الفرق ، وهو ما سنذكره بغون الله . فالتأمل في الذكر الحكيم يجد ما يطمئن به قلبه ، وتطيب به نفسه ، قال

تعالى في سورة النور ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم

صلاته وتسبيحه ۗ والله عليم بما يفعلون ۗ [النور: 41] ، وقال تعالى في سورة الأنبياء قال بل

فعله كبيرهم هذا ۗ [النور: 63] ، وفي سورة الأنفطار وإن عليكم لحافظين كراماً كتبتين

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (الآيات: 10 - 12) .

أما الآية الأولى والثانية : فأمرهما ظاهر ، فالفعل أسند إلى الحيوان من طير وغيره في الآية الأولى ، وإلى الجماد في الآية الثانية .

وأما الآية الثالثة : فإنه يلوح لنا منها سرٌّ رائعٌ، فتعالى المنزلُ، وجلُّ الصانع ، حيث لم يقل: يعلمون ما تعملون. لا من أجل جرس لفظي فحسب، وهو ما بين الفعلين: يعملون ويعلمون، من تقارب وتشابه في الأحرف، وإنما لما هو أعمق من ذلك وأدق. وهو أن هؤلاء

الملائكة لا يعلمون ما تقصدون إليه من عمل فقط، وإنما يعلمون ما وراء ذلك من خلجات النفوس، وطرفة العين، والخواطر والهواجس ، وكل ما لا يقصده المرء، ومن ذلك قول الله تعالى:

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (ن: 18)، حيث عبّر بالقول دون الكلام .

ولا شك أن الكلام يشمل ما هو مفيد فقط، أما القول : فيشمل المفيد وغيره (ابن جنى الحصان، 7/1) .

ومن خير الشواهد التي توضح الفرق بين (الفعل) و(العمل) ما قصه الله علينا من

نبأ موسى وفرعون. قال تعالى: وَفَعَلَتْ فَعَلَّتْكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا

إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (الشعراء: 19، 20) والفعلة : هنا هي قتل موسى عليه السلام للقبطي، وقد

كان دفعة واحدة لا تدرج فيه من جهة كما أنه من جهة أخرى كان أمراً غير مقصود ولا مراد لموسى عليه السلام ، فكل الذي حدث منه ، وكز القبطي، والركز عادة لا يقتل ، لذلك سمّاه القرآن فعلاً .

وفي قصة البقرة عن بني اسرائيل فذبحوها وما كادوا يفعلون (الآية: 71) والمنعم النظر

في آي القرآن يجد من ذلك ما يثلج الصدر .

دفعنا إليه
بموسى



تخوييب (4)

أخي الدارس، أختي الدارسة، هل في القرآن ترادف، بين ذلك من خلال كلمتي جاء وأتى ، والفعل والعمل.

سنة 1435 هـ

- القعود والجلوس :

من طريق ما يروى أن النضر بن شميل الإمام اللغوي دخل على المأمون ، فقال : اجلس، لكنه استمر واقفاً ، قال : اجلس مرتين أو ثلاثاً ، فقال له: يا أمير المؤمنين، انما يكون الجلوس بعد اتكاء، وانما يكون بعد القيام القعود . وهو يشير بذلك إلى الحديث "وكان متكئاً فجلس" (أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور) .

والتأمل لأي القرآن الكريم ، واستعمال هاتين الكلمتين ، يدرك روعة العربية من جهة، وإعجاز الكتاب الخالد من جهة ثانية، فالقعود انما يستعمل لما فيه لثيث ومكث، أما الجلوس

فيستعمل فيما ليس كذلك . قال تعالى: **وَالْفَوَاحِشُ عَدُوٌّ مِنَ النِّسَاءِ** [النور : 60] ،

وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَلْعِيِّنَ [النبة : 46] ، **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ** [القم : 55] ،

وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمِيعِ [الجن : 9] ، وهذا يبين حرصهم على استراق السمع .

أما مادة : (جلوس) ، فلم تأت إلا في قوله تعالى : **إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي**

الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ [المجادلة : 11] . وهذه المجالس عادة لا يطول المكث فيها

، ومنه الحديث الشريف " مثل الجليس الصالح والسوء " . (أخرجه البخاري / كتاب الذبائح والصيد / باب المسك) .

والحديث الآخر " إياكم والجلوس على الطرقات " (صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب أفضية الدور والجلوس فيها) .

ومن أسرار العربية أن (القاف، والعين، والدال) تدل على اللثيث والثبات فمنها مادة: (قعد) التي تحدثنا عنها من قبل ، والدقعاء: للتراب الكثير الدائم الذي يبقى في مسيل الماء، ومنه: العقد الذي يستعمل لعقدة النكاح، والعقيدة: وهي قضايا ثابتة.

أما (الجيم، واللام ، والسين) فعلى العكس من ذلك ، ففيها الحركة ، ومنه : السجل للشيء المتحرك الذي لا يبقى عند صاحبه .

والطريف انهم ضموا عين المضارع في قولهم: (يقعد) وكسروها في قولهم: (يجلس) والكسرة أخف من الضمة . فاستعملوها لما فيه الحركة . راسخولوا الضمة الأثقل لما فيه المكث.

- الإعطاء والإيتاء :

على الرغم ما بين هاتين الكلمتين من تشابه في اللفظ. واتحاد في الاستعمال عند كثير من الناس، إلا أن بينهما فروقاً من حيث الحقيقة، ويشهد لذلك الاستعمال القرآني، فما هي الفروق بين الإيتاء والإعطاء يا ترى ؟ .

إن الإعطاء إنما يكون على (جهة التملك)، قال تعالى: هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ

أُفْسِكْ بِفِيْرِ حِسَابٍ (ص: 39)، وقد لا يكون الإيتاء على جهة التملك.

وفرق ثان: وهو أن الإيتاء لا يكون إلا للشيء الكثير، والعظيم الشأن، وقد يكون

الإعطاء للقليل، قال تعالى: أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى (النجم: 33، 34) .

ويمكننا أن نتدبر الآيات القرآنية على ضوء هذه الفروق التي ذكرناها . وأول ما يخطر

للفكر معرفته ليلمح فيه الفرق بين هاتين الكلمتين قوله سبحانه: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وآتوا الزكاة (النور: 56)، وقوله: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (التوبة: 29) .

فانظر كيف عبر عن كل من الزكاة والجزية، فبجانب الزكاة استعملت كلمة الإيتاء،

ويمكن أن نلمح الفروق التي ذكرناها من قبل، فهي عطاء على سبيل التملك . ولقد

استعمل الإيتاء كذلك بجانب الملك والحكمة، قال تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي

الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ (آل عمران: 26)، وقال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ (البقرة: 269)،

وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا (مريم: 12)، وَأَتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا (النساء: 54) .

أما الإعطاء، فيمكنني أن نقرأ فيه هذه الآية: وَمِنْهُمْ مَّن يُلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ

فَإِنِ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (التوبة: 58)، وإعطاء

المنافقين لا لكونهم يستحقونه، يقول الرسول عليه وآله الصلاة والسلام " إني لأعطي الرجل

وغيره أحب اليّ منه" (أخرجه البخاري / كتاب الزكاة) . باب قوله تعالى: لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْثَارًا

وقد يتساءل بعضهم: ماذا تقول في قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (الكوثر: 1) ،

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (الضحى: 5) .

والجواب عن ذلك ، إن هذا الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم (هو قليل

في

حقه، وهو قليل كذلك إذا قيس إلى ما هو أعظم منه .

- الخلف والقسم :

وردت كلمة (الخلف) في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة، منه قوله سبحانه :

ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ (المائدة: 189) ، ووردت مسندة إلى المنافقين في آيات

كثيرة، ذكر كثير منها في سورة براءة: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ (التوبة: 62) ،

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ (التوبة: 95) ، يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ

مَا قَالُوا (التوبة: 74) ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، في السور التي تتحدث عن

المنافقين . وورد في سورة (ن) المكية: وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلِيفٍ مِّمَّيْنِ (آية: 10) .

أما كلمة القسم ، فقد وردت في السور المكية والمدنية مسندة إلى الكافرين

والمنافقين ومن ورودها في السور المكية قوله سبحانه: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا (التحل: 38) ، وقوله سبحانه: وَأَقْسَمُوا

بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِنِ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْلًا مِّنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا

زَادَهُمْ إِلَّا نِفُورًا (طاهر: 42) وآية ثالثة في سورة الأنعام المكية وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ

جَهْدٌ أَيْمَانِهِمْ لِيَنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا (الأنعام: 109).

ومن مجيئها في السور المدنية قوله سبحانه: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

لِيَنْ أَمْرَتَهُمْ لِيُخْرِجَنَّهُ [النور: 53].

ويقيننا أن الحلف والقسم ليسا شيئاً واحداً، وهو ما ترشد إليه الآيات الكريمة، ولكن

ما الفرق بينهما؟



نشاط (3)

في سورة [الأنعام ، آية 109] من هم الذين أقسموا بالله ، ارجع إلى تفسير روح المعاني والكشاف لبيان ذلك.

أخي الدارس، أختي الدارسة ترى الدكتورة بنت الشاطي، أن الحلف لا يكون إلا فيما هو كذب ، ومن هنا أسند الحلف كثيراً إلى المنافقين ، كما ذكر في كفارة اليمين ذالك

كفارة أيمانكم إذا حلفتم . وأما القسم فأنما يكون لليمين الصادق بها صاحبها . (بنت الشاطي، ص212).

وما نظننا نوافقها على هذا الذي ذهبت إليه ، والذي يظهر لي أن الحلف قد يكون صاحبه صادقاً أو كاذباً ، وهذا ما تشهد به الآية التي مرت معنا ، والتي ذكرناها من قبل ، فأية المائدة كحدث عن كفارة اليمين للمؤمنين الذين لا يحلفون إلا صادقين ولكنهم يريدون أن يكفروا عن حلفهم ، وتنبه نبي الله صلى الله عليه وسلم : " إذا حلف ووجد أن من الخير أن يعود لما حلف عليه فليعد وليكفر عنه " (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان

والنذور باب قول الله تعالى: لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِالْعُيُوبِ وَأُتْمَانِكُمْ.

— أما القسم فأنما يأتي في معرض التأكيد ، والصيغ التي في كتاب الله تعالى جميعها كانت على المنافقين والكافرين - كما قلت من قبل - ولم تأت آية منها حديثاً عن

المؤمنين . وهذا بالطبع لا يشمل الآيات التي أقسم بها ربنا تبارك وتعالى كقوله:

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [النباة: 1] ، وكأن الكافرين والمنافقين أرادوا أن يغلظوا الأيمان ليخفوا وراعها ما يتفاعل في نفوسهم من كذب وخديعة.

-الحمد والشكر :

بدأ الله كتابه بقوله: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ولقد ذكرت هذه الجملة " الحمد لله "

مرات عديدة فاتحة بعض السور وفي ثناياها كذلك، ولكن كلمة (الشكر) ذكرت أكثر من كلمة الحمد. قال تعالى: **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** [البقرة: 152] ،

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [ابراهيم: 7] ، **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ** [النمل: 19] ، ولقد ذهب بعض المفسرين إلى أن

الكلمتين ذواتا معنى واحد ، والمحققون ذهبوا غير هذا المذهب وإذا كان من فرق بين (الحمد والشكر) فإن الحمد يكون باللسان، أما الشكر فلا يختص به اللسان وحده، وإنما يكون بالقلب والجوارح .

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وهناك فرق آخر بين الحمد والشكر ، وهو أن الشكر لا يكون إلا مقابل نعمة ، أما الحمد فإنما يكون لأي شيء حسن ، فأنت قد تحمد إنساناً لشجاعته أو كرمه دون أن ينالك منه شيء ، ومن أجل هذا اختيرت كلمة (حمد) في فاتحة الكتاب العزيز .



نشاط (4)

بين الزمخشري في تفسيره الكشاف الفرق بين الحمد والشكر والمدح في تفسيره لسورة الفاتحة، هات ما ذكره رحمه الله .

- يدع ويذر :

هذان الفعلان استعملت منهما صيغة المضارع والأمر ، والذي جاء في كتاب الله

تعالى، وفي كثير من الآيات الثانية منهما . قال تعالى: **أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ**

الْخَلْقِينَ [الصافات : 125] وقال تعالى: **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى**

وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ [الأعراف : 127] ، وقال سبحانه:

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [الأنعام : 91] ، **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا**

اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ البقرة : 278] .

وإذا كانت الكلمتان تستعملان في معنى (الترك) ، إلا أن الأولى منهما هي :

ترك مع عناية وتلف ، ومن ذلك (ما ودعك ربك) وهي قراءة غير متواترة .

أما الكلمة الثانية: فهي ترك مع اعراض واهمال للشئ ، وعدم اعتداد ، وقلة اعتناء به ،

ومنه الوردية: وهي قطعة من اللحم تترك لعدم الاعتداد بها ، لقلة جودتها. ولذلك استعملت

الكلمة الثانية كثيراً في كتاب الله عز وجل. ذلكم هو البيان القرآني الرائع، وتلكم هي

ألفاظه، ذات المفهوم المحدد .



تدوين (5)

فرق بين كلمتي الحلف والقسم ، والحمد والشكر .

2.2.2.2 استعمال ألفاظ مختلفة في مواضع متشابهة

أخي الدارس، أختي الدارسة مما يتصل بهذه القضية التي تحدثنا عنها استخدام القرآن

الكريم ألفاظاً مختلفة في المعنى، جاءت في مواضع متشابهة، واختص كل موضع بما يلائمه

ويناسبه:-

- الإغراء والإلقاء :

وبما هو جدير بالتدبر، حري بأن تخشع له القلوب ، هاتان الكلمتان من كتاب الله ،

وهما كلمتا الإلقاء والإغراء، ولنستمع :

في سياق الحديث عن أهل الكتاب: وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا

مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (المائدة: 14) وفي آية

أخرى وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَاللَّيْنُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا

أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

(المائدة: 64)

وقفت طويلاً عند هاتين الآيتين، أتساءل عن سر استعمال "أغرنا" في آية و "ألينا"

في أخرى، وكنت على يقين من أن وجود كل من الكلمتين في موضعها، لا بد له من

حكمة. والحقيقة أن الإعجاز البياني للقرآن الكريم لا يختص بالعرب وحدهم - كما بينته من

قبل - إنما كل من فقه العربية من غير العرب ، أو ترجمت له معاني الكتاب الكريم، فإنه

سيقف على هذا الإعجاز، كما يقف عنده العربي ذو الطبيعة المسترسلة، والسليقة المتأصلة.

جاءت كلمة الإغراء حديثاً عن النصارى ، أما كلمة الإلقاء فجاءت في سياق

الحديث عن اليهود، وإن كان كثير من المفسرين ذهب إلى أن قوله تعالى: وَاللَّيْنُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

أي بين اليهود والنصارى، وإذا أردنا تفسيراً قريباً للإغراء والإلقاء ، فإن الإغراء ببساطة

هو الإلصاق بحيث إذا ألصقت شيئين معاً يصعب فصلهما ، فهو مأخوذ من الغراء (بفتح

الغين) أو الغراء (بكسرها) وهي المادة المعروفة عند كثير من الحرفيين أما الإلقاء فهو

مجرد الطرح.

وبعد هذه المعرفة اللغوية ، إذا أردت أن تتذوق البيان في الآيتين الكريمتين ، فلا بد لك

من التاريخ والواقع ، فلقد حدثنا التاريخ أن العداء بين الأمم النصرانية مستحكم ملصق بهم ،

وعليك أن تقرأ التاريخ يحدثك عن تلك الحروب الطاحنة ، بين الشعوب الأوروبية والطوائف النصرانية ، ولقد كان آخرها شمولاً الحرب العالمية الثانية ، وإنما قلنا آخرها شمولاً ، لأن هناك عداوات إقليمية بين الكنائس النصرانية كما يحدث في أيرلندا وغيرها لا زال على أشده .

ر أما الإلقاء : فهو مجرد الطرح كما علمت ، فإذا كان الضمير في قوله تعالى " بينهم " راجعاً إلى اليهود ، فنحن نعلم أن ما بين اليهود من عداوة لم تصل إلى ما هي عليه عند النصارى وإذا كان راجعاً لليهود والنصارى - كما ذهب بعض المفسرين - فالأمر فيه ظاهر كذلك ، فأمر العداوة لا يصل إلى ما هو عليه عند النصارى بعضهم مع بعض ، وإن خير دليل على ذلك ما حدثنا عنه التاريخ مما كان بين النصارى واليهود ، وبخاصة في أوروبا ، ولكنه تحول اليوم إلى مودة ومعونة ومساعدة لما كان المسلمون طرفاً ثالثاً .

هذه شذرة من شذرات الإعجاز البياني ، كما يصوره الكتاب الخالد ، وصدق الله:

وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ
[فصلت : 41] .

- الدثار والتزمل :

رَسِيْلٌ قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ قِمَّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوْ أَنْقَصَ مِنْهُ قَلِيلاً

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً [المزم : 1-4] وقال تعالى: يَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ

قُمَّ فَانْدِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ [المدثر : 1-3] وكثيرون الذين يفسرون الدثار والتزمل بمعنى واحد ،

إلا أن اختيار الكلمة القرآنية في موضعها يحتم علينا أن نبحث عن سر هذا الاختيار ، فالدثار هو اللباس الذي يلي البشرة ، أما التزمل فهو يعطي معنى زائداً على ما سبق ، فالتزمل فيه معنى الثقل والكثرة ، ومنه الزوامل التي تحمل الأحمال الثقيلة .

ولما كان الدثار أمراً لا بد منه لكل من يقابل الناس ، جاء قوله سبحانه: يَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ قُمَّ فَانْدِرْ ولما كان التزمل أي المتلفف المتثقل بما يضعه على بدنه من

ثياب وغطاء وغشاء - وهذا يكون في حالة نومه - جاء قوله سبحانه: يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ

قُمَّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً .

وهكذا تجد الكلمات القرآنية ، كل في موقعها الذي يصلح لها ، وفي موضعها الذي لا يصلح إلا له .

- كلمتا الإلقاء والقذف : سند إلى الله تعالى

وردت كل من الكلمتين في سياق الجهاد ومحاربة الأعداء، مسندتين إلى الله تبارك وتعالى المنعم على عباده بهذا الرعب إكراماً للمؤمنين، وبأساً على أعدائهم، قال تعالى في سورة الأنفال: سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ [الأنفال: 12] وقال في سورة الحشر

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ [الحشر: 2] ومن كان له أدنى اطلاع في قضايا اللغة يدرك أن كلمة القذف تعطي من الدلالة، وتلقي من الظلال ما لا يوجد في كلمة (إلقاء).

فكلمة (القذف) إنما تستعمل لما فيه الشدة والقوة والضخامة ولهذا يقال: هم بين خاذف وقاذف، فالخذف هو رمي الخذف، وهي الحصاة الصغيرة، أما القذف فلا يمكن إلا بما كبير واشتد ضاربه فيه.

وحينما نفق أمام النصين الكريمين نتساءل متدبرين: لم جاءت كل كلمة في هذا المكان دون غيره؟ والسياق كفيلاً بالإجابة على هذا التساؤل لذلك كان لا غناء عنهما لمفسر القرآن الكريم فإن السياق كذلك. وإليك بيان ما نحن بصدده :

الإلقاء جاءت في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر والتي كانت بين المسلمين وقريش، وكان المشركون من أهل مكة يقفون ويتجمعون في ذلك الموضع، لا يجدون ما يتحصنون به إلا تروسهم وأسلحتهم، لكن كلمة (القذف) جاءت في سورة الحشر، سورة بني النضير، وهم الذين - كما حدثنا القرآن عنهم - كانت لهم حصونهم المنيعة الحصينة، والقرآن

الكريم يحدثنا عن ذلك وهو يمتن على المؤمنين هو الذي أُخْرِجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتَيْبِ مِنْ دَيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ [الحشر: 2].

كانت كلمة الإلقاء -إذن- في مكانها المناسب، وجاءت كلمة القذف حيث لا يصلح أن تستعمل كلمة الإلقاء وهكذا تتجلى لنا الكلمة القرآنية بهاء ورواء.

ومن ذلك كلمتي (الإنكدار والانتثار). قال تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ

أُنكَدِرَتْ التكرير: 1-2 ، وفي آية أخرى إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ أُنثَرَتْ
(الانتظار: 1-2).

فقد استعمل القرآن كلمتين بجانب النجوم ذكر الإنكدار، وبجانب الكواكب ذكر
الانتثار، ولما كانت النجوم مضيئة كانت الكلمة التي تلائمها وتناسبها ما ذكره القرآن من
الإنكدار.

ولما كانت الكواكب ليست كالنجوم وإنما هي أجسام صلبة غير مضيئة بذاتها كانت
الكلمة التي تناسبها الانتثار لأنها تتحطم أجزاءها وتتناثر.
والآن أخي الدارس، أختي الدارسة أجب عما يلي :



أسئلة التقويم الذاتي (1)

س1 أ - الإعجاز البياني هو أعم وجوه الإعجاز وأتمها ، بين ذلك .
ب- اذكر ميزات الكلمة القرآنية .
س2- يدعي بعضهم وجود ترادف في كتاب الله تعالى ، ناقش هذا القول من خلال بيان الفرق
بين ما يلي .

1 - الإعطاء والإيتاء بأن حكمه

2 - الحمد والشكر .

3 - الشك والريب .

4 - كتب وفرض .

س3 - بين سر التعبير في الآيات التالية :

1 - قال تعالى: فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

2- يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ قَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا وَقَالَ: يَأْتِيهَا الْمَدَثَرُ قَمِ فَأَنْذِرْ .

3.2 رسالة الحرف في كتاب الله تعالى

1.3.2 توطئة

وإذا كنا نتحدث عن الكلمة القرآنية، فإننا نعني بها الكلمة باصطلاح اللغويين، اسماً كانت، أو فعلاً، أو حرفاً من حروف المعاني، لذلك كان لهذا الحرف نصيبه الأوفى، وحظه الأوفر في البيان القرآني، سواء كان ذلك من حيث حذفه وذكره، أم من حيث وضع حرف مكان حرف آخر.

وأحب أن أشير هنا إلى ما ذهب إليه كثير من العلماء من تناوب الحروف بعضها مكان بعض، قضية غير مسلمة أو مستساغة في كتاب الله تعالى، فكل حرف له مدلوله الخاص به. فإذا قال تعالى: **وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُلُوعٍ النَّخْلِ** [طه: 71]؛ ذلك لأنه يصور لنا ما في

نفس فرعون من حقد وغيظ علي أولئك **السحرة المؤمنين**، فإن هذا الحرف (في) له مدلوله فقد جيء بهذا الحرف، ولا يسد غيره مسدّه ولا يمكن أن يقال إن (في) هنا بمعنى (على). وهكذا كل حرف في كتاب الله تبارك وتعالى، لا ينبغي أن نقول: إنه جاء عوضاً عن غيره،

(فعن) في قوله: **عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** [الماعن: 4] ليس المقصود بها أن تكون بمعنى (في) أي في صلاته. **لَسِي مِنْ**

ع

فلقد ذكر المحدث الخطابي (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 32) بسنده إلى مالك بن دينار، قال: جمعنا الحسن - يعني البصري رحمه الله جميعاً - من أجل عرض المصاحف، وكان

في المجلس أبو العالية، فسأله أحدنا عن قوله تعالى: **قَوِيلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِيْنَ**

هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ فقال أبو العالية: هو الذي يسهو في صلاته، فقال الحسن: لا، يا أبا العالية: إن الله يقول "عَنْ صَلَاتِهِمْ" ولم يقل في صلاتهم". هذا هو رأي المحققين اللغويين (أبو ملال العسكري / الفرق اللغوية، ص 13).

فنحن نرى أن الحسن البصري - رحمه الله - ورضي عنه، وهو الذي أترض لبان النبوة فأكرمه الله أيما إكرام - أبقى أن يستبدل الحرف القرآني بغيره.

والتأمل في كتاب الله تعالى يجد من ذلك ما يطمئن القلوب، ويثلج الصدور، والحق أن الحرف في كتاب الله تعالى، حري بالدراسة الجادة، والبحث الدائب، وقد وقفني هذا الحرف في كثير من الايات القرآنية، وأنا أبحث عن سر حذفه تارة، ووجوده تارة أخرى،

وأهرع لكتب التفسير - جزى الله كاتبها خير الجزاء - ولكني أحياناً لا أجد البغية التي تشفى الغلة ، وتبرى العلة ، وساكتفي من ذلك ببعض الآيات الكريمة .

2.3.2 حذف الحرف وذكره

1.2.3.2 قال تعالى: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (ال عمران :

139) وَقَالَ سُبْحَانَهُ: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ (سجدة : 35) .

وقفت كثيراً مع الآيتين الكرمتين ، أتأمل النظم ، راجياً من الله أن يكرمني بنور الفهم ، والفرق بين الآيتين من حيث النظم ظاهر لك ، ففي الآية الأولى ذكرت (لا) مرتين " ولا تهنوا ولا تحزنوا " ؛ ولكنها في الآية الثانية ، لم تذكر إلا مرة واحدة " فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم " ، ويعلم الله أن هذا القرآن يحمل حجة على أنه تنزيل رب العالمين ، في كل آية من آياته ، وأرجو أن تدبر الآيتين تدبراً جيداً ، وما أظنك إلا أنك سيرقص قلبك طرباً ، وتتيه نفسك ، ويخشع فؤادك ، ولقد وجدت ذلك كله يعلم الله صدق ما أقول .

ولعله قد بلغ بك الشوق مبلغاً ، لتدرك سر النظم في الآيتين الكرمتين ، فالآية الأولى جاءت تحذير المؤمنين من أمرين اثنين ، الوهن والحزن ، والوهن والحزن أمران ليسا من الفضيلة ولا من الخير في شيء ، فلا يجوز للمؤمنين أبداً أن يركنوا إلى واحدة من هاتين الصفتين ، أو من هذين المرضين الاجتماعيين ، اللذين ينخران في جسم الأمة ، فيحولان بينها وبين نعمة الأمن ، وحلاوة الاستقرار ، والقدرة على التحفز ، ولذة المقاومة ، ومقاومة الشر .

أما الآية الثانية ، فكان النهي فيها عن أمرين اثنين كذلك : الوهن ، وهو ما تشترك فيه مع الآية الأولى ، وهو الأمر الأول ، أما الأمر الثاني فهو الدعوة إلى السلم ، ولكنه لم يقترب بحرف النهي (لا) الذي اقترن به الحزن ؛ فما هو السر في اقتران الوهن والحزن بلا . وخلو الدعوة إلى السلم منها . إن هذا القرآن مفصل تفصيلاً تاماً . وما ذلك - والله أعلم بما ينزل - إلا لأن الحزن شر في كل وقت ، أما الدعوة إلى السلم فليست كذلك ، إنما هو شر حيناً ،

ولكنه قد يكون خيراً حيناً آخر ، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ

لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ (ولكنه شر حينما يكون استسلاماً) ، وحينما يقترب بالضعف والوهن ،

كما هو الشأن في أيامنا هذه ، فلو أنه قيل " ولا تدعوا إلى السلم " لكان السلم محرماً

على المسلمين في كل حين وعصر ، وليس هذا من شأن الإسلام. لكن نظم الآية على ما هو عليه "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم" جاء يحرم على المسلمين الدعوة إلى السلم الناشئة عن الضعف، والتي هي خضوع وخنوع وذلك لا يرتضيه الإسلام ولا يليق بالمسلمين .

أرأيت إلى بديع النظم ، أرأيت إلى رسالة الحرف القرآني، التي يحملها للمسلمين -

هذا الحرف - إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا يوسف 2

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

الفرقان: 16 .

2.2.3.2 يقول تعالى حديثاً عن المتقين الذين يؤمنون بالغيب أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (البقرة: 5) ويقول حديثاً عن أولئك الذين لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم

أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ

الْغَافِلُونَ (الأعراف: 179) .

فأنت ترى الآية الأولى وسط فيها حرف العطف " وأولئك هم المفلحون " أما الآية

الثانية فلقد خلت من هذا الحرف ولقد جلى الزمخشري -رحمه الله تعالى- هذه الدقيقة

البيانية ، فذكر السر الذي من أجله وجد حرف العطف في الآية الأولى وحذف في

الثانية، وخلاصة ما ذكره في ذلك : أن الآية الأولى ذكرت وصفين مستقلين للمؤمنين ،

أولهما أنهم على هدى من ربهم ، فمسلكهم سوي، ومسيرتهم صحيحة ، والثاني أنهم

مفلحون ، وتلك هي غاية ونتيجة للوصف الأول ، فإن فوزهم وفلاحهم إنما نشأ عن كونهم

سائرين على الهدى .

أما الآية الثانية فليس الأمر فيها كذلك ، فوصفهم بالغفلة إنما هو مؤكد لتشبيههم

بالأنعام ، فلو أنه جيء بالواو في هذه الآية لترتب على مجيئها خطأ يجعل عنه القرآن ، مؤداه

أن الأنعام ليست في غفلة ، فلو قيل وأولئك هم الغافلون، لكان هذا مغايراً لقوله " أولئك

كالأنعام " ويصير المعنى -كما قلت من قبل- أن لهم صفتين: أنهم كالأنعام أولاً، وهم غافلون

ثانياً، وعلى هذا لا تتصف الأنعام بالغفلة، وتلك غفلة يجعل عنها العقلاء .



بين الإعجاز في سر التعبير في قوله: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ
وقوله: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ .

3.2.3.2 وهذه لطيفة من لطائف أسرار التنزيل ، نلمحها في الحرف، في وجوده أو عدمه.

في سورة الأنفال/ الآية (49) نقرأ قول الله تبارك وتعالى: إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

وفي سورة الأحزاب / الآية (12) نتلو قوله سبحانه: إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا فقد ذكرت (الواو) هنا ، ولم تذكر في
الاية السابقة ، وإذا أردنا أن نقف على سر هذا الحرف وجوداً وعدمًا ، فلنتدبر السياق في
كل من الموضعين .

في سورة الأنفال يهيب القرآن بالمؤمنين ويرشدهم وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَنَّى مَا لَا تَرْفَعُنَّ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . (الآيتان 48-49).

الآيتان تتحدثان عن تزوين الشيطان للكافرين أعمالهم ، وجاء بعدها الحديث عن
المنافقين، دون أن يوسط بينهما حرف العطف ، ذلك لأن تزوين الشيطان وقول المنافقين كانا في
وقت واحد، وهذا معنى قولهم : إن قوله تعالى "إذ يقول المنافقون" بدل من قوله "وإذ زين"

وكان ربنا يقول : إذ زين لهم الشيطان أعمالهم في الوقت الذي قال فيه المنافقون كذا وكذا .
ثم إن قول المنافقين ليس إلا من تزيين الشيطان ، وهذا لا ينافي أن المزين لهم هم كفار مكة، ولو جاءت الواو هنا لتغير هذا المعنى الذي يقصد إليه القرآن ، وهو أن قوى البغي جميعها تألقت على المؤمنين في وقت واحد ، ولكنهم إن توكلوا على الله حق التوكل فإن الله عزيز حكيم ، ولن يضرهم ذلك شيئاً .

أما آية الأحزاب التي جاءت فيها (الواو) ، فلنتدبر ما جاء قبلها من آيات لنذكر الفرق بين السياقين . قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا** (الآيات 13-9) .

لقد ذكرت (اذ) هنا خمس مرات، الأوليان منها دون حرف عطف، **إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ** ، **إِذْ جَاءَوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ** ، والثلاثة وسط بينها حرف العطف. وعدم ذكره في الأوليين ظاهر، لأن النعمة في هذا المجيء الذي دفعه الله عن المؤمنين، والمجيء الثاني يدل على المجيء الأول، فلا يجوز أن يوسط بينهما حرف عطف فيقال "وإذ جاءوكم من فوقكم" .
أما الثلاثة الباقية : "وإذ زاغت الأبصار" ، "وإذ يقول المنافقون" ، "وإذ قالت طائفة منهم" فكل واحدة من هذه تعطي معنى جديداً، فكانت حرية بأن تكون قضية مستقلة يذكر الله بها المؤمنين، فزيع الأبصار يختلف عن مجيء الجنود لأنه خاص بالمؤمنين، وكذلك قول المنافقين يختلف عن سابقه، وهكذا لكل من هذه الأفعال فاعل خاص به ، المجيء أسند للكافرين، وزيع الأبصار خاص بالمؤمنين، والقول أسند للمنافقين، وهذا القول اختلف في موضعيه، فالقول الأول أسند للمنافقين والذين في قلوبهم مرض، والثاني أسند لطائفة منهم، وهكذا كان وجود هذه (الواو) لا بد منه .

4.2.3.2 قال تعالى في سورة الشعراء يحكى لنا ما قاله المعاندون لأنبيائهم ، وبالتحديد ما قالته ثمود التي استحبت العمى على الهدى لنبيهم صالح عليه وعلى نبينا وأنبياء الله الصلاة والسلام ، وقد أمرهم الله بعبادة الله وحده وحذرهم

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ، قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (الشعراء: 153-155) ، أما قوم شعيب عليه الصلاة والسلام

فهذه مقالاتهم كما جاءت في كتاب الله " قالوا: إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ

وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ (الشعراء: 185-186). فنحن أمام آيتين متحدثين في الجواب: ذكر حرف العطف في إحداهما ولم يذكر في الأخرى. فما هو السبب البياني يا ترى ؟.

أخي الدارس، أختي الدارسة من المفيد أن نستمع إلى ما قاله العلماء أولاً ، ثم نحدثك بما يفتح الله به وهو الفتح العليم. فالشهاب الألوسي (روح المعاني 119 / 19) ، وهو خاتمة المحققين في عصره، يرى أن سبب زيادة الواو يرجع إلى أن شعيباً عليه الصلاة والسلام كان خطيب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فأحب القوم أن يجاروه فيما وهب من قول فزادوه هذه الواو.

ومن قبل الشهاب الألوسي - رحمه الله - يقول الكرمانى صاحب متشابه القرآن ، ما هو قريب من هذا : أن شعيباً زاد في الحديث ، فزادوا له في القول ، وأن صالحاً قلل فقللوا له (الكرمانى/ متشابه القرآن (أسرار التكرار) ، ص 155) . وما أظن ذلك مقنعاً ، ولا منسجماً مع بيان القرآن الكريم وروعته وإبجازه وإعجازه ، فهل كان شعيب خطيب الأنبياء حقاً ، وهل كان كلام صالح أقل من كلامه عليهما الصلاة والسلام ؟ لعل واقع الآيات التي جاءت كل من الجملتين بعدها لا يشهد لذلك ولا بقره .

وعلى التسليم بأن كلام صالح كان أقل ، فهل وجود الواو من شأنه أن يكون زيادة في الحديث تتفق مع بلاغة شعيب وخطابه ؟ والعجب من الكرمانى وغيره حيث عدّ الجملة الأولى " ما أنت إلا بشر مثلنا " بدلاً ، والجملة الثانية " وما أنت إلا بشر " : عطفاً مع اتحاد المعنى ، مع أننا نعرف أن البديل والعطف متغايران تماماً ، فإذا قلنا (قام زيد وأخوك) و (قام زيد

أخوك) ففي الجملة الأولى ينبغي أن يكون زيد ليس هو الأخ ، أما الجملة الثانية : فإن زيدا هو الأخ نفسه ، وإذن لا يمكن أن تكون إحدى الجملتين عطفاً ، والأخرى بدلاً ، ويكون المعنى واحداً : بل لا بد أن يكون لكلٍ منهما معنى .

ويتبين لنا أخي الدارس ، أختي الدارسة ، والله أعلم - أن هنا شفافية من الإعجاز التاريخي والبياني معاً وإليك بيان ذلك ، وحاولوا أن تعدوا أنفسكم لتلقيه وفهمه فهو بحق بديعة من بدائع إعجاز القرآن .

إن كلمة مسحرين لها معنيان : أحدهما أن تفسر بالمسحورين الذين أصيبوا بمس واختلط الأمر عليهم ، والثاني: أن تفسر بمن لهم معدة يأكلون ويشربون ، ومن هذا القبيل ما ورد عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : (توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بين سحري ونحري) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة حديث رقم (2443) 4 / 1893 ، وقد ذكر المفسرون ابن جرير والزمخشري والرازي هذين القولين ، أما الزمخشري والرازي فلم يرجحا قولاً على آخر ، وأما ابن جرير فقد رجح أن كلمة مسحرين في الآيتين ، تعني أنهم بشر يأكلون ويشربون .

والذي نراه هنا التفصيل فما قاله قوم صالح - عليه الصلاة والسلام - قصد به هذا المعنى الأخير وهو ما رجحه ابن جرير ، وما قاله قوم شعيب - عليه الصلاة والسلام - قصد به المعنى الأول أي من المسحورين ، وحجة ذلك .

أن كلمة مسحر : حينما تفسر بصاحب المعدة والرثة ، الذي يأكل ويشرب فإنها تكون مساوية للبشرية ، أما إذا فسرت بالمسحور ، فإنها لن تكون كذلك ، بل كل منهما فيها معنى غير الذي في الأخرى ، وقد قال قوم صالح إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ وَمَا أَنْتَ

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فلم توسط الواو بين الجملتين ، لأن معناهما واحد ، إذ معنى المسحرين الذي قصده قوم صالح هو أنك ذو رثة تأكل وتشرب ، ثم جاءت الجملة الثانية تؤكد هذا المعنى مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فان كونه يأكل ويشرب ، معناه انه بشر ، فالجملة الثانية

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ اذن إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ليست اجنبية عن الأولى ، بل هي تأكيد لها ، فبين الجملتين كمال اتصال كما يقول علماء البلاغة ، لذا لا يجوز ان تتوسط الواو بينهما ، لان العطف يقتضي التغاير ولو وسطت الواو لكان لكل من الجملتين معنى يختلف عن معنى الأخرى .

وعلى العكس من هذا ما قاله قوم شعيب إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فكلمة (مسحورين) يجب ان تفسر بالمسحورين الذين مسهم الشيطان واختلط عليهم الامر، وهذا يختلف عن كونه بشرا، فقوم شعيب أَلصَّقُوا بِنَبِيِّهِمْ تهمتين: كونه مسحورا أولا، وكونه بشرا ثانيا، ولا شك ان كلا من التهمتين تختلف عن أختها، لذا وسطت رار العطف، لان العطف يقتضي التغاير كما قلنا، ذلكم هو الاعجاز البياني في الآية.

بقي نوع اخر من الاعجاز، وهو اعجاز تاريخي، لكنه متفرع كما رأينا عن الإعجاز البياني، فالإعجاز البياني هو الاصل والاساس، فما هو هذا الإعجاز التاريخي؟

إننا ونحن نقرأ كتاب الله تعالى، يحدثنا عما كان يدور بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقوامهم، نجد أن التهمة بفرية السحر، لم تكن معروفة عند الأنبياء الأرائل، وإنما كانت متأخرة، ولم تكن قضية السحر مشتهرة عند القبائل الأولى: عاد وثمود، فكل الذي يردون به على أنبياءهم إنهم بشر يأكلون ويشربون، وإنهم اتبعهم الأزدلون؛ لذا لا نستطيع أن نفسر كلمة (مسحورين) التي قالها قوم صالح بمن أصابه السحر؛ لأن السحر لم يكن معلوما لهم ولا معروفا عندهم، فقد ظهر السحر متأخراً وقد حدثنا القرآن عن السحر عند المصريين القدماء، ونحن نعلم قرب المسافة بين مصر ومدين منزل شعيب عليه الصلاة والسلام؛ لذا كان السحر معلوماً لأهل مدين معروفاً عندهم.

وهكذا ندرك نوعي الإعجاز في الآيتين - أعني البياني والتاريخي كما قررنا قبل، والله أعلم فله در هذا التنزيل وما أعظم وأجمل رسالة الحرف، ونسأله أن يلهمنا الصواب، وأن يفتح علينا في فهم كتابه.

5.2.3.2 نقرأ في سورة الواقعة أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَنْتُمْ تَزْعُمُونَهُ، أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلًا (الرابعة، 63) ثم نقرأ قول الله تعالى عقب الحديث عن (الماء)

أَفْرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ، أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ

نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا (الرابعة، 68-70) فلماذا جاءت اللام في آية، وحذفت من الثانية؟ الآية

الأولى جاءت حديثاً عن الزرع، والثانية عن الماء.

ونحن نعلم أن قدرة الناس فيما يظنون على التحكم بالزرع أكبر من قدرتهم على التحكم في أمور الماء ، لذلك جاءت هذه اللام المؤكدة ، فيما يظن الإنسان أن له قدرة عليه ، وهو الزرع ، لكنها حذفته عند الحديث عن الماء ، حيث يعترف الإنسان بعجزه وتقصيره في هذا المجال ، وتلك هي دقة القرآن الكريم ، حيث جاءت الكلمة فيه مقدرة بقدرها .



نشاط (5)

ارجع إلى كتاب متشابه القرآن أو أسرار التكرار للكرماني ، وبين سر مجيء الواو

في قوله تعالى: فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ [المؤمن: 19] وقوله: وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ [الزمر: 173] .

3.3.2 استعمال الأحرف المختلفة في أماكن متشابهة

هذا عن وجود الحرف وحده ، وقد نجد مظهراً آخر من مظاهر الإعجاز في الحرف

القرآني وهو استعمال أحرف متعددة في مواضع متشابهة متقاربة من ذلك :

1.3.3.2 ما جاء في سورتي الحج والمؤمنون حديثاً عن خلق الإنسان ، قال تعالى: يَأْتِيهَا

النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ

مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ [الحج: 5] وإلى جانب هذه الآية

الكريمة نتلوا قول الله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا

فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 14] .

فنحن نرى أن هناك أطواراً لم يستعمل القرآن فيها إلا حرف التراخي (ثم) ، وهذه الأطوار؛ طور التحول من سلالة الطين إلى نطفة ، وطور التحول من النطفة إلى العلقة ، وأمر (ثم) ظاهر في هذين الطورين لأنهما مختلفان من حيث الطبيعة والخاصية والعنصر ، فشتان ما بين التراب (السلالة من طين) ، وبين النطفة (الحيوان) .

أما النطفة والعلقة ، فربما يظن أنها شيء واحد أو قريب بعضها من بعض ، ولكن بينهما بوناً وفروقاً ، إذ النطفة من خصائص أحد المتزاوجين ، وهو الذكر وأما العلقة فلن تكون كذلك إلا إذا اشتركا فيها جميعاً .

أما التحول من علقة إلى مضغة وما بعده ، فتارة استعمل فيه (ثم) كآية الحج ، " من علقه ثم من مضغة " وتارة استعملت الفاء كآية المؤمنين ، وهذا أمر يدعو بحق إلى التساؤل . فلماذا هذا التغير؟ .

أما استعمال (الفاء) فلأن الطورين ليس بينهما فرق ، من حيث العنصر ، والخصائص ، وأما استعمال (ثم) في آية الحج فلأنها جاءت في سياق إثبات البعث ، الذي هو أدل على القدرة الإلهية ، فالمقام مقام تفصيل .

وأنتقل هنا كلمة قصيرة لصاحب كتاب (الإسلام والطب) الدكتور حامد الغوابي : وقد يسأل سائل : لماذا قال الله تعالى في الآية الكريمة " فخلقنا العلقة مضغة " ثم في هذه الآية الكريمة " ثم من علقه ثم من مضغة " فنجيب بأن الله تعالى هنا يبين أدوار النشأة بتسلسل متبوع من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ليبين الأطوار التي يمر بها الإنسان ، فالنطفة تمر بأطوار ، والعلقة لا تبلغ المضغة إلا بعد أن تنقسم في أدوار ، أما في الآية السابقة فقد أرانا الله نصيب كل دور ، ووقت كل طور ، فجاء بالعطف بالفاء ليبين قصر الدور ، وبالعطف بـ (ثم) ليبين التعقيب مع التراخي ، أي طول هذا الطور " . (الغوابي ، بين الطب والإسلام ، ص 126) .

مكرر

2.3.3.2 وفي سورة البقرة يقول ربنا تبارك وتعالى: قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا

[البقرة : 136] وفي سورة آل عمران قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا [آل عمران : 84] .

فنحن نرى انه عبر (إلى) حينما كان الخطاب للأمة لأن القرآن إنما أنزل إليهم ، ونجى (على) حينما كان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن القرآن إنما أنزل عليه وحده .

3.3.2.3 ومن هذا القبيل ما نقرؤه في سورة النساء وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ

اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزقوهم فيها واكسوهم (النساء: 5) وبعدها بآيتين نقرأ قوله

سبحانه: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ فَارزقوهم منه (النساء: 18).

فلقد عبر بحرف الجر (في) في الآية الأولى لغرض رائع ، وهدف بديع ، ذلك ان إعطاء أولئك من المال لا ينبغي أن يكون من أصله وعينه ، وإنما من ربحه وثمرته فهي دعوة لاستثمار المال واستغلاله فيما يحل ، هذه الدعوة العريضة - دعوة استثمار المال - حمل لوامها هذا الحرف وحده ، (ومن هنا قلت) : إن لكل حرف قرآني رسالة يؤديها ، وهذا لا يمكن أن يتصور في الآية الأخرى - آية تقسيم التركة - ليأخذ كل نصيبه الذي يستحقه. (الزمخري / الكشاف ، 247/1) .

4.3.3.2 وحينما نقرأ سورة الفتح نجد ربنا تبارك وتعالى يمتن على نبيه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضوان الله عليهم - بمن كثيرة ، منها إنزال السكينة ، وهذه المنة تذكر مرات ثلاث :

إحداها : تعدى الإنزال بـ (في) .

واثنتان : بـ (على) .

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ (الفتح : 4)

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ (الفتح: 18)

والآية الثالثة : فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ (الفتح : 26)

والمتتبع لأحداث الحديبية يدرك ما أصاب المسلمين من هزات، وما أقلقهم من أحداث، كان أولها حينما صدهم المشركون عن البيت، ثم تلا ذلك ما أشيع من قتل عثمان - رضي الله عنه - وما أعقب ذلك من بيعة الرضوان، ولعل أشدها ما كان عند إبرام الصلح فلقد كان المسلمون بحق بحاجة ماسة إلى هذه السكينة في هذه المواطن الثلاثة، لذا أنزلها الله على رسوله وعلى المؤمنين حينما صدوا عن البيت بسبب حمية الجاهلية، وهذا

أشارت إليه الآية الكريمة: **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ**

الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ [الفتح: 26] ، فالمؤمنون

يذكرون مع الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لانزعاجهم جميعاً من هذا الصدّ ،
لكنهم خصوا بهذه " السكينة عند بيعة الرضوان كرامة من الله ، في هذين الموضعين كما رأينا

في الآية الكريمة **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ عدى الإنزال بـ (على) ، أما الموضع الأخير ،

ونعني به عند إبرام الصلح ، وقد كثر في نفوس المسلمين القلق والألم والإضطراب ، لذا

عدى الإنزال بـ (في) ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي**

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، ولقد كان المسلمون بحق بحاجة إلى

السكينة تتغلغل في قلوبهم في هذا الوطن عند إبرام الصلح؛ وذلك لأن الحرف (في) يفيد

الظرفية، وقلوبهم كانت ظرفاً لهذه السكينة، فلا تفيد ما أفاده هذا الحرف.

5.3.3.2 ومن ذلك قوله تعالى: **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلِيَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** [سأ: 24] فقد

استعمل مع الهداية حرف الاستعلاء (على) ومع الضلال (في) وذلك لأن من كان على

الهدى كان كأنه مستعمل على الحق متمكن منه مثبت بما هو فيه بخلاف من كان في الضلالة.

إذ هو كأنه ساقط فيها ، والساقط في الشيء غير متمكن من نفسه... قال تعالى:

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ [البقرة: 5] وقال: **إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ** [النمل: 79] فاستعمل

للهدى (على) . وقال: **وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** [الاعراف: 186] وقال: **قُلْ**

مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا

السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا [مريم: 75] أي ساقطاً فيه.

(السامرائي، التعبير القرآني ص 184) .

قال الزمخشري : فإن قلت : كيف خولف بين الجر الداخلة على الحق والضلال ؟ قلت : لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه " (الزمخشري، الكشاف 582/3) .

6.3.3.2 ومن ذلك قوله تعالى: كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى (التعليل) (الرعد: 2) و (الزمر: 5) ، وقوله:

كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (لقمان: 29) فقد جاء في آية الرعد باللام " لأجل " وجاء في آية لقمان بـ " إلى " ، (إلى أجل) والفرق بينهما أن ما ورد باللام يفيد التعليل، بمعنى كل يجري لبلوغ الأجل أي كل يجري لهذه الغاية كما تقول : كلهم يجري لوصول الهدف وبلوغه ، وأما ما جاء بـ (إلى) فهو يفيد الإنتهاء . (السامرائي، التعبير القرآني، ص 188) .

جاء في درة التنزيل : " للسائل أن يسأل عن اختصاص ما في سورة لقمان بقوله " كل يجري إلى أجل مسمى " وما سواه إنما هو يجري لأجل مسمى ، والجواب أن يقال : إن معنى قوله " يجري لأجل مسمى " يجري لبلوغ أجل مسمى وقوله " يجري إلى أجل " معناه لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت، وإنما خص ما في سورة لقمان بـ (إلى) التي للإنتهاء واللام تؤذي نحو معناها ، لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى :

لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، قبله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة^١ وبعدها يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ فكان المعنى كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم كما أخبر الله تعالى.

وسائر المراضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عند ابتداء الخلق وهو: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى^٢ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا^٣ (الزمر: 5-6) .

فآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السموات والأرض وابتداء جري الكواكب وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية وكذلك قوله في سورة الملائكة إنما هو في ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر، إذ يقول: **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ إِلَى قَوْلِهِ: وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ** [طه: 12 - 13] فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها. (الخطيب الاسكافي، درة التنزيل المنسوب للخطيب، ص 49 (374 - 375) .)



تدويب (7)

بين سر التعبير في قوله تعالى: **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا قَوْلُهُ: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ** [النساء: 8]، *هنا، ص 49، ذكر في كتابه المنسوب للإسكافي، ص 49، قوله: "فإنظرني إلى يوم يبعثون، قال إنك من المنظرين" [الأعراف: 14-15] وقوله في سورة الحجر: [36-38] وسورة [ص: 79-81] "قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين" إلى يوم الوقت المعلوم وقرأ ما ذكره عن سر مجيء الفاء "فانظر" في آيتي الحجر و"ص" وعدم مجيئه في سورة الأعراف [ص 143].*



نشاط (6)

ارجع إلى كتاب درة التنزيل المنسوب للإسكافي عند قوله تعالى " قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ [الأعراف: 14-15] وقوله في سورة الحجر: [36-38] وسورة [ص: 79-81] "قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين" إلى يوم الوقت المعلوم وقرأ ما ذكره عن سر مجيء الفاء "فانظر" في آيتي الحجر و"ص" وعدم مجيئه في سورة الأعراف [ص 143].

4.2 الجملة القرآنية

في الجملة القرآنية مظاهر كثيرة من مظاهر الإعجاز ، ومن هذه المظاهر ما نجد في بعض الجمل من تأكيد على حين نرى غيرها مما يشبهها خالية من هذا التأكيد ، ومن مظاهرها الحذف والذكر ؛ فقد نجد جملاً ذكرت فيها بعض الكلمات ، على حين نجد جملاً أخرى مشابهة لها قد حذفت منها هذه الكلمات ، على أننا قد نجد كذلك أن جملاً تامة قد ذكرت في بعض الآيات ، ولكنها لم تذكر في آيات أخر ، كذلك التقديم والتأخير قد نجد بعض الجمل قدمت فيها بعض الكلمات ، ولكن هذه الكلمات نفسها أخرجت في جمل أخرى .

وسنحدثك - أخي الدارس ، أختي الدارسة - عن مظهرين من مظاهر الجملة القرآنية ، هما : التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، راجين أن تتدبروا لتدركوا سمو النظم ، وتتذوقوا حلاوة الإعجاز.

هنا منحرف من قوله هو لله

1.4.2 التقديم والتأخير

1.1.4.2 يقول الله تعالى: ^{هنا} ^{منحرف} ^{من} ^{قوله} ^{هو} ^{لله} ^{إِنَّ} ^{وَلِكَيْ} ^{اللَّهُ} ^{الَّذِي} ^{نَزَلَ} ^{الْكِتَابَ} ^{وَهُوَ} ^{يَتَوَلَّى} ^{الصَّالِحِينَ} [الأعراف : 196]

ويقول سبحانه: ^{سند} ^{اللَّهُ} ^{وَلِيُّ} ^{الَّذِينَ} ^{آمَنُوا} ^{يُخْرِجُهُمْ} ^{مِنَ} ^{الظُّلُمَاتِ} ^{إِلَى} ^{النُّورِ} [البقرة : 227]

ويقول سبحانه: ^{سند} ^{أَمْ} ^{اتَّخَذُوا} ^{مِنَ} ^{دُونِهِ} ^{أَوْلِيَاءَ} ^{فَاللَّهُ} ^{هُوَ} ^{الْوَلِيُّ} [السورى : 9] .

وأظنك أدركت سر النظم ، ففي الآية الأولى جاء لفظ الجلالة خيراً ، ولكن في الآيتين الثانية والثالثة كان مبتدأ ، وبسر ذلك التغير ، أن الآية الأولى جاءت في سياق أولئك الذين جعلوا معبوداتهم أولياء ، يقول الله تبارك وتعالى:

أَمْ لَهُمْ ^{أَيْدٍ} ^{يَبْتَاطُونَ} ^{بِهَا} ^{أَمْ} ^{لَهُمْ} ^{أَعْيُنٌ} ^{يُبْصِرُونَ} ^{بِهَا} ^{أَمْ} ^{لَهُمْ} ^{أُذُنَانٌ} ^{يَسْمَعُونَ} ^{بِهَا}

قُلْ ^{ادْعُوا} ^{شُرَكَاءَكُمْ} ^{ثُمَّ} ^{كِيدُونِ} ^{فَلَا} ^{تُنظَرُونَ} ^{إِنَّ} ^{وَلِكَيْ} ^{اللَّهُ} ^{الَّذِي} ^{نَزَلَ} ^{الْكِتَابَ} ^{وَهُوَ}

يَتَوَلَّى ^{الصَّالِحِينَ} ^{وَالَّذِينَ} ^{تَدْعُونَ} ^{مِنَ} ^{دُونِهِ} ^{لَا} ^{يَسْتَطِيعُونَ} ^{نَصْرَكُمْ} ^{وَلَا} ^{أَنْفُسَهُمْ}

يَنْصُرُونَ [الأعراف : 195 - 196] تقول الآية لأولئك : إن أولياءكم هذه المعبودات المتعددة ،

أما أنا فولِيَ اللهُ ، والفرق بين الجملتين ، أن قولنا " وليي اللهُ " مفهومها وليي اللهُ لا غيره ، أما الجملة الثانية " اللهُ وليي " فمعناها ومفهومها " اللهُ وليي ، لا وليكم أنتم " .

ولأضرب لك مثلاً يبسر لك هذا المعنى . تقول لمن يعتقد أن أخاك محمد ، لا أحمد وهو يعرفهما " أخي أحمد ، وليس محمداً " ولكنك تقول لمن يعرف أحمد ، ولكن لا يعرف أنه أخوك ، وإنما يظن أنه أخ لغيرك ، أو يظن أنه ابنك " أحمد أخي " أي ليس أخاً لغيري ، ليس ابني . وهكذا تقول " صديقي خالد " لمن يظن أن صديقك سعيد ، ولكنك تقول " خالد صديقي " لمن يظن أنك لا تعرفه ، أو أنه خصمك .

وأظنك الآن تفهم الفرق بين نظم الآيتين الكريمتين ، فقول اللهُ سبحانه " إن وليي اللهُ " أي وليي اللهُ وحده، وليس لي ولي من معبوداتكم التي ارتضيتموها ، أما قوله سبحانه " اللهُ ولي الذين آمنوا " فمعناه إنه ليس ولي الكافرين ، وبدل لهذا الآية الكرمة نفسها " الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت " وهكذا تفهم الآية الثالثة " فالله هو الولي " أي الولي الكامل الذي لا يتخلى عن عبده .

2.1.4.2 يقول سبحانه وتعالى: إِذْ يَفْشِيكُمُ النَّعَاسُ أَمِنَةً مِنْهُ (الأنفال: 11) . ويقول في

آية أخرى ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمِنَةً نُّعَاساً (الاعمران: 154) .

انظر كيف قُدم النعاس في الآية الأولى على الأمانة، وأخر في الآية الثانية، فهل من حكمة بيانية لهذا النظم البديع؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إذا عرفنا أن آية الأنفال كانت في بدر، وأن آية آل عمران كانت في أحد، وعرفنا أن حاجة المسلمين في بدر كانت إلى الراحة والنوم، لأن الله قد تكفل لهم بالنصر حيث وعدهم إحدى الطائفتين. أما في أحد فلقد كانت حاجتهم بعد أن أصابهم ما أصابهم إلى الأمن والطمأنينة، إذا عرفنا ذلك أدركنا سر التقديم والتأخير في الآيتين الكريمتين؛ فقدم في كل آية ما يتلاءم مع ظرف الجماعة المسلمة وحاجتهم.

3.1.4.2 يقول اللهُ تبارك وتعالى متفضلاً على هذه الأمة ، مبيناً منزلتها بين الأمم

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (البقرة: 143) ويقول سبحانه: فَكَيْفَ إِذَا

جِنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِنَّا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (النساء: 41)

ويقول سبحانه: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَجِنَّا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (النور: 189)

ويقول: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ

مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ

فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (المع: 78).

قف أمام هذه الآيات الكريمة ، وستجد أن الآية الأولى والثانية آخر ما فيها لفظ

شَهِيد ، ولكنه قدم في الثالثة والرابعة ، وحاول أن تكشف اللثام عن ذلك الوجه المشرق ، الذي يتفجر نوراً وحكمة . وسأحاول أن آخذ بيدك ، لأفتح لك الباب الذي تلج منه .

أن قوله سبحانه وتعالى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ بيان لشأن هذه الأمة ،

بشهادتها على غيرها من الأمم، ولكن ليس معنى هذا أنه ليس على هذه الأمة شاهد

غير هذه الأمة ، فأنبياء كل أمة وصالحوها سيشهدون عليها ، شهادة هذه الأمة - إذن -

على غيرها من الأمم ستكون واحدة من شهادات كثيرة . ولكن لو قيل " لتكونوا على

الناس شهداء " لكان معنى هذا أنهم هم الذين يشهدون على الناس ، لا غيرهم ، وليس

الأمر كذلك - كما عرفت - فإن نبي كل أمة شاهد عليهم .

" لتكونوا شهداء على الناس " - إذن - ليس فيه تخصيص لهم بأنهم وحدهم يشهدون

على الناس ، كل ما فيه أنهم سيكونون من جملة الشهداء على الناس، ولذا لم نجد في

كتاب الله تعالى آية واحدة تقول للمؤمنين " لتكونوا على الناس شهداء .

أما قوله سبحانه "ويكون الرسول عليكم شهيداً" فمعناه أن شهادة النبي عليه وآله الصلاة والسلام، خاصة بكم أنتم، فلن تشهد عليكم الأمم كما شهدتم عليها، وأرجو أن تكون قد أدركت الفرق الدقيق في النظم الكريم، فكونهم شهداء على الناس مدح لهم، وكون الرسول شهيداً مدح لهم كذلك، لاختصاصهم بشهادته عليه وآله الصلاة والسلام، ولو قال لك "ويكون الرسول شهيداً عليكم" لكان مدحاً للرسول صلى الله عليه وسلم.

ويمكنك أن تصل الآن إلى ما نريد، عن سر اختلاف النظم في الآيات الكريمة، ففي الآيتين الأوليين كان المقصود الثناء على الأمة، ألا ترى إلى قوله تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" وكان هذا الثناء من جهتين اثنتين: - كونهم يشهدون على الناس من جهة، وكون الرسول عليهم شهيداً من جهة ثانية.

أما الآية الثالثة والآية الرابعة فكان السياق فيهما غير ما تقدم، فالآية الثالثة ثناء على الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، والآية الرابعة ثناء على المؤمنين وثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأرجو أن تتدبر الآيات مرة أخرى لترى سر ما قلته لك، والله أعلم بما أنزل.

وكذلك الآية الثانية، ويشهد لذلك ما جاء في الحديث وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من ابن مسعود - رضي الله عنه - أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن، فتلى عليه من سورة النساء، ولما وصل إلى هذه الآية بكى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال حسبك.



تحذير (8)

ما سر تأخير لفظ الجلالة في قوله: إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى

الصَّالِحِينَ

هذا
أنا وليي، ثم لا يظهر
ويعلم به وهو

4.1.4.2 الجن والانس

أخي الدارس، أختي الدارسة لمجد الآيات التي ذكر فيها الجن والانس يقدم فيها ما يستدعي السياق تقديمه فعند التحدي بالقرآن قدم الانس، لأنهم هم المقصودون بالتحدي، وحين كان التحدي بالنفوذ من أقطار السموات والأرض قدم الجن لأنهم أقدر على ذلك:

قُلْ لِّسِنِ أَجْتَمَعَتْ (الانس) وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا

هم لعمري به الانس على المشورة

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ [الإسراء: 88] يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ

أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ [الرحمن: 33].

وقد يكون التقدم تقدماً زمنياً؛ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الانبياء: 56]

لأن الجن خلقوا قبل الانس

وقد يكون التقدم دليلاً على الفضل والشرف خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ

وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ [الرحمن: 14-15].

لأن الإنسان أفضل من الجن

5.1.4.2 الصبر والتقوى

ومثل هذا ما جاء في سورة آل عمران خطاباً للمؤمنين لتعليمهم وارشادهم كيف يقفون

من أعدائهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ۗ

وَأَلْفٌ مِّنْ دُونِهِمْ لَا يَأْلُوا أَعْبَادِي إِذْ يَسْتَحْسِرُونَ ۗ وَإِنَّ لِكُلِّ أَصْحَابٍ لَّدُنَّا عَذَابًا ۗ [آل عمران: 118] وفي هذا السياق يقول الله تعالى: وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ

[آل عمران: 120] ، فيقدم الصبر هنا لأن له أكبر الأثر في تغلب المؤمنين على أعدائهم ، وإلى

جانِبِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَقَرَأُ قَوْلَ يَوْسُفَ لِأَخَوْتِهِ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا

يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [يوسف: 90] فسياق الآية هنا عام ، وهو بعيد عن الحرب وأوزارها

، لذلك كانت التقوى الأساس الذي ينبغي أن يبنى عليه كل شيء .

6.1.4.2 ونقرأ في آخر آية من سورة الفتح مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

الْكَافِرِينَ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: 29]. ولكننا نقرأ في سورة المائدة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى

سورة المومنين على

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفْرِينَ [المائدة: 54].

ولما كان سياق سورة الفتح، سياق الجهاد ومجادلة الأعداء ، ولما كان سياق آية المائدة : النهي عن موالاة اليهود والنصارى، قدم في كل آية ما يتفق مع سياقها، ويلائم موضوعها، ويتناسب مع المقام الذي جاءت فيه .

فقدمت الشدة على الكفار في سورة الفتح ، وقدمت الذلة على المؤمنين في سورة المائدة التي جاءت تنهى المؤمنين عن أن يوالوا أعداء الله ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ المائدة: 51 .

7.1.4.2 موسى وهارون

الآيات التي تحدثت عن السحرة حينما ألقوا وجوههم سجداً لله، وأعلنوا إيمانهم برب العالمين تحدثنا بعض هذه الآيات انهم قالوا: ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ الشعراء: 47، 48. وبعضها " قالوا: قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (طه: 170). وهي من أقوى ما يستشهد به القائلون على وجود السجع في كتاب الله تعالى ، وهذا ليس من غرضنا بالطبع . لكن ما أود تقريره من تقديم هارون في الآية الكريمة وتأخيره في جميع الآيات أقول : ما أود تقريره أن تقديم هارون على موسى كان في هذه السورة وحدها ، والسبب الذي اختاره في ذلك - والله أعلم بمراده وبأسرار كتابه - يتلخص فيما يلي :

سورة طه هي السورة الوحيدة التي تحدثنا عما حصل لموسى عليه السلام من خوف ، وكان حربياً به أن لا يكون منه لذلك، فهارون أولى به منه، لأنه لم يشاهد ما شاهد موسى، ولم يشرف بمناجاة الحق، قال تعالى: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (طه: 167) فما كان من شأنه أن

يخاف عليه الصلاة والسلام، فهو الذي ألقى العصا من قبل حين تجاه ربه قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ ، فمن شاهد هذا المشهد لا يخاف ، كما: حربياً به أن يكون رابط الجأش ، ثابت الختان .

من أجل ذلك بلوح لي أن هارون عليه السلام قدم في هذه السورة ، وهي قيمة قرآنية عظيمة ، حري بنا أن نقف عندها ونتدبرها ، وهي تقدير كل عامل بعمله .

8.1.4.2 السماوات والأرض

بعض الآيات الكريمة قدمت فيها السموات على الأرض ، وبعضها الآخر قدمت فيها

الأرض على السماء .

فمن الأول : قول الله تبارك وتعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ

قُلْ بَلَىٰ وَوَدَّيْ لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [س: 13] .

ومن الثاني: قوله سبحانه: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا

تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [نور: 161] . فهذه الآية الكريمة تتحدث عن أعمال أهل الأرض، وشهادة

الله عليهم وإحصائه لأعمالهم فكان اللائق بها أن تقدم فيها الأرض على السماء لأن أهلها هم المقصودون بالخطاب.

أما الآية السابقة فجاءت لإثبات البعث ، وبيان قدرة الله تبارك وتعالى فكان حرياً أن

تقدم السموات لأنها أعظم من الأرض وأدل في خلقها على القدرة .

وهكذا نجد الآيات التي قدمت فيها السموات أو الأرض لكل سياقها الذي يقتضي

التقديم والتأخير.

9.1.4.2 ومن روعة الإعجاز في كتاب الله تعالى في تقديم الكلمة أو تأخيرها ما تقرؤه

في هذه الآيات الكريمة: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ لَأَيَّتِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

ال عمران: 190 - 191.

وفي آية ثانية: فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَى

جُنُوبِكُمْ لسورة النساء: الآية: 103.

ففي هاتين الآيتين كان هذا الترتيب القيام أولاً ، والتعود بعد ذلك ، والحالة الثالثة "على جنوبهم". ولكننا نقرأ في آية أخرى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ

قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا (سورة يونس الآية: 12).

إنه والله الإعجاز الذي بأسر اللب ويرقص له القلب ، لقد قدم في الآية الأولى والثانية ما يقتضيه المقام ، ولا شك أن أفضل العبادة حينما يطيل الإنسان القيام ، أما الآية الثالثة : فانها تحدثت عن الإنسان في حالة الضر وهو الضعف والمرض ، ولذا بدئ بالحالة الأخيرة ، وهي كونه على جنبه لأن هذا هو الذي يتناسب مع الضر الذي هو فيه .

2.4.1.10 أسماء الله تعالى

كثير من الآيات الكريمة ختمت بذكر أسماء الله عز وجل وصفات من صفاته ، والتدبر لهذه الآيات الكريمة يلمس فيها أسرار الإعجاز ولطائف البيان ظاهرة مبينة . وكثير من هذه الآيات - بل أكثرها - لمجدها تجمع بين اسمين أو صفتين لله تبارك وتعالى ومجد أن بعض هذه الأسماء يطرد تقديم بعضها على بعض ، فكثير من الآيات ختمت بقوله سبحانه "عزيز حكيم" و "سميع بصير" و "قوي عزيز" و "عليم خبير" ولا لمجد آية خرجت عن هذا النظم البديع ، ليست هناك آية قدمت فيها الحكمة على العزة ، فلم نقرأ "إن الله حكيم عزيز" ، أو العزة على القوة "عزيز قوي" ، كما لم نجد أي آية قدم فيها البصر على السمع "بصير سميع" ، ولا لمجد آية كذلك قدم فيها خبير على عليم ؛ ذلك لأن الترتيب الطبيعي والمنطق البياني يستلزم ما جاء عليه النظم القرآني .

فإذا اجتمعت العزة والحكمة ، فحري أن تقدم العزة ؛ لأن الحكمة لن تؤتي ثمارها ، ولن تكون لها نتائجها إلا إذا سبقتها العزة ، ونقيض العزة الدلة ، وما أهد الدلة عن الحكمة.

لكننا نجد أن القوة قدمت على العزة في مثال قول الله سبحانه: إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

ذلك لأن العزة بدون قوة دعوى لا تثبت أمام الأحداث ، ولا تقوى على البقاء .

وكذلك السمع والبصر ، لنجد السمع يقدم على البصر في القرآن كله ، سواء كان ذلك من

أوصاف الناس التي أنعم الله بها عليهم ، مثل وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ . وكذلك

العلم والخبرة ، لأن الخبرة أخص من العلم ، لذا لم نجد آية جاء فيها "خبير عليم" .

لكننا ونحن نتدبر الآيات الكريمة ، حيث نجد أن بعض الأسماء الجليلة ، قدم بعضها

على بعض في بعض الآيات ، وأخر في بعضها الآخر ، ونتدبر نماذج من بعض الآيات الكريمة .

النموذج الأول: المغفرة والرحمة:

جميع الآيات في كتاب الله تبارك وتعالى ، قدمت فيها المغفرة على الرحمة ، لأن المغفرة

ستر الذنوب ، أما الرحمة فتفضل وإنعام زائد على مغفرة الذنوب ، لذا قدمت المغفرة على الرحمة ، والتخيلية مقدمة على التحلية .

لكننا نجد آية واحدة من كتاب الله تبارك وتعالى قدمت فيها الرحمة على المغفرة ، وهي

قوله سبحانه في أول سورة سبأ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا

يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ¹ (سبأ : 2) ، فلم كانت هذه الآية

بدعاً من أخواتها .

إن التدبر للسياق القرآني يمكن أن ينعم بالحكمة البيانية والموضوعية كذلك ، التي جاء

عليها نظم الآية القرآنية . إن السياق الذي جاءت فيه سياق القدرة والعلم ، سياق العناية بهذه

كلها ، ما في السموات والأرض ، وما يلج في الأرض وما يخرج منها ، ما ينزل من السماء

وما يعرج فيها ، ورحمة الله تبارك وتعالى تتجلى لهذه المخلوقات جميعاً ، الشمس والقمر ،

والليل والنهار ، والنجوم والجبال ، والماء والمرعى ، والنار والهواء ، كلها تظهر فيها الرحمة ،

لذا كانت الرحمة جديرة بالتقديم في هذه الآية وحدها من كتاب الله .

أما غيرها من الآيات والتي قدمت فيها المغفرة على الرحمة ، فقد ذكرت كلها في سياق

ذنوب العباد ، أو في سياق تقصيرهم فيما أمروا به . أما الآية التي قدمت فيها الرحمة على

المغفرة ، فليس فيها شيء من هذا كله ، لا من ذنوب العباد ، ولا من تقصيرهم فيما أمروا به .

أرأيتم إلى هذا البناء المحكم ، وهذا النظم البديع ؟

الأنموذج الثاني: العلم والحكمة:

أكثر الآيات الكريمة جاءت على هذا النظم " إن الله علِيمٌ حَكِيمٌ " أو " إن ربك علِيمٌ حَكِيمٌ " ، ولكننا نجد بعض الآيات قدمت فيها الحكمة على العلم ، قال تبارك وتعالى يحدثنا

عن أبي الأنبياء ، وشيخ الحنفاء ، أئبنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم فَأَقْبَلَتْ أُمَّرَأَتُهُ

فِي صَرَّةٍ فَصَبَّكَتُ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

[الآيات : 30]

والمأمل في السياق ، والمتدبر للآيات الكريمة ، يجد أن هذا التقديم أو التأخير كان أمراً يحتمه المعنى ويتطلبه الموضوع ، وتقتضيه الحكمة ، فأما تقديم العلم على الحكمة ، فأظنه ظاهراً لا يحتاج إلى بيان، إذ من مقتضيات الحكمة أن يسبقها العلم، واليك بعض هذه

الآيات. قال تعالى: وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

وَيُنمِّئُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [يسف: 6] وقال تعالى: وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ

لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنَهُ فِي

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ

فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحجرات: 7-18].

أما تقديم الحكمة على العلم فنجد أن الموضوعات التي جاء فيها هذا النظم. كانت

الحكمة فيها هي الأساس ، فبشارة إبراهيم وامرأته بالغلام، حيث يتعذر الحمل والإنجاب

يَلْوِيْلَتِي أَيْ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ أمر لله

فيه حكمة قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ.

ولا نود أن نسترسل هنا فنقف مع كل آية ، وما على القاريء إلا أن يتدبر الآيات ،
ليدرك بذوقه وإحساسه وفكره وعقله دقة النظم ، وسمو المعنى .



تدوين (9)

الأصل أن تتقدم المغفرة على الرحمة ، ولكن قد تتقدم الرحمة على المغفرة بين سر
ذلك.



نشاط (7)

ارجع إلى كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، استخرج الآيات التي تقدم فيها الحكمة
على العلم، وفكر في سر تقدم الحكمة على العلم فيها. ناقش ذلك مع زملائك ومشرفك
الاكاديمي.

11.1.4.2 ومن ذلك تقديم السارق في قوله تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا

أَيْدِيَهُمَا (النساء: 38) فقد قدم السارق على السارقة، لان السرقة في الذكور

أكثر، وقدم الزانية على الزاني في قوله: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا

كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ (النور: 2) لان الزنا يؤثر على المرأة أكثر مما يؤثر

على الرجل، وذلك من جهات كثيرة منها الحمل، ومنها الزواج، ومنها النواحي

الإجتماعية، قال ابن المنير في حاشية علي الكشاف «وقدم الزانية على الزاني

والسبب فيه ان الكلام الاول في حكم الزنى والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من

الايماض والاطماع والكلام» (حاشية ابن المنير على الكشاف . (3/ وانظر «السامرائي،

التعبير القرآني، ص 157).

12.1.4.2 وهاتان آيتان من كتاب الله تعالى، تجد فيهما شاهد صدق على الإعجاز ،

وهما قوله سبحانه: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ

يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن

يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿18-17﴾ .

تأمل هاتين الآيتين المتجاورتين ، وستجد أن الآية الأولى كانت رداً على النصارى ، الذين قالوا بالوهمية عيسى عليه السلام ، ولا شيء إلا لأنه خلقه كان على غير السنن المعروف المألوف من خلق البشر من أب وأم ، أما الآية الثانية فكانت رداً على اليهود والنصارى حيث زعم الفريقان أن لهم صلة خاصة بالله تعالى ، جاء في الآية الأولى قوله سبحانه " يخلق ما يشاء " ولكن هذه الجملة لم تحجج في الثانية ، ولعلك تدرك الآن سبب ذلك ؛ ذلك أن الآية الأولى تقول لأولئك الذين ادعوا الوهمية عيسى لأنه خلق من غير أب ، أن لله ملك السموات والأرض وما بينهما ، فهو يخلق ما يشاء ، فلقد خلق آدم من غير أب وأم ، وخلق زوجه كذلك ، فإذا خلق عيسى من غير أب ، فإن له السلطان ، فإذن لا ينبغي أن يكون ذلك الخلق حاملاً لكم على القول بالوهميته ، إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ

ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

أما الآية الثانية ، فليس فيها ما يستدعي ، وما يتطلب ، وما يوجب وجود هذه الجملة الكريمة ، ولهذا ختمت الآية الأولى بقوله "والله على كل شيء قدير" ؛ ليبين لهم عظيم قدرته ، وبأن له الخلق والأمر ، وختمت الثانية بقوله "إليه المصير" وهو تهديد ووعيد ، ليجازيهم على أعمالهم ، فيبطل دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه .

إن هذا الإبداع المحكم ، وهذه الدقة والموضوعية ، سواء من حيث اختيار الجملة في موضع دون موضع ، أم من حيث ختم الآية بما يناسب المقام ، لن تجدها في غير هذا الكتاب المعجز .

1.2.4.2 ولنتدبر هاتين الآيتين، قال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ

الْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ

جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ^{الحجر: 87 - 88} وقال تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (الشعراء: 214).

^{أعجم} النظر محمد أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بخفض الجناح للمؤمنين في هاتين الآيتين، ولكن إحدى هاتين الآيتين ذكر فيها قوله تعالى " لمن اتبعك " ولا أقول زيد فيها - معاذ الله - ، لأن القرآن محكم من الزيادة والنقص ، وإذا تأملت أدركت سر الإيجاز في الجملة الأولى ، وروعة الإعجاز في الآية الثانية؛ ذلك أن السياق لكل من الآيتين اقتضى نظماً خاصاً ، فالسياق الأول كان سياق امتنان وتفضل وإكرام ، " آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم " فلا يغرنك ما أعطيه هؤلاء من متاع ، ولا تحزن عليهم ، أما السياق الثاني، فقد جاء في سياق التحذير ، فلا تدع مع الله ألهاً آخر فتكون من المعديين ، " وانذر عشيرتك الأقربين " ولما ذكرت العشيرة ، وأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن ينذر هؤلاء الأقربين ، فرمى يظن بأن لهؤلاء الأقربين شأناً خاصاً، آمنوا أم لم يؤمنوا ، فكان السياق يتطلب هذه الجملة وهي قوله " لمن اتبعك " ، يقول له : لا تبال بأحدٍ وإنما ينبغي أن تخفض جناحك لمن اتبعك ، وأن لم يكن بينك وبينهم وشيجة قريى وصلة دم ، ورابطة نسب " اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " .

والخلاصة أنه لما ذكرت العشيرة في الآية ، والادنون من الأقارب ، كان لا بد من ذكر هذه الجملة " لمن اتبعك " أياً كان أولئك المتبعون ، عرباً أم غير عرب ، من ذوي النسب أم من غيرهم ، ذلكم هو القرآن .



نشاط (8)

إرجع إلى تفسير روح المعاني للأفوسى ، والكشاف للزمخشري ، واستخرج تفسير الآيات السابقة من سورة الحجر ^[87 - 88] .

2.2.4.2 قال تعالى حديثاً عن الزوجين اللذان لا يستطيعان مواصلة الحياة الزوجية وَأِنْ

يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (النساء: 130) وقال تعالى

تردد الزمير
على التعبير
المتكرر

يخاطب المؤمنين ليحافظوا على شخصيتهم وعقائدهم يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ

المتكرر

نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ

المتكرر

مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (النساء: 128).

وأنتك تتسامل كما تساملت أنا من قبلك ، لماذا ذكرني هذه الآية قوله " ان شاء " ولم يذكر في الآية السابقة؟ مع أن كل شيء بمشيئته سبحانه ؟ والذي يلوح لي - والله أعلم بما ينزل- أن الآية الأولى جاءت خطاباً لبعض الأفراد الذين تعسر عليهم مواصلة المسيرة مع أزواجهم ، رجالاً كانوا أم نساء ، فأراد الله تبارك وتعالى أن يبين لهم سعة فضله وواسع رزقه، وعظيم تيسيره ، أما الآية الثانية فجاءت خطاباً للأمة ، والأمة لا بد أن تتعود التضحية ، للمحافظة على عقائدها ومقدساتها مهما كلفها ذلك من ثمن ، وقد يؤدي بها ذلك إلى أن تحرم بعض المكاسب ، وتتحمل كثيراً من الأعباء ، ولذا ذكر فعل المشيئة في هذه الآية التي تتحدث عن الأمة بينما لم يذكر في الآية الأولى مع أن كل شيء بمشيئة الله لتكون أبواب الأمل مفتحة أمام أولئك الذين لم يستطيعوا التعايش معاً ، فانظر إلى الروعة العظيمة في كتاب الله ، ولقد قلت لك ان الإعجاز البياني ليس حديثاً عن جمال الصورة وروعة التعبير فحسب ، بل هو مع ذلك يشتمل على سمو التوجيه ، فهو ينظم شؤون الحياة كلها .

وهذه آية أخرى نستأنس بها لهذا الاستنتاج ، ونستعين بها على ما ذهبنا إليه وهي

قوله سبحانه: وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ

يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (النور: 32). فهذه الآية كما

ترى لم تقيد بالمشيئة ، لأنها حديث عن شؤون بعض الأفراد والأسر ، فهي شبيهة بالآية الأولى " وان يتفرقا يغن الله كلاً من سعته " لكن تلك الآية في شأن انفصال كل من الزوجين عن

الآخر، وهذه تأمر بتزويج الأيامي ، والأيام من لا زوج له ذكر أو أنثى .

3.2.4.2 في سورة النساء، نقرأ قول الله عز وجل، فَإِنْ طِبَّنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا

فَكُلُّوهُ هَنِئًا مَرِيئًا النساء: 4. والهنئي: ما يستطاب ويستلذ، والمريء: ما حسنت

عاقبته، وجمع بينهما! لأن الواقع والمشاهد يقضيان بأن شيئاً ما ربما يستطاب ولكن لا تكون عاقبته حسنة.

والى جانب هذه الآية الكريمة، نجد ربنا يخاطب في أكثر من آية أهل الجنة

كُلُّوْا وَأَشْرَبُوْا هَنِئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ (الرسلات: 43). كَلُّوْا وَأَشْرَبُوْا هَنِئًا

بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (المائدة: 24)، وأهل الجنة- كما نعلم- كل ما يستلذ عندهم ليست له عاقبة وخيمة، لذا لم تذكر هنا كلمة (مرئياً) إذ لا داعي للذكرها. وهكذا يقتصر القرآن العظيم في استعمال الكلمات، فلا يذكر إلا ما تدعو إليه الحاجة ويقتضيه المقام.

4.2.4.2 يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِلْ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ^ط (النساء: 19)

مع أن أكثر المنهيات كانت تلى حرف النهي مباشرة وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ (الإسراء: 31)

وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ (الإسراء: 32) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ (الإسراء: 34)

لَا يَسْخَرِ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ (المجادات: 11) وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا (المجادات: 12).

ولكن آية النساء جاء نسقتها غير هذا كله، فلم يقل فيها " لا تروا النساء كرهاً " .

ولقد رقت منذ هذا النص الكريم أبحاث عن سر التغيرات، ويضم الآيات التي تشبه هذه

الآية - ما إلى بعض مثل قوله تعالى: وَلَا يَجِلْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَانَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا (البقرة: 229)،

ظهري - والله أعلم. ولله الحمد والمنة- أن هذه الكلمة إنما تحيي- بجانب الأمور، أو بجانب

القضايا التي كان الناس يزاولونها دون أن يروا بها بأساً أو حرجاً، أما غيرها من المنهيات فهي

أمور تنفر منها الطباع أو ينكرها العرف، فالقتل والزنا، وأكل مال اليتيم، وأكل أموال الناس

بالباطل لا يقرها عقل ولا يحلها عرس ولا عرف. أما التحكم في النساء ووراثتهن كرهاً فإنها

تختلف عن الأمور السابقة حيث رأينا أن بعض التصريحات والقوانين عند الأمم المتقدمة

المتحضرة، كانت تجيز هذه إلى عهد قريب والأمر كذلك عند العرب في الجاهلية. وهنا تبرز دقة

التعبير في كتاب الله في مخاطبة النفس الإنسانية فالأمور المتفق على تحريمها تلي حرف النهي " لا تقربوا " ، " لا تأكلوا " ، " ولا تقتلوا النفس " أما ما يظنه بعض الناس حقاً لا مرية فيه ولا غبار عليه، فإننا نجد القرآن يعبر عنه بأسلوب آخر حيث يلي حرف النهي هذه الجملة " يحل " .

قولوا لي بربكم أتكون هذه الدقة والموضوعية ، وهذه الفروق في التعبير في كلام الناس ؟ لا ، لا وألف لا إن الله الذي خلق كل شيء ، فقدره تقديراً هو الذي أنزل هذا الكتاب محكماً فقدر ألفاظه كذلك تقديراً يتلام مع موضوعاته من جهة ، ومع نفوس المخاطبين وعقولهم من جهة أخرى كِتَابٌ أَحْكَمُ ، آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ امره : [1] .

5.2.4.2 وهاتان آيتان من كتاب الله تعالى نرجو أن نتدبرهما لنرى سمو التعبير ودقة

عمل مكة
ولمحمد
الأنفال: 13
لنضير
بني نصر

التقدير: الأولى قوله: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

والثانية وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (النصر: 4) .

فإحدى الآيتين اقتصر على لفظ الجلالة ، وهي آية الحشر، التي تتحدث عن اليهود

وعن بني النضير خاصة هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ

أما الآية الثانية التي ذكر فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها تتحدث عن العرب وعن أهل مكة بخاصة، فما هو السر البياني وما هي الحكمة البلاغية؟ حيث ذكر لفظ الجلالة وحده في آية الحشر، وذكر معه الرسول عليه الصلاة والسلام في آية الأنفال؟ إن عداوة أهل مكة كانت عداوة مزدوجة ، فهي عداوة للإسلام من حيث هو دين، لأنه جاء يبطل عقائدهم وكثيراً من أعرافهم، ثم هي بعد ذلك عداوة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، المرازات والنمرات والعصبية القبلية، فهم ينكرون أن يخص الله من بينهم محمداً، ولم يكن ذا مال، وكان غيره أولى منه في ظنهم ولهم زعماء ووجهاء ، أفليسوا أولى -بزعمهم- بالنبوة من محمد عليه الصلاة والسلام؟ ولقد حدثنا القرآن عن هذا الذي يجول في أنفسهم

فقال سبحانه: وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمِ (الزخرف: 31) وينكر

عليهم هذا القول بقوله " أهم يتسمون رحمة ربك " وليست عداوة اليهود كذلك ، إن عداوة اليهود للدين أياً كان نبيه، هاشمياً أم غير هاشمي، قرشياً أم غير قرشي، أظنكم بدأتكم تدركون دقة التعبير، فالقرآن الكريم كما نعلم قدزت ألفاظه تقديراً محكماً يقتضيه المعنى

والسياق، والموقف المتحدث عنه؛ لذا ذكرت كلمة الرسول عليه وآله الصلاة والسلام في سورة الأنفال، حيث كان هناك داع وسبب لذكرها، لكنها حذفت من سورة الحشر، وهكذا ندرك أن لكل من الحذف والذكر في القرآن الكريم دواعيه ومقتضياته.

6.2.4.2 ذكر الجهاد كثيراً في كتاب الله تبارك وتعالى أمراً للمؤمنين به تارة وثناءً على المجاهدين تارة أخرى.

فمن الضرب الأول قوله تعالى: أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ¹ الآية: 41.

ومن الضرب الثاني قوله سبحانه: الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُنَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ¹ الآية: 20-22.

وهكذا نجد الآيات الكريمة في كتاب ربنا وهي تذكر الجهاد ، تذكر له متعلقين اثنين :

- فهو بالأموال والأنفس من جهة .

- وهو في سبيل الله من جهة أخرى .

كل ما في الأمر قد يتقدم المتعلق الأول كما جاء في الآية الأولى ، وقد يتقدم

المتعلق الثاني كما جاء في الآية الثانية .

والذي يعيننا الآن هذه الآية الكريمة: لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ

اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ¹ الآية: 88-89 .

فعبارة (في سبيل الله) لم تذكر في هذه الآية الكريمة . وما أظن البحث عن السبب يكلفنا كثيراً ، وكبير عناء ، فالآية جاءت تتحدث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه البررة الذين شرفوا بجميعة ، وهؤلاء لا يكون جهادهم -بالطبع- إلا في سبيل الله وابتغاء مرضاته، من أجل هذا لم تذكر عبارة " في سبيل الله " .
 أما غيرها من الآيات الكريمة ، فكانت إرشاداً للمؤمنين أن يخلصوا العمل فلا تشوبه شائبة رياء ليكون مقبولاً عندالله - تبارك وتعالى - ؛ ولن يكون كذلك إلا إذا كان في سبيل الله .

7.2.4.2 تقرأ في كتاب الله - تبارك وتعالى هذه الآيات :

قال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ؕ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَأِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ الآيات : 15-19 .

وقال تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا

إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ المعارج: 19-25 .

فكلمة (معلوم) ذكرت في آيات سورة المعارج ، ولم تذكر في آيات سورة الذاريات ، وسبب ذلك فيما يبدو لي - والله أعلم بمراده - أن الصفات التي ذكرت في سورة الذاريات ، لا يبالي أصحابها بالمال الذي ينفقونه ، فهم لا يخشون من ذي العرش إقللاً ، وكلما زكت نفس الإنسان تغلب على شغفه ، ورضي الله عن سيدنا أبي بكر، وقد قال كلمته الشهيرة الماثورة التي ستظل نبراساً هادياً ، وقد سأله الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فيقول : أبقيت لهم الله ورسوله .

أما آية المعارج ، فكل ما ذكر فيها المصلون ، ولسنا مع بعض المفسرين الذين يرون أن آية المعارج قد قصد بها الزكاة ، لأن كلتا السورتين مكية - كما نعلم - والزكاة إنما فرضت في

المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ولكنها كلمات القرآن تذكر - إن ذكرت -
 لهدف وغاية ، وتحذف كذلك لهدف وغاية
 والآن أخي الدارس، أختي الدارسة أجب عما يلي :



اسئلة التقويم الذاتي (2) لذهابكم من هزرع ليجل

س1- للحرف رسالته في كتاب الله تعالى، يظهر هذا في عدم تناوب حرف مكان حرف، أو حذف ذلك الحرف في آية وذكره في آية، أو ذكر احرف مختلفة في مواضع متشابهة. هات مثلاً توضح فيه كل قضية من تلك القضايا .

س2- بين الإعجاز واختلاف النظم في الآيات التالية .

1- قال تعالى: قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وقال: ^{ضم هاء}

إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ^{ضم هاء}

2- قال تعالى حديثاً عن الزرع: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلًا وقال حديثاً عن الماء: لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ^{هنا}

3- قد يتقدم (الجن) في آيات ، وقد يتقدم (الإنس) في آيات .

4- قال تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

وقال: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

5- وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وقال وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ
لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ

5.2 الفاصلة القرآنية

1.5.2 المقصود بالفاصلة

يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية ، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية ؛ أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة، ولعل سبب ذلك قوله

سبحانه: **كَتَبَ فَصَّلْتُ آيَاتِهِ**

وقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين: حدثوا أن رجلاً في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قرأ (فإن زلتم من بعد ما جاء تكم البيئات فاعلموا أن الله غفور رحيم) فقال أعرابي لا يكون ، وفي رواية أخرى انه قال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم ، لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه إغراء عليه (الجاحظ / البيان والتبيين / 269/2) .
وروي أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ (وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجري بأعيننا جزء لمن كان كفراً) بفتح الكاف ، فقال الأعرابي لا يكون ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي يكون (الجاحظ / البيان / 174/2) .

قال الزمخشري : (كُفِّر) هو نوح عليه السلام ، وجعله مكفوراً ؛ لأن النبي نعمة مكفورة ، قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فنوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى يحكى أن رجلاً قال للرشيد : الحمد لله عليك ، فقال : ما معنى هذا الكلام ؟ قال : أنت نعمة حمدتُ الله عليها (الزمخشري ، الكشاف / 435/4) .



تدويب (10)

ما المقصود بالفاصلة القرآنية. هات مثلاً تبين فيه إدراك الأعراب للفاصلة القرآنية وإعجازها.

2.5.2 إدعاء الموسوعة البريطانية

هذا ما ذكره الأعرابي بطبعه وسليقته وسجيته ، ولكننا وجدنا أناساً في القرن العشرين ، وقفوا غير هذا الموقف، نحن لا ننكر على الناس أن لا يعلموا كل شيء ، ولكننا ننكر أن يدعوا علم كل شيء ، نحن لا نعجب ولا نستهجن أن يرد الحق خصوم الأداء ، عرفوا بتعصبهم وتحيزهم، نحن لن نفاجأ إن سمعنا من مبشر حاقد، أو مستشرق جاحد ، إن سمعنا من هذا أو ذاك طعناً في كتاب الله، ودين الله . لكن الذي كنت لا أوده

أنا وأنت أيها القارئ معاً ، أن نجد مصدراً من مصادر المعرفة ، طالما رَوَّج له أصحابه ، وأحاطوه بهالات فخمة من الإجلال والتبجيل، وسوَّروه بأسوار البحث العلمي، والنزاهة وألبسوه لباس الحقيقة، بل عدوه حصناً من حصون المعرفة، أن نجد من وصفوه بهذه الصفات ، بعيداً عن ذلك كله ، بل هو فوق ذلك بمن في الافتراء، بعيد عن النزاهة في البحث، منافٍ لقواعد العدل، وأسس المنطق تلك هي دائرة المعاوف البريطانية ، التي زعمت ان القرآن مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية.

واستدلَّت على هذه الدعوى بالفواصل القرآنية حيث جاء فيها : (وكان القرآن يعطي للقارئ انطباعاً بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية ، ويؤكد صحة ذلك طريقة ختم الآيات بآيات مثل { إن الله عليم } ، { إن الله حكيم } و { إن الله يعلم ما لا تعلمون } وإن هذه الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها ، وإنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية) . ما أشبه هذا القول بمن يدعي أن النظام في هذا العالم ، كان على غير حكمة وتقدير ، فوجود الشمس أبعد من القمر، ونسبة اليابسة أقل من نسبة الماء في هذه الأرض، وقصر النهار وطول الليل في فصل الشتاء، وعكس ذلك في الصيف، ووجود العينين في الوجه - ووضعه اليدين في المكان الذي وضعتا فيه ، ووجود بعض الأعصاب والأجهزة في الإنسان، واختلاف الأكسجين في أعلى طبقات الجو عند على ظاهر الأرض ، كل ذلك أمور لا حكمة فيها ولا ضرورة لها ، إنما هي أمور جاءت هكذا ، فهي ألصق بالفوضى ، وأبعد ما تكون عن الدقة . أي والله إن ذاك القول وهذا سواء؛ ذلك أن الدقة في الفاصلة القرآنية والترتيب المحكم ، والنظام البديع ، لا يقل عما في هذا الكون ، فخالق الكون ومنزل القرآن هو الله ، الذي أتقن كل شيء . وكان حرياً بأولئك أن لا يصدروا أحكاماً على ما لا يعلمون ، وهذا ما تقتضيه بديهيات البحث العلمي .

3.5.2 مناقشة الموسوعة فيما ذهب إليه

ونقول لأولئك أولاً، إن إنكار ضوء الشمس وسطوعها ، لا يضيرها، ولو أن الأمر كما قالوا، لما وجدت فاصلتان متحدثتان ومتجاورتان في كتاب الله، فإذا كانت القضية قضية سجع، وختم للكلام ، بطريقة عشوائية -وجل القرآن عن ذلك- كان من السهل أن تختم كل آية بما لا يشبه ما ختمت به صاحبها التي ذكرت معها، ولكننا نجد كثيراً من الآيات المتجاورات، ختمت كل منهما بما ختمت به الأخرى، وعلى سبيل المثال- لا الحصر .

1- هاتان الايتان من سورة البقرة آية الدين ختمت بقوله سبحانه: **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**

والآية التي تليها ختمت بقوله سبحانه: **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** آية: 283 .

2- وآيتان في سورة النحل ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى

وهو مؤمن فلنحسبه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون آية: 96-97 .

3- آيتا النور: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَشْذِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ختمت بقوله

سبحانه: **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** آية: 58 والتي تليها

ختمت بقوله تعالى: **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** آية: 59 .

4- آيتا النساء **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ** والتي بعدها ختمت بقوله تعالى: **{ عَلِيمًا }**

الآيتان: 147-148

5- آيتا الحديد ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم والتي تليها ختمت كل منهما بقوله

سبحانه: **{ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }** الآيتان: 26-27 .

كان من الممكن أن تختم كل واحدة من هذه الآيات ، بغير ما ختمت به الأخرى ، ففي آية البقرة يمكن أن يقال بدل " عليم " " خبير " وفي آية النساء يمكن أن يقال بدل " عليما " " بصيرا " ، وفي آية النور يمكن أن يقال " عزيز حكيم " وفي آية الحديد يمكن أن يقال كافر، لكن الأمر ليس كذلك ، وإنما هو خاضع لنظام دقيق ، للحرف فيه رسالته وغرضه ، فما بالك بالكلمة والجملته .

4.5.2 أمثلة تبين إعجاز الفاصلة

إن الفاصلة القرآنية جاءت متسقة ، متناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها ، وسياقها الذي تتحدث فيه ، وغرضها الذي جاءت من أجله . وإليك البيان .

1.4.5.2 فواصل أمرها ظاهر لا تحتاج إلى بيان

بعض الفواصل القرآنية ، لا يحتاج الأمر فيها إلى بيان ، وكثير فكر ، وكبير عناء ،

بل يمكن للقارئ أن يدرك هذه الفاصلة من السياق نفسه ، فمثلاً إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ

اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ [التصم : 76] ، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

[التصم : 77] ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنن : 14]

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ [البقرة : 18] ومن هذا

القبيل الفاصلة التي مثلوا بها وقالوا إنها منقطعة عما قبلها يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

1- فقد جاءت هذه الآية مثلاً في سورة البقرة ، في قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ

وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [البقرة: 1216] أي منصف، بل أي عاقل يدعي أن هذه

الفاصلة ، غير متصلة بما قبلها ، بل أي فاصلة يمكن أن تصلح بدل هذه الفاصلة ؟

يخاطب الله المؤمنين وقد كتب عليهم القتال والجهاد ، وبين أن أمر المستقبل لا

يدركونه هم ، فربما يكرهون شيئاً يكون فيه خيرهم ، وربما يحبون شيئاً تكون فيه نهايته

شراً لهم ، ووبالاً عليهم إن الله وحده هو الذي يعلم ذلك ، أي فاصلة تصلح لهذه الآية

غير التي ختمت بها وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

2- وفي السورة نفسها تذكر الآيات بعض أحكام الطلاق ، وتنتهي أولياء النساء أن يمنعهن

من الرجوع إلى أزواجهن ، إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، فيبين لهم أن ذلك يوعظ به

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وأن ذلكم هو أزكى وأطهر ، وتختم الآية
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [آية ، 233] قل لي برك أي فاصلة يمكن أن تصلح
 لهذه الآية الكريمة ؟ وهؤلاء الإخوة والآباء يريدون أن يمنعوا أخواتهم أو بناتهم من
 الرجوع إلى أزواجهن ، وإنما يريدون ذلك أنفةً واستجابة لدواعي الحمية ، أو انتقاماً من
 أولئك الأزواج من غير تفكير في النتائج والعواقب التي يمكن أن تنتج عن مثل هذا
 التصرف الخاطيء، ما نظن أن هناك فاصلة ترجع اولئك الأولياء الى رشدهم ، وتخوفهم
 من عواقب تصرفاتهم - أجدى وأولى مما ختمت به الآية الكريمة .

3- وفي سورة آل عمران ينعى القرآن على أهل الكتاب ، الذين يحاجون في إبراهيم عليه
 السلام وَمَا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [آية ، 65] ،
 فما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، فكيف يكون كذلك واليهودية والنصرانية
 متأخرتان في الوجود .

وإذا كانوا يحاجون في بعض القضايا التي يعلمونها فلم يحاجون فيما ليس لهم
 به علم هَلْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ
 بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [آية عمران ، 66] بماذا يمكن أن تختتم هذه الآية يا
 ترى ، إن لم تختتم بهذه الفاصلة ؟ وأي تحذير هو أعظم من هذا التحذير ؟ بل وأي
 إقناع هو أقوى وأصح من هذا الإقناع ؟

4- وفي سورة النحل جاء قوله سبحانه: فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [آية ، 74] وأظن أن أمر هذه الآية ظاهر لا يحتاج إلى أي
 تعليق ما .

5- في سورة النور إن الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [آية ، 19] ، اليس في هذه
 الآية تطمين للمؤمنين الذين أشيعت الفاحشة فيهم ؟

وأراد بعضهم أن ينال منهم ، أليس في ذلك تظمين لهم بأن ذلك خير ؟ كما جاء في آية سابقة لهذه الآية لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿١١﴾ ثم أليس فيه تهديد لأولئك ، الذين يشيعون الفواحش ، بما هبأ الله لهم من خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة .



تحذيب (11)

تدعي الموسوعة البريطانية أن الآيات التي تختم بقوله " وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " تأتي بطريقة عشوائية . هات آية تناقش فيها هذا القول .

2.4.5.2 فواصل تحتاج إلى تأمل ونظر

هذه الآيات التي ختمت بها الفاصلة ، قل لي بريك بعد هذا ، أي فاصلة تلك التي أقحمت إقحاماً ولا نجد فيها إحكاماً في هذه الآيات الخمس ؟ ولكنه الهوى ، والحقد ، وعن ؟ ممن يدعون المعرفة مع كل أسف . هذا النوع من الفواصل القرآنية، الأمر فيه ظاهر - كما قلت- وهناك نوع آخر بحاجة إلى نوع من الفكر، وكلا النوعين من مظاهر الإعجاز، وآيات البيان ولنمثل لك من النوع الثاني بما يسمح به المقام، ولا نود أن نطبل عليك.

1- اقرأ هاتين الآيتين من سورة السجدة أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ

يَمْشُونَ فِي مَسَلِكِهِمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَأَيُّتٌ أَفَلَا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ

إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ

آية 26 ، تدبر هاتين الآيتين ! تحدثت الآية الأولى عن القرون المهلكة من قبل هؤلاء ، هو حديث عن التاريخ - إذن - وتحدثت الآية الثانية عما يشاهدونه على هذه الأرض ، كيف ينزل عليها الماء فتنبث الزرع ، متاعاً لهم ولأنعامهم ، وأمر التاريخ -لاربي- بسمع سماعاً، ولكن ما يشاهدونه ببصرونه إبصاراً ، قل لي بريك أي دقة تلك التي في

الآيتين الكريميتين ؟ { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

2- في سورة العنكبوت نقرأ هذه الآيات: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ

كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

[آية : 41] وبعد هذه الآية نقرأ قول الله وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ وفكر فيما عرفه الناس من أمر العنكبوت اليوم ، من حيث

قوة خيوطه ، ومن حيث الفوضى الأسرية - إن صح التعبير - والتمزق العائلي ، وعدم

النظام فلقد قالوا: إن خيوط العنكبوت أقوى من خيوط الحرير، ولكن الفوضى تدب

في بيته ، فرما أكلت الأنثى زوجها ، وبالتالي فالفوضى التي تدب في بيت العنكبوت

لا مثيل لها ألبتة في بيت آخر ، إلا أن تكون في أمتنا العنكبوتية ، في عصرها

الحاضر، لا في العصور الماضية، أليس امر العنكبوت يحتاج إلى علم (لو كانوا

يعلمون) ، (وما يعقلها إلا العالمون) . فانظر كيف ختمت الفاصلة بذكر العالمين ،

لأن قضية العنكبوت لا يدركها إلا أولئك .

3- وقرأ هاتين الآيتين في سورة المائدة وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ

بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ الَّذِينَ آمَنُوا

كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المائدة: 7-8] .

تحدثت الآية الأولى عن الميثاق الذي أخذه الله عليهم، وهو أن يتقوه ويعبدوه،

وتلك قضية خاصة بكل فرد، ترجع إلى ما في قلبه وإلى باطنه ، ولذا ختمت

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أما الثانية فقد أمر فيها المؤمنين بالعدل مع

أعدائهم، وتلك قضية ظاهرة يطلع عليها الناس ، ولذا ختمت بقوله: إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا تَعْمَلُونَ .

ولقد نبه الزمخشري وغيره من الأئمة ، إلى ما في قوله سبحانه: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن

لَا يَشْعُرُونَ ﴿البقرة: 11-12﴾ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ

قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ فلما

كانت الآية الأولى تتحدث عن الفساد في الأرض، وتلك قضية تتعلق بالحواس الظاهرة ، ختمت بقوله { ولكن لا يشعرون } لأن المشاعر هي الحواس ، ولما كانت القضية الثانية تتعلق بالسفه ، وهو الجهل ، ناسب أن تختم بالعلم .

قال الزمخشري - رحمه الله - (فإن قلت فلم فصلت هذه الآية بـ { لا يعلمون } والتي قبلها بـ { لا يشعرون } ؟ قلت لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق ، وهم على الباطل ، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض ، فأمر دينوي مبني على العادات ، معلوم عند الناس، خصوصاً عند العرب في جاهليتهم، وما كان قائماً بينهم من التغاير والتناحر والتحارب والتحازب ، فهو كالمحس المشاهد ؛ ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل ، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له .

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ

وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا

مُتَرَكَبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا

وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآياتٍ لقوم يؤمنون

وختمت الآية بقوله {إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فلما كانت قضية النجوم مما

مخفية يعلمه العرب ويمكن أن تعرفه الأمم الساذجة كذلك ختمت بقوله {يعلمون} ، ولما كانت قضية النفوس دقيقة ، لا يطلع عليها إلا الخاصة ، ختمت بقوله تعالى {يفقهون} لأن الفقه أخص من العلم.

فهو يعلم بدقائق الأمور ولما كانت الآية الثالثة تظهر فيه دلالات القدرة الإلهية ، ختمت بقوله سبحانه {يؤمنون} .

6- وهذه آية النور أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

وقصود الآية: [41] والفعل يختلف عن العمل ؛ فالعمل يكون مقصوداً لصاحبه ، ولكن الفعل قد يكون مقصوداً لصاحبه ويمكن أن لا يكون كذلك ، فختمت الآية الكريمة ، التي تتحدث عن الطير وغيره ، بقوله {يفعلون} لأن هذا التسبيح أمر جبلي فيهم .

7- وهاتان آيتان في سورة القصص قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ

عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ

أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

الآيتان : 71-72 . حيث ختمت آية النهار بالبصر ؛ وذلك لأن النهار

هو ظرف لأعمال الناس وتصرفاتهم ، وختمت آية الليل بالسمع ؛ لأن المراد به سمع تدبر ، ولأن دوام الليل فيه أعمال حاسة السمع أكثر من أعمال حاسة البصر ، إذ الليل غالباً هو محل السمر والسهر ، وتلكم قضية سمع أكثر منها قضية بصر .

8- وفي سورة المجادلة جاء قول الله تعالى: **فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ** (المجادلة: 15-4).

فلاية الأولى جاءت للبحث على تنفيذ حدود الله تبارك وتعالى وإخراج الكفار ، أما الآية الثانية فقد ذكرت في سياق أولئك الذين لا يقومون بتعطيل الحدود فقط ، بل يستبدلون بها غيرها مستهينين بها ، ساخرين منها ، وشتان بين الفريقين ، لذا ختمت كل آية بما يستحقه كل منهما ؛ فالذي يترك الحدود لشهوة في نفسه يستحق العذاب الموجه الأليم ، أما الذي يتركها استهانة بها ، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، كما لمجد اليوم في مجتمعاتنا ، فأولئك يستحقون مع الألم الاهانة ، لأن الجزء من جنس العمل ، ومثل هذا ما جاء في جزاء الذين يؤذون الله ورسوله ، قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي**

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (الأحزاب: 57) .

ومما يدل على إحكام الفاصلة في كتاب الله تعالى إحكاماً فيه دقة الصنعة ، وإحكام الروعة اننا لمجد هذا في القرآن على طوله وكثرة آياته ، فهي سنة آلاف آية ، تذكر فيها الفاصلة مرة واحدة أو مرتين ، ولو كانت القضية كما جاء في دائرة المعارف قضية ختم عشوائي ، هدفه الكلام دون أن يكون له غاية ؛ لوجدنا أن هذه الفاصلة لم يكن حرباً بها أن تذكر في القرآن كله مرة واحدة أو مرتين ، بل وضعت مرة في كل مائتي آية ، أو ثلاثمائة آية على الأقل . أما مجيئها كذلك فأمر يدعو إلى الدهشة ويبعث على التفكير .

6.2 قضية التكرار

أخي الدارس، أختي الدارسة إن قضية التكرار ذات صلة وثيقة بموضوعنا الذي نتحدث عنه ، وتلك بديهية ، ذلك أننا نجد في النظم مواضع متشابهة ، سماها بعض الباحثين تكراراً ، والحق أن هذه الموضوعات ذات صلة وثيقة بالإعجاز ، فالناظرون في كتاب الله تعالى من أجل تلاوته وتدبره ، أو بهدف التشكيك والظعن ، يجدون لأول وهلة أن هناك قضايا قد ذكرت أكثر من مرة ، وفي أكثر من موضع كالتقصص ، وموضوعات العقيدة ، وبعض الجمل والآيات، وسَمَوْا ذلك التكرار.

ومع إجماعهم على هذه التسمية إلا أنهم اختلفت فيه مذاهبهم وتعددت مشاربهم، وتلك طبيعة في أحوال الناس ، بل هي سنة من سنن الله في هذا المجتمع البشري، فالكثرة الكثيرة من هؤلاء مسلمين كانوا أم غير مسلمين، رأوا أن في هذا التكرار سحر بيان، وتشبيث بنيان ، فعُدوه بلاغة وإعجازاً، ووجدوا فيه منهجاً قوياً، وهدفاً عظيماً من مناهج التربية وأهدافها ، وحاولوا أن يبرهنوا على ذلك ببراهين مما عرفتة العرب في كلامها شعراً ونثراً ، وأن يقيموا عليه الأدلة مما قرره علماء النفس وعلماء الاجتماع وأساطين التربية ذوو الاختصاص في فن الإعلام والدعاية .

وفئة عدت هذا مثلبة ومطعناً في كتاب الله، وهؤلاء لم يظهروا إلا بعد أن فسد الذوق البياني، وضعفت السليقة العربية، ولذا رأينا أن أباطيل أولئك لم تظهر مبكرة، فلم نسمع شيئاً من أعداء القرآن، الذين كانوا ذوي سلائق سليمة في اللغة بل على العكس من ذلك، وجدنا أن هذا القرآن يملك عليهم كل شيء، وإن لم يؤمنوا به، هذه الأباطيل -إذن- ظهرت فيما بعد، حينما فسد المزاج اللغوي ، واجتمع الطاعنون على دين الله من كل صوب، وتألّبوا حسداً عليه، فبدأ الحديث عن شبهة التكرار، فكان لا بد أن يشمر العلماء عن سواعد الجد ليردوا إلى النحور الظالمة سهام الحقد .

ولا نود أن نطيل الحديث معك عن آراء العلماء قديماً وحديثاً ، ولكننا نوجز لك القول :

ذهب كثير من العلماء إلى أن التكرار في القرآن الكريم إنما يذكر لتأكيد ما يريد

القرآن تقريره في النفوس ، فإذا أردت أن تقرّر شيئاً في النفوس فينبغي أن تكرره ، ومن هنا قالوا إن آيات العقيدة قد كررت في كتاب الله لتثبيت العقيدة في النفوس، وكذلك القصة القرآنية، وكذلك بعض الجمل القرآنية ، ومع إجلالنا وتقديرنا لأولئك العلماء ، لكن الذي نطمئن لتقريره بعد تدبر لكتاب الله ، وإنعام النظر وإجالة الفكر ، وإطالة الوقوف مع آيات الكتاب أن لا تكرر ألبتة في كتاب الله تبارك وتعالى .

والموضوع متشعب الأطراف متعدد الجوانب ، لانستطيع أن نجمع مسائله ونضمها بعضها إلى بعض في هذا الكتاب، لكننا نقف نحن وأنتم بعض الـوقفات فما قيل إنه قد كرر في كتاب الله .

1- آيات العقيدة .

2- القصص القرآني .

3- بعض الجمل والآيات .

أما آيات العقيدة فالمتدبر لها ، يجد أنها خالية من التكرار ، لأن كل موضع قررت فيه العقيدة ، نجد فيه معنى ومعلماً وفائدة، لا نجد في الموضوع الآخر، وأنقل هنا كلمة طيبة في هذا الموضوع لحجة الإسلام الإمام الغزالي - رضي الله عنه - ، وهو يتحدث عن أسماء يوم القيامة وما فيها من أهوال ، يقول - رضي الله عنه - " وقد وصف الله بعض دواهيها - أي القيامة وأكثر أساميها ، لنقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها ، فليس المقصود بكثرة الأسماء تكرار الأسماء والألقاب ، بل الغرض تنبيه أولي الألباب ، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر " وفي كل نعت من نعوتها معنى ، فاحرص على معرفة معانيها (الغزالي، إحياء علوم الدين 516/4) .

أما عدم التكرار في القصة القرآنية فهو أوضح وأظهر ، وهذا ما ذهب إليه كثير من العلماء ، وإن الذي يتدبر القصة القرآنية في جميع فصولها والمواضع التي ذكرت فيها يطمئن كل الطمانينة بأن لا تكرار في القصص القرآني، ولقد استولت على معد هذا المقرر هذه الفكرة رداً من الزمن، فكانت نتيجة ذلك هذا الكتاب الذي وفق الله تبارك وتعالى لكتابته "القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته" فهو يعالج هذه القضية، ونتيجة هذه الدراسة أن لا تكرار في القصة القرآنية، وهذا ما سبقني إليه كثير من العلماء والمحققين. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها، وهي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدي بها، تنسيقاً للجو الروحي والفكري، والفني الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية. وتلقى إيقاعها المطلوب .

ويحسب الناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني ، لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة ، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد يؤديه بنفي حقيقة التكرار . (قطب/في ظلال القرآن 64/1) .

ولنضرب لكم مثلاً عملياً بقصة واحدة من قصص القرآن الكريم، وهي قصة آدم عليه الصلاة والسلام : يقول الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق إنها -قصة آدم- وردت في ست سور، في البقرة ، والأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه، ففي سورة البقرة وردت (القصة في سياق تذكير الناس بنعمة الله، والعجب من أنهم يكفرون به، فكانت القصة تدور على هذا التذكير من جعل آدم خليفة وتعليمه الأسماء كلها .

(وفي سورة الأعراف وردت هذه القصة في سياق أن الناس قليلاً ما يشكرون الله ، الذي مكنهم في الأرض وجعل لهم فيها معاش ، ولذلك أسهبت القصة في موقف إبليس من الإنسان .

(وفي سورة الحجرات وردت قصة آدم في سياق فتنة الناس، ولذلك كان الأسهاب فيها في واقع إبليس وعدائه لأدم وذريته (مجلة لواء الإسلام، العدد السابع، السنة الرابعة، ص 537 - 554) .

(ولم يذكر الشيخ سورة "ص" ، وسورة "ص" جاءت في عنفوان خصومة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم حينما عجبوا أن جاءهم نذير منهم ، وعجبوا أن جعل الآلهة إلهاً واحداً ، وطلب بعضهم من بعض أن امشوا واصبروا على آلهتكم بدأت القصة فيها بهذه التسلية للنبي عليه وآله الصلاة والسلام بعد قوله: **إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ إِذْ قَالَ**

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ (الأنعام: 70-71) .

أما الادعاء بوجود تكرار في آيات وألغاز من كتاب الله ، فلا صحة له ، ونذكر لك بعض هذه الآيات التي ادعى أن فيها تكراراً ، مناقشين لها ، لتدرك ، أن كتاب الله خالٍ من شبهة التكرار .



تدوين (12)

ما الأمور التي ادعى الكثيرون وجود التكرار فيها من كتاب الله تعالى ؟

1- قال تعالى في شأن تحويل القبلة **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً**

تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ

الارض لكم القبلة: 144
المسجد الحرام قبله لكم
وهي بيته بياضه

وبعد هذه الآية يقول ربنا تبارك وتعالى: **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

[البقرة: 150]

هذه الآيات الكريمة حينما يقرؤها القارئ ، يجد أن الأمر بتولية الوجه شطر المسجد

الحرام قد ذكر أكثر من مرة ، فقد ذهب الكثيرون إلى أن ذلك للتأكيد .

ولكننا حينما ننعم النظر نجد أن الآيات الكريمة لم تذكر للتأكيد فحسب، وإنما كان لكل

واحدة منها غرضها الذي تؤديه، وغايتها التي تقصد إليها، فنحن نعلم خطورة قضية القبلة،

من حيث أنها جاءت تلبية لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم ومن حيث ما فيها من استقلال

شخصية المسلمين في عبادتهم، ولقد كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أول نسخ

في الإسلام؛ لذا وجدنا هذه العناية في شأن هذا التحويل، ومع ذلك كان لكل آية مغزى خاص بها.

فالآية الأولى جاءت لتبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، إن هذه القبلة التي

تمنيتوها - ورغبتهم فيها - وقد علم الله ذلك منكم - أجاهكم الله لما طلبتم ، وأما الآية

الثانية فلقد كان الأمر فيها لبيان قضية أخرى، وهي أن هذه القبلة التي أمركم الله أن

تتحولوا إليها لن تنسخ أبداً وهي القبلة الباقية

وأما الآية الثالثة فجاءت تبين أن الهدف من هذا الأمر بالتحويل إلى القبلة ، من أجل أن

تقطعوا دابر كل قول فلا يبقى للناس عليكم حجة .

وهكذا - إذن - نجد أن أمر التكرار لا يستقيم مع غاية الآيات الكريمة ، وإنما اخترنا

ذلك القول ، وعللنا كل أمر بما يناسبه أخذاً من الآيات نفسها ، فالأمر الأول بالتولية

شطر المسجد الحرام جاء عقب قوله تعالى: **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ**

قِبْلَةً تَرْضَاهَا وأما الأمر الثاني فقد جاء بعد قوله سبحانه: **وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ** ومعنى

هذه الجملة الكريمة أنه حق ثابت لن ينسخ أبداً ، أما الآية الثالثة فالأمر فيها ظاهر ، فلقد ذكر

عقبها **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ**.

2- في سورة آل عمران ذكرت هذه العبارة الكريمة "ويحذركم الله نفسه" مرتين متجاورتين :

أولاً : في قوله: **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَبِحَذْرِكُمْ

اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ^١ آية : 28 } وثانياً : في قوله تعالى : يَوْمَ

تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ

بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَبِحَذْرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

سُورَةُ غَزَاةٍ آيَةُ ٢٨

{ آية : 30 }

الناظر في السياق القرآني يجد أن كلا من التحذيرين جاء عقب قضية خطيرة مهمة ، جاء الأول بعد نهي المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء وهي قضية عني بها القرآن الكريم بعامة ، وعنيت بها سورة آل عمران بخاصة ، وما أصاب المسلمين اليوم من ضعف وخور وهزال ما هو إلا بسبب هذه الموالاة ، وجاء الآخر في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة ، فالتحذير الأول يترتب عليه العذاب الدنيوي من تفرق وتمزق وذلة ومسكنة ، أما التحذير الثاني فيترتب عليه العذاب الآخروي [ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون] .

3- ومن أقوى ما تمسك به القائلون بال تكرار سورة الكافرون قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينِكُمْ وَلِي دِينٍ ، السورة الكريمة عدا البسملة ست آيات ،

أولها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها نداء للكافرين وهي قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ

وأخر آية حِكْمٌ وَنَتِيجَةٌ وهي لَكُمْ دِينِكُمْ وَلِي دِينٍ وما بين هاتين الآيتين آيات أربع

يمكن أن نقسمها من حيث المعنى إلى مجموعتين ، المجموعة الأولى "لا أعبد ما تعبدون" ، "ولا أنا عابد ما عبدتم" فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما يعبده الكافرون ، والمجموعة الثانية "ولا أنتم عابدون ما أعبد" وهما الآيتان الثالثة والخامسة ، وهما تنفيان عبادة المشركين لما يعبد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام .

والذين ذهبوا إلى التكرار قالوا إنه للتأكيد ، ومن ذهب إلى هذا القول ودافع عنه بقوة، واستدل له بأقوال العرب وما جاء من أشعارهم الفراء ، ولكن الجمهور من العلماء ذهب إلى غير هذا ، ذهبوا إلى عدم التكرار في السورة الكريمة ، وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم في تفسير الآيات تفسيراً يبعد القول بالتكرار .

ولا أورد أن أقحمك أخي الدارس، أختي الدارسة في كل ماذكروه ، فأدخلك في متاهات قد يصعب عليك الخروج منها ، وتمييز بعضها عن بعض، ولكننا نود أن نسلك بك إن شاء الله تعالى مسلكاً لا وعودة فيه، غير حزن ولا متعرج ، وجميل بنا أن نعرف السياق الذي جاءت الآيات الكريمة فيه ، والسبب الذي نزلت من أجله .

فقد ذكر ابن جرير -رحمه الله- وغيره أن المشركين (ومنهم الوليد بن المغيرة) طلبوا من النبي عليه وآله الصلاة والسلام أن يهادنهم، أن يعبد آلهتهم ويعبدوا إلهه فأبى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، ونزلت السورة الكريمة، وعلى هذا فإن ما نرجحه في تفسير الآيات الكريمة ونستأنس له بقول الخدائق الجهابذة من العلماء ، من عدم التكرار في السورة الكريمة ما يلي وبالله التوفيق:

قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي لا يمكن أن أعبد في مستقبل الأيام معبوداتكم الفاسدة، كيف وقد أكرمني الله بالنبوة وهداني الصراط المستقيم؟ وأنتم تعلمون أنه قبل أن يكرمني الله بالوحي ما عبدت آلهتكم، فكيف ترجون مني أن أعبدها اليوم أو أعبدها فيما بعد؟ أما أنتم فلا يمكن أن تعبدوا الله الذي أعبدته - والسورة خطاب لقوم علم الله أنهم لا يؤمنون- وبخاصة بعد أن استحكم بيني وبينكم العداء، فأنتم ما عبادتم الله الذي دعوتكم لعبادته يوم أن كنتم تعدونني فيما بينكم الصادق الأمين، وقبل أن يحدث بيني وبينكم ما يعكرالصفو.

والخلاصة أن كل آية من المجموعتين جاءت على صورة الدعوى، وجاءت الآية الثانية على صورة الدليل، فكان كلاً من الآيتين دعوى ودليلها، فالدعوى في المجموعة الأولى "لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ" أي لا يمكن أن أجيبكم إلى ما طلبتم فأعبد آلهتكم، والدليل على هذه الدعوى "وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ" أي قبل أن يكرمني الله بالوحي ما عبدت آلهتكم، فهل يعقل أن أعبدها الآن أو بعد الآن؟ وأما الدعوى في المجموعة الثانية فهي "وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ" أي لا يمكن أن تصدقوا فتعبدوا الله الذي أعبدته وقد حدث بيني وبينكم ما حدث، ودليل هذه الدعوى "وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ" أي حينما دعوتكم لأول وهلة وأنتم لم تجربوا علي كذباً، وعلمتم أن لا مطمع لي في شيء فلم تجيبوني، فكيف تجيبونني اليوم؟.

الآيات الأربع -إذن- اثنتان منهما تشكلان الدعوى، عدم استجابة كل من الفريقين للآخر، والايتمان الأخرى كل منهما برهان على الدعوى التي تلاهما . هذا الذي يبدوا لنا في فهم السورة الكريمة ، راجين من الله أن نكون قد اهتمدنا للصواب وراجين من الله كذلك أن نكون قد بينا لك المقام ووضحناه أيما توضيح ، والله يجزي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير ما يجزي نبياً عن أمته وآل سيدنا محمد وصحبه .
ونكتفي بما ذكرناه والحق أن قضية التكرار تستحق كتاباً خاصاً ، نرجو أن يظهر قريباً إن شاء الله .



نشاط (9)

مما تمسك به القائلون بالتكرار آية سورة الرحمن **فَبِأَيِّ آءِ الرَّبِّ كُفِرْتُمْ** ، وقوله: **وَبَلِّغْ يَوْمَ بَدْرٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** في سورة المرسلات. ارجع إلى كتاب درة التنزيل المنسوب للإسكافي واكتب ما ذكره فيه.

7.2 دعوى الزوائد في كتاب الله

1.7.2 توطئة

لا بد لمن يتحدث عن إعجاز القرآن بعامة ، والبيان بخاصة أن يعرض لهذه القضية التي عالجتها أفكار العلماء قديماً وحديثاً ، بل شغلت حيناً لا بأس به من مقولاتهم ومدوناتهم. الزوائد كلمات - وأكثرها حروف - رأى بعضهم أنها لا حاجة لها من حيث الإعراب ، فإذا أسقطت بقي الكلام تاماً ، كالباء في خبر ليس ، حذفها ووجودها سواء ، نقول "أليس الله بقادر" وتسقط الباء ، فنقول " أليس الله قادراً " فهي إنما يؤتى بها لتأكيد الكلام وتقويته .
وذهب آخرون إلى أنها لا تزيد المعنى شيئاً ، فالمعنى سواء إن وجدت أم حذفت ، وإنما جيء بها لغرض لفظي يتعلق بجرس الكلام ، وجمال إيقاعه وحلاوة نغمه .
ويرى بعضهم أن هذه الزيادة لا يجوز أن تكون في الكلام ، إلا إذا ألغى عملها ، فهم ينكرون زيادة حروف الجر مثلاً ، لأنها لا يمكن أن تكون زائدة وعاملة معاً .
ويرى عبد العال سالم مكرم أن هذه الزوائد ظاهرة أسلوبية، فهي وإن كانت زيادة من حيث المعنى، أي يتم المعنى بدونها، إلا أنها يُستلمح بها الأسلوب، وذلك ما استقر عند العرب، والقرآن إنما جاء على أسلوب العرب ونهجهم.

وهذه الزوائد يتحاشى بعض الأئمة تسميتها بهذا الاسم ، - كما قلت - إجلالاً لكتاب الله تعالى ، فيطلقون عليها الصلة ، فالباء في خبر ليس مثلاً ، لا يقولون عنها زائدة ، وإنما يقولون الباء صلة ، ونحن لا تعيننا التسمية بقدر ما يعيننا جوهر الموضوع .
والحقيقة أن هذه الزيادة تمت في بيئة النحاة ، وترعرعت في حجورهم ، وكان ذلك نتيجة للقواعد التي قعدوها وألزموا أنفسهم بها .
وحينما ندرس هذه الزيادة - التي سموها كذلك - دراسة موضوعية فأنا نخرج بنتيجتين : -

الأولى: (إن أكثر النحاة قال بوجود زوائد في كتاب الله تعالى) ، على الرغم من أن كثيراً من المفسرين والعلماء نفى القول بالزيادة .

الثانية: إن ما سموه زائداً أو صلة ، عندما نعلم النظر فيه ، فأنا لا نتردد أي تردد ، ولا نرتاب أدنى ريب ، بأن هذا الذي سموه زائداً ، لم يكن ليُجمل به الإيقاع فقط ، وليس ظاهرة أسلوبية - كما قيل - (إنما هو بعد ذلك كله أمر اقتضاه المعنى) ، وحتمته الحكمة البيانية والحكمة العقلية كذلك ، فلذهب من الكلام للذهب جزء جوهري من المعنى ، فهي بحق برهان ساطع على إعجاز هذا الكتاب ، بل هي من أهم روافد هذا الإعجاز .
ويقينا أن هذه الزوائد لم تكن معروفة ، ولم يكن لها وجود عند أولئك الذين نزل القرآن فيهم ، ونكاد نجزم أنها لم تكن شائعة مشتهرة في خير القرون كذلك ، بل كان كل حرف من حروف القرآن الكريم ، وكل كلمة تعمل في نفوسهم عملها ؛ ذلك لأن هذه الكلمات كان لكل منها معنى تؤديه .

ونجزم أن هذه الزوائد إنما ظهرت بعد وجود مذاهب النحويين وبعد أن كثر التراشق والتشاد المذهبي بين الكوفيين و**البصريين** وغيرهم ممن اشتهروا في هذه المسائل، لذلك نجدها كثرت في كتبهم .

وقد تتبعنا هذه الزوائد، فوجدناها تصل إلى (سبع وعشرين) كلمة ، منها الحروف ، الأسماء ، والأفعال . وقد من الله على معد هذا المقرر بإخراج كتاب (لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن) أحصيت فيه ما ادعى إنه زائد في كتاب الله ، والآيات التي ادعى أن فيها زيادة ، ورددت هذا القول رداً نرجو أن نكون قد أصبنا فيه إن شاء الله .
ولد نكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتاب المذكور .

2.7.2 بعض الأمثلة على دعوى الزوائد ومناقشتها

1.2.7.2 قوله تعالى { وَبَاءُ وَبِغْضِبٍ مِّنَ اللَّهِ } البقرة: 61 ، آل عمران: 112.

وهذه الآية تتحدث عن بني إسرائيل قالوا (أبرحيان/ البحر المحيط 1 / 236): إن الباء زائدة : لأن (بأوا) بمعنى استحقوا ، واستحق لا تتعدى بالباء ، فلا يقال : استحق بغضب من الله ، وإنما يقال : استحقوا غضباً فالباء زائدة إذن ...
لم يدر بخلدهم إلا أن يفسروا (بأوا) بمعنى استحقوا ... وهذا التفسير ما أظنه متسقاً من حيث المعنى والسياق ، فضلاً عن اللغة نفسها .

أما أولاً: أي من حيث المعنى والسياق : فلأن الآيات تتحدث عن بني إسرائيل بعد خروجهم مع موسى عليه السلام ، حيث أنعم الله عليهم بتظليل الغمام والمن والسلوى وغير ذلك ، فقالوا: لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ الْبَقَرَةِ: 61 فقيل لهم: أَهْبَطُوا مِصْرًا البقرة: 61 ، ثم قال تعالى { وَبَاءُ وَبِغْضِبٍ } ، فالسياق الذي يفهم من الآية ، أن يقال : (بأوا) : رجعوا بغضب ، فالباء إذن جاءت في مكانها ، أي: رجعوا مصحوبين بغضب من الله ، وعليه فالباء للمصاحبة.

وأما ثانياً: أي من حيث اللغة ، فتفسير البوء بالاستحقاق لم يقل به إلا أبو روق من اللغويين ، كما نقل عنه صاحب « البحر » (أبرحيان. 1 / 236) ، ولا يجوز أن يتحكم متحكم في تفسير الكلمات ليقرر أو ليستنتج ما ينبغي أن ينزه القرآن عنه.

2.2.7.2 وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ البقرة: 195 . قالوا (انظر الرمخشري.

الكناز 1 / 237) : إن الباء زائدة . ونعجب مما قالوا؛ لأنه ليس المقصود هنا بالنهي إلقاء الأيدي ، فيكون المعنى لا تلقوا أيديكم .

وإذا وقفنا مع النص الكريم ، وجمعنا النصوص بعضها إلى بعض ، ندرك أن ما ذكره

غير مستقيم فالآية : وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ البقرة:

195 ، واليد بعبر عنها كثيراً في نصوص الكتاب والسنة بأنها المعطية ، أو المانعة ، قال

تعالى: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ الإسراء: 29 ،

وفي الحديث : « رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه » ، وما قاله

عليه الصلاة والسلام « أسرعكن بي لحوقاً أطولكن يداً »

فآية الكريمة إذن تريد أن تبين أن اليد هي سبب التهلكة ، والمعنى إذن : أنفقوا وجاهدوا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فتكون اليد سبباً في الهلاك .

شتان بين هذا وبين أن يقال : وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ . فالباء هنا للتعدي .

وقد تفيد السببية . ولعل في سبب نزولها ما يوضح ما ذهبنا إليه ، فقد أخرج أصحاب « السنن » وغيرهم عن أسلم بن عمران قال :

« خرجنا من المدينة نريد القسطنطينية - وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - فخرج من المدينة صف عظيم من الروم ، وصفنا لهم صفّاً عظيماً من المسلمين فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم ، فصاح الناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب :

يا أيها الناس ! نحن أعلم بهذه الآية ، وإنما أنزلت فينا ، صحبتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنصرناه وشهدنا معه المشاهد ، وآثرناه على أهلينا وأموالنا وأولادنا ، فلما نشأ الإسلام ، وكثر أهله ، ووضعت الحرب أوزارها ، رجعنا إلى أهلينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ، ونقيم فيها ، فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال ، وترك الجهاد » .

3.2.7.2: قال تعالى { إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ } [طه: 117] قالوا: التقدير: إن

هذا عدوك، ولكن وجود اللام هنا أمر لا بد منه، وسامح الله بعض النحويين، إنهم يحكمون على زيادة الكلمة لأنهم يجدونها في آية دون أخرى، ولو أنهم وقفوا مع النص القرآني وتحاكموا إليه، لأفادهم بما يريح أفئدتهم.

بيان ذلك أنهم وقفوا عند مثل قوله تعالى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ [المتحة: 1] فلم يجدوا هذه اللام التي وجدت في قوله تعالى [إن هذا

عدو لك ولزوجك] فحكموا على هذه اللام بالزيادة.

والذي يظهر لي - والله أعلم بأسرار كتابه - أن هذه اللام جاءت مستقرة هنا، لا يصلح

المعنى بدونها، ولا يستقيم، ذلك أن العداوة بين المؤمنين وأعدائهم ليست عداوة فطرية،

فالناس جميعاً يولدون على الفطرة كما جاء في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ولذلك فإن هذه العداوة يمكن أن تنقلب إلى مودة بعد أن يهدي الله أولئك الأعداء، ومن هنا

يقول ربنا عز وجل في السورة نفسها عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^{المتحنة: 17}.

أما عداوة ابليس عليه اللعنة، فليست من هذا القبيل، وإنما هي عداوة فطرية لا يمكن

أن تزول، لذلك جاء التعبير عنها مغايراً عن غيرها من العداوات، إِنَّ الشَّيْطَانَ

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ^{البقرة: 168}، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

^{البقرة: 168}، وهكذا جاءت الآيات الكثيرة من كتاب الله تعالى بهذا الأسلوب، فما أبعد القول بالزيادة، وما أبدع هذه اللام في مكانها، وما أجمل ما قاله صاحب المغني من أنها للاختصاص (ابن هشام، مغني اللبيب 1/217).

وتشبه هذه الآية آية أخرى في كتاب الله تعالى وهي قوله سبحانه وتعالى:

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ

الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، ^{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ}

عَلَىٰ عَيْنِي ^{طه: 38-39}.

فانظروا-أرشدكم الله- كيف جاء نظم الآية الكريمة، عدو لي وعدوله، ولقد علم الله

تبارك وتعالى أن عداوة فرعون للحق عداوة متصلة في نفسه، فلن يستجيب لموسى عليه الصلاة والسلام، وما أشبه عداوته بعداوة إبليس.

هكذا جاءت هذه اللام مقترنة بعداوة هذين الشيطانين، إبليس وفرعون، ولم نجد النظم

جاء على هذه الصورة حديثاً عن غير هذين، فما أبدع النظم! وما أحكم التنزيل!

وأزيد هذا المعنى تفصيلاً وفائدة، فأقول وبالله التوفيق:

في سورة المتحنة بعد قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوْتِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّكُمْ

أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ

إِيَّاهُمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ إِنْ يَشَقُّوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ
بِالسُّوِّءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (السمعة: 1-2) ، فانت ترى أن أسلوب الآية الثانية جاء هكذا ،

{ إِنْ يَشَقُّوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً } ولم يقل أعداءكم ، وهذا التغاير في الأسلوب الذي لا

نجده في غير هذا الكتاب العظيم له دلالة البيانبة ذات الأهداف العظيمة والأغراض المتعددة ،
وكلها مفيد ، فلقد قدمت كلمة (لكم) على كلمة (أعداء) ، لأن الله تبارك وتعالى يريد أن يبين
للمسلمين بأن هؤلاء الذين توادونهم وتسرون إليهم ، وتطلعونهم على شؤونكم ولا تخفون
عنهم شيئاً ، هؤلاء إن ظفروا بكم ، وقمكتوا منكم ، وحذقوا الوسائل التي تبلغهم أهدافهم ، فإنكم
أنتم وحدكم ستلاقون من عداوتهم ما لا يلاقي غيركم ، وستتحملون من الأذى ، ليس الأذى
القولبي باللسان فحسب ، ولكنه الأذى بالبد ضراراً وتخریباً وهدماً لكل ما بنيتم .

هذا الأسلوب القرآني جاء شاهد صدق على أن لا زيادة في الآية الأنفة الذكر ، التي
تتحدث عن عداوة الشيطان لعنه الله ، وهكذا ندرك أن لكل آية موضوعها ، ولكل موضوع
أسلوبه الذي يناسبه .



تهذيب (13)

ادعى بعضهم زيادة الباء في قوله: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ناقش هذا
القول.

4.2.7.2 [وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ] [البقرة : 30] (ابو حيان ، البحر المحيط

(143/7) .

التقديس: التطهير، أي : نظهر أنفسنا وأفعالنا وقلوبنا لك ومن أجلك (الرازي / التفسير

الكبير (74/2) .

وهذا أحد معنيين للآية الكريمة، والذي يحسن هذا التأويل أن قول الملائكة: {وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} جا في مقابلة قولهم {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} فقد ذكروا أمرين اثنين :

الأمر الأول: الإفساد في الأرض ورأسه الشرك ، فقابل الملائكة هذه المعصية بالتسبيح ، وهو البعد في تنزيه الله تبارك وتعالى عما لا يليق بجلاله سبحانه ، ويدخل الشرك

في ذلك دخولاً أولياً ؛ فإن الله تبارك وتعالى لا يغفر أن يُشركَ به .

والأمر الثاني: سفك الدماء ، وهو أبشع الجرائم ، وذكره في مقابلة التقديس ، وهو التطهير، أي : نظهر أنفسنا من أجل الله . وعلى هذا المعنى لا تتصور الزيادة .

وأما المعنى الثاني ، فإن التقديس خاص بالله تبارك وتعالى ، وفرقوا بين التسبيح

والتقديس ، إذ أن التسبيح يلاحظ فيه جهة العبد المنزه ، أما التقديس فيلاحظ فيه المنزه سبحانه ، وعلى هذا ؛ المعنى : نقديس لا من أجل شيء ، ولكن لأجلك أنت ، فاللام تعليلية .

وذكر الشهاب في « حاشيته » على « تفسير البيضاوي » أن اللام يمكن أن تكون

بيانية كأنهم حينما قالوا: نقديس . قال لهم : من تقدسون ؟ فقالوا : نقديس لك، ولكننا نختار ما ذكرناه من قبل.

ويمكن أن يكون التسبيح : التنزيه ، وهو نفى ما لا يليق عن الله. والتقديس: ثناء

على الله بما هو أهله.

5.2.7.2 قوله سبحانه {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ} (س:34).

ومن هنا تبعية، لأن الله لم يفجر عيون الأرض جميعاً، والذين قالوا بالزيادة

(المكبري، 2205/2) قاسوا هذه الآية على قول الله تعالى حكاية عن الطوفان {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ

عُيُونًا} (القم:12).

ونقول فيهما ما قلناه من قبل، فستان بين ما تشير إليه كل من الايتين، فالآية

الأولى-أعني آية يس- تتحدث عما أكرم الله به الإنسان من تفجير بعض عيون الماء في

الأرض نعمة منه سبحانه، والآية الثانية تتحدث عما كان أيام الطوفان عقوبة وانتقاماً، ولقد

كانت الأرض كلها كذلك.



نشاط (10)

ارجع إلى كتاب « لطائف المنان في دعوى الزيادة في القرآن » للدكتور فضل حسن عباس ، واذكر خمس آيات مما ادعوا فيها زيادة الباء واللام غير ما ذكرناه .

6.2.7.2 { يَغْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ } [الأحزاب: 31] ، (ابراهيمان، البحر المحيط (68/8) ، المفتي لأبن هشام . 324/1 .

إذا أردنا أن نفهم سر هذا الحرف في هذه الآية الكريمة ، فلا بد أن نعرف أن هذه الصيغة ذكرت تارة في شأن المؤمنين ، وذلك كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُوكُمُ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [الصف: 10-12] . وأخرى في سياق غير المؤمنين، وذلك كما في سورة نوح - عليه وعلى أنبياء الله صلوات الله وسلامه - (أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ) [نوح: 3-4] ، فكان جزاء المؤمنين مغفرة الذنوب جميعاً كرامة لهم ، أما غيرهم ؛ فإن المغفرة لهم من الذنوب ، ف (من) في مثل الآية الكريمة لا يمكن أن تتصور زيادتها ، وإنما جاءت في مكانها ، لا يتم المعنى بدونها ، جاءت للترقية بين المؤمنين وغيرهم .

ولقد كان الزمخشري - رحمه الله - دراكاً للمحة حينما أدرك هذا السر عند تفسيره لقوله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام : { قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطْرَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ } [إبراهيم: 10] .

يقول الزمخشري رحمه الله « فإن قلت: ما معنى التبويض في قوله (من ذنوبكم) ؟ قلت : ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين : كقوله: وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا يَغْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ [نوح: 3-4] ، (يَلْقَوْنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ } [الأحزاب: 31] ، وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء ، وكان ذلك للترقية

بين الخطابين ، ولئلا يسوى بين الفريقين في المعاد » (الزمخشري، الكشاف (543/2) .

7.2.7.2 وهي الرابعة من سورة آل عمران؛ قوله تعالى { حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي

الْأَمْرِ } [آل عمران: 152] التقدير عندهم : حتى إذا فشلتم تنازعتم في الأمر ؛ لكن

الفراء لم يرتض القول بالزيادة فحسب ، بل غير النظم الكريم ، وقدم فيه وأخر.

والتقدير عنده: حتى إذا فشلتم .. وهذه عبارته ، قال - عفا الله عنه - :

- « ويُقال : إنه مقدم ومؤخر : حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم . فهذه الواو معناها

السقوط كما يقال: فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّوْا لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ : معناه : نادينا . وهو في { حتى

إذا } ، و { فلما أن } ، مقول لم يأت في غير هذين ، قال الله تبارك وتعالى:

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ ، ثم قال: وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ

[الأنبياء: 96-97]؛ معناه : اقترب ، وقال الله تبارك وتعالى: حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

[الزمر: 73] ، وفي موضع آخر : { فتحت } [الزمر: 71] « (الفراء / معاني القرآن 238/1) .

فقد ذكر الفراء هنا عدة آيات عدَّ الواو فيها زائدة ، وقال : إن الواو مألها السقوط .

والحق أن كلامه هو الذي يجب أن يكون مألها السقوط .

والواو في الآيات التي ذكرها الفراء جاءت في محلها غير قلقة ولا نائية ، وليس في

النظم كذلك تقديم أو تأخير ، أما آية آل عمران : { حتى إذا فشلتم ... } فقد قال الزمخشري

فيها :

« فإن قلت : أين متعلق { حتى إذا } ؟ قلتُ : محذوف ؛ تقديره : حتى إذا فشلتم

منعكم نصره « (الزمخشري، الكشاف 247/1) .

فالواو إذن عاطفة ، عطفت بعض الأمراض على بعض ، فالتنازع والفشل - الضعف -

مرضان في حياة الأمم في حربها وسلمها ، وهما لا ريب من شر ما أصيبت به هذه الأمة ، فمن

ضعفنا لا تهابنا الأمم ، بل إنها تزدرينا وكذلك التنازع جعلنا في مؤخرة الركب .

8.2.7.2 قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 173].

عدها الفراء زائدة قياساً على الآية الأخرى، {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتُ أَبْوَابُهَا} [الزمر: 171]،

وهذا أمر من الخطورة بكان، فعلى هذا يمكن إن نعد كل حرف ذكر في آية ولم يذكر في أخرى زائداً، وهذا إهمال للسياق والمعنى كليهما.

والحق أن قوله تعالى : { وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } في سورة الزمر، مختلف عن قوله :

{ فَتُحْتُ أَبْوَابُهَا } حيث جاءت في سياق الكافرين بدون وار، وجاءت في سياق الحديث عن المتقين بواو.

ولو أنصف صاحبنا لرجع البصر كرتين، والفكر مرتين، فسيذكر أن لهذه الوار رسالة والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ومعنى الآية الكريمة أن أهل الجنة يجيئونها فيجدون أبوابها مفتحة، وهذا ما أشارت

إليه آية كريمة أخرى {جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمَفَّتحةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ} [ص: 50] وهو ما تؤديه هذه الواو فهي

واو الحال، أما الكافرون فيجيئون جهنم فيجدون أبوابها مغلقة فهم ينتظرون، ولكن ينتظرون

ماذا؟ ما أشد هذا على النفس وأقساه {وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 149].

وجواب إذا في الآية محذوف، وتقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها كان لهم من

إكرام الله ما لا يمكن حصره أو ما يشابهه، وحذف جواب (إذا) مستفيض في كلامهم.

وقد تتسائل لِمَ حذف الجواب هنا، وذكر في الآية السابقة: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمراً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتُ أَبْوَابُهَا والذي يبدو لنا-والله أعلم- أن هذه من

دقائق الإعجاز، فجواب (إذا) في هذه الآية التي تتحدث عن الكافرين { فَتُحْتُ أَبْوَابُهَا } أي

أبواب جهنم، وفي هذا الجواب من الشدة والغیظ ما فيه.

أما جواب (إذا) في الآية التي تتحدث عن المؤمنين فلم يكن فتح أبواب الجنان، لأنهم يجيئونها فيجدونها مفتحة لهم الأبواب وإنما الجواب قد حذف ليدل على ما هو أعظم من هذا

من طمأنينة نفوسهم برضوان الله { وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } التوبة: 72.

ويبدولي وجه آخر، وهو أن جواب (إذا) في الآية الأولى محذوف كذلك، والمعنى: حتى إذا جازوها فتحت أبوابها، وجدوا من الهول والحسرة والندامة ما يعجز عنه الوصف، وقال لهم خزنتها كذا وكذا، وتكون جملة فتحت أبوابها ليست جواباً، وإنما هي مستأنفة، فإن قبلت هذا القول فخذ به، ولكل وجهة هو موليها.

9.2.7.2 الحرف لعل

يدعى بعض الكاتيبين المحدثين زيادة (لعل) في قوله تبارك وتعالى : يُوسِفُ أَيُّهَا

الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ

وَأَخْرَى يَابِسَتِ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ يوسف : 46 . (لاشين . الفاصلة القرآنية

وسر التعمير ، ص 25) .

فهو يدعى أنه قد زيدت كلمة (لعل) من أجل الفاصلة ، فأصل النظم عنده: «لعلني أرجع إلى الناس فيعلموا» : لأن الفعل المضارع ينصب في جواب الترجي ، فزيدت (لعل) حتى تكون الفاصلة بالتون .

وكنت أود للكاتب أن يقف مع الآية الكريمة، أما وإنه لم يفعل، فلتقف أنت أخي

الدارس - أختي الدارسة مع الآية الكريمة في نظمها .

ويادى بدء فإنها جراً أن تقرر زيادة كلمات من أجل الفاصلة، وهو يعدُّ باباً خطيراً إن

فُتِحَ؛ لأنه سيُدعى بأن قضايا كثيرة إنما زيدت لأجل الفاصلة، أو النظم، أو السياق، وهذه تشكل خطوة نحن على ثقة من أن الكاتب لا يرضاها.

ولنرجع إلى الآية الكريمة ؛ جاء أحد السجينين - وهو الذي نجا منهما - ليوسف عليه

السلام ، ليُؤوِّلَ له الرؤيا ، وكان الملك ومن حوله ينتظرون بفاغ الصبر هذا التأويل ، ذلك لأن

لهذه الرؤيا شأناً عند الملك ، كما نفهمه من سياق القرآن ، وجاء رسول الملك وهو فرح مغتبط،

أن يعلم التأويل من يوسف عليه السلام ، فمن يدري ، فلعل هذه تجعل له حظوة ومنزلة عند

الملك ، وهذا ما كان يرجوه ويتوقعه ، ألم يقل : (أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) [سفر : 45] ، هذا التوقع الذي كان يرجوه رسول الملك ، هو ما جاءت من أجله كلمة (لعل) الأولى ؛ { لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ } . أما الناس - والملك أولهم بالطبع - فلقد كانوا يتوقعون تأويل هذه الرؤيا التي أحدثت في أنفسهم هزة ، وأقضت مضاجعهم ، وأرقتهم ، كانوا بحاجة إلى ما يزيل ذلك كله عنهم ، وهم يتوقعون أن يعرفوا من تأويلها ما يريحهم ، ليعلموا ما يترتب على هذه الرؤيا .

كلمة (لعل) في قوله سبحانه : { لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ } لم تأت من أجل الفاصلة ، وإنما جاءت ليستقر بها الأمر ، ويتم بها المعنى ، - وهو توقع الناس ورجاؤهم - ، جاءت كلمة أساسية في النظم ، ولو كان الأمر أمر الفاصلة ؛ لأمكن أن يقال : لعلّي أرجع إلى الناس فيعلمون ، فتكون الفاء عاطفة لا للسببية ، ولن نعدم تخریجاً نحويّاً لها ، وقد جاء في التنزيل : { لَعَلَّهُ يَزْكَرُ أَوْ يَنْكُرُ } [عس : 3-4] ، برفع (يذكّر) ، و { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ } [طه : 113] .

وعلى ما ذهب إليه الكاتب ، فإن (لعل) في قوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة : 186] .

أقول : إن (لعل) على ما ذهب إليه ينبغي أن تكون زائدة ، جيء بها من أجل الفاصلة ؛ لأن النظم بصير هكذا : فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي يرشدوا .

وكذلك قوله تعالى : { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } في قوله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } .

الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة : 21] ؛ لأن النظم يكون هكذا : اعبدوا ربكم تتقوا ، فيكون مجزوماً بجواب الأمر ، فزيدت لعل لأجل الفاصلة . وعلى هذا فيجب أن نضيف لقائمة الزوائد كلمة جديدة هي (لعل) .

إننا نجل الكتاب الكريم ، والنظم البديع ، والكلام المعجز عن مثل ما ذهب إليه الكاتب .

10.2.7.2 الاسم (اسم)

ولعل من أول من قال بالزيادة أبو عبيده، وتبعه ابن قتيبة، ومن هذا حذوهما، وهم -والحمدلله- قليل، ولو أننا وقفنا مع الآيات الكريمة التي ذكرت فيها كلمة (اسم)، وجدنا أن هذه الآيات بعضها لا يحتمل الزيادة البتة؛ لأن القول بالزيادة يفسد المعنى كقوله سبحانه:

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }، وقوله: { بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا } (مرد: 41) فحذف كلمة

اسم من مثل هذه الآيات لا يحتمل المعنى أبداً، فلا يمكن أن يقال: «بالله نبداً»، و « بالله نقرأ ونأكل ونشرب»، وإنما «بسم»، ولا سيما أنهم قد كانوا يبدوون بغير اسم الله سبحانه، باسم آلهتهم، ولا يزال بعضهم كذلك.

أما بعضها الذي يحتمل الزيادة من حيث المعنى، فمثل قوله سبحانه: { تَبَارَكَ اسْمُ

رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } (الرحمن: 78)، فمن حيث المعنى لا مانع أن يقال: تبارك

ربك. ولكن كلمة (اسم) في الآية الكريمة تفيد معنى جديداً، فكما ينبغي أن نعظمه سبحانه، ينبغي أن نُعَظِمَ أسماؤه كذلك، { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا } (الأعراف:

180).

وهكذا أعطت هذه الكلمة معناها الذي جيء به من أجلها.



نشاط (11)

ارجع إلى كتاب لطائف المنان للدكتور فضل حسن عباس ص/91-98 وقرأ ما جاء فيه من أسباب القول بالزيادة. ناقش ذلك مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.



اسئلة التقويم الذاتي (3)

س1 أ - الفاصلة القرآنية سر من أسرار الإعجاز . وضع ذلك بذكر مثالين .

ب- يدعي بعضهم وجود تكرار في كتاب الله تعالى . ناقش هذا القول من خلال آيات تحويل القبلة ، وسورة الكافرون .

س2 يدعي بعضهم وجود زوائد في كتاب الله. ناقش هذا القول من خلال الآيات التالية .

1- « وَيَأْتُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ »

2- « حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا »

3- « يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ »

4- « حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ »

5- « لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ »

3- الضمائر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد :

فقد حدثناك في هذه الوحدة - أخي الدارس، أختي الدارسة - عن أحد وجوه إعجاز القرآن، وهو الإعجاز البياني، الذي هو كما قلنا لك، أعم هذه الوجوه وأتمها وأهمها، وعرفت أن الإعجاز البياني يقوم على النظم، والنظم يتعلق بترتيب الكلمات في الجملة الواحدة فقط لكنه، يتعدى ذلك إلى ترتيب الحروف في الكلمة ، وترتيب الآيات في السورة الواحدة.

وقد تحدثنا عن الإعجاز في الكلمة القرآنية، وبيننا أن الكلمة القرآنية مختارة، منتقاه، وواضحة الدلالة، ودلالاتها تتسع لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى، وعرضنا لك لما يسمى بالترادف وهو أن يكون لأكثر من كلمة معنى واحد، وهذا الترادف لا يمكن أن يكون في كتاب

الله تعالى؛ إذ أن لكل كلمة معنى ، فلا يمكن أن تكون كلمة (الرب) بمعنى (الشك)، فلو كانت كذلك لصح أن تستبدل كلمة الشك بكلمة الرب، وكذلك كلمة القعود بالجلوس، والحمد بالشكر وغيرها ، فكل كلمة لها معناها ، ولو أردت استبدال كلمة مكان كلمة أخرى ، لتغيير المعنى الذي أرادته الآية تماماً، ولو أنك نزعت لفظة من مكانها ثم بحثت في لسان العرب كي تجد كلمة تضعها مكان تلك التي نزعناها لما وجدت كما قال ابن عطية.

وقد عرفت أن الكلمة القرآنية تأتي متناسبة ومتناسقة تماماً مع سياق الآيات القرآنية، ولهذا وجدت كلمة الاغراء تستعمل في مكان والإلقاء في مكان، والمدثر في مكان والمزمل في مكان كما عرفت .

والحرف الذي هو نوع من أنواع الكلمة له رسالة في كتاب الله تعالى ، فلا يمكن أن تتناوب الحروف بعضها مكان بعض ، وقد يحذف ذلك الحرف من آية ولكنه يذكر في آية أخرى

لسر بياني ، وقد يذكر حرف في آية ويذكر حرف آخر في آية أخرى مشابهة .
وحدثناك عن الإعجاز في الجملة القرآنية من حيث تقدم كلمة في آية وتأخيرها في
آية أخرى أو حذف الكلمة من آية وذكرها في آية أخرى .

إنمأ للفائدة حدثناك عن قضايا متصلة اتصالاً وثيقاً بالإعجاز البياني، وهي ما
يتعلق بالفصلة القرآنية، فقد تختم آية بكلمة معينة وأخرى بفاصلة أخرى، وحدثناك عن
دعوى الزيادة والتكرار في كتاب الله تعالى ، وبيننا أن كل كلمة تأتي في كتاب الله لا يسد
غيرها مسدها ، لا يمكن أن تكون زائدة .

نرجو أن تكون قد أفدت افادة كبيرة من خلال دراستك لهذه الوحدة ، وما ذكرناه لك
من الأمثلة قليل ، يمكنك أن تقيسه على غيره من الآيات القرآنية والكلمات القرآنية .

نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في عرض هذه المادة وتيسيرها وتبسيطها لكل
طالب علم ، ونسأل الله أن يوفقنا إلى الصواب في القول والعمل وأن يجنبنا الزلل والخطأ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

4. إحدة مسبقة عن الوحدة الحراسية التالية

حدثناك في هذه الوحدة عن أحد وجوه الإعجاز وهو الإعجاز البياني ، وقد عرفت أن
الإعجاز لا يقتصر على هذا الوجه ، بل يتعداه إلى وجوه كثيرة ، ولذا سيكون حديثنا في
الوحدة التالية عن الإعجاز العلمي نبين فيها موقف العلماء منه ، فنذكر آراء العلماء الذين
ينفون هذا الوجه ، وآراء العلماء الذين يثبتون ، ونرجح بين هذه الآراء ، ونذكر لك الأمثلة
الكثيرة على الإعجاز العلمي.

وسنحدثك عن الإعجاز التشريعي، نبين لك المقصود منه ، وجوانبه ، وبعض الأمثلة
عليه ، لترى مدى تفوق التشريع القرآني على التشريعات البشرية، ونتحدث عن الإعجاز
الغيبى فنعرض للإعجاز الغيبى الماضي وهو الإعجاز التاريخي، والإعجاز الغيبى
المستقبلي.

وإنمأ للفائدة نعرض أخي الدارس، أختي الدارسة لما يسمى بالإعجاز النفسي،
والإعجاز الروحي، نرجو أن تفيد من هذه المادة العلمية .

تدريب (1)

جهات الفصاحة عند عبد الجبار الهمداني :

- 1- اختيار الكلمة نفسها .
- 2- حركة الكلمة من حيث الإعراب .
- 3- موقع الكلمة من حيث التقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير .

تدريب (2)

اللفظة القرآنية تمييزي :

- 1- جمال وقعها .
- 2- اتساقها الكامل مع المعنى .
- 3- اتساع دلالتها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى .

تدريب (3)

أ - الفرق بين السنة والعام :

1- أن السنة تستخدم للشدة والقحط والجوع قال تعالى: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ**

قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، أما العام فيأتي ليعطي

معنى الرخاء .

قال تعالى: **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ**

2- **إن السنة تستعمل في التقويم الميلادي**، **والعام في التقويم الهجري** .

ب - الفرق بين الكتاب والقرآن :

إن كلمة الكتاب تشير إلى ما يستنبط منه من أحكام وما فيه من قواعد ومبادئ، وما اشتمل عليه من تشريع وحكم ، وما ضمه من علوم ومعارف وما يوصل إليه من رفعة، قال

تعالى: **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** .

وكلمة القرآن تأتي حين يكون السياق سياق قراءة وتلاوة " قال تعالى: **وَقُرْءَانَ**

الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وقال: **وَرَلَّ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا** .

تدوير (4)

كتاب الله تعالى ، لا ترادف بين كلماته ؛ إذ أن كل كلمة لا تسد مسدها كلمة أخرى ، مثال ذلك كلمتي جاء وأتى ، كثيرون يقول إن جاء بمعنى أتى ، وأتى بمعنى جاء ، والحقيقة أن كلمة المجيء تسند غالباً إلى الجواهر والأعيان ، وكلمة الإتيان تسند إلى المعاني والأزمان ، قال تعالى: **وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِمْ بِدَمٍ كَذِبٍ** وقال: **وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ** وقال: **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** .

ومن ذلك الفعل والعمل ، فنجدهم يفسرون العمل بالفعل ، والفعل بالعمل ، ولكن الصحيح أن هناك فرقاً بينهما :

1- لفظ (عمل) يستعمل لما امتد زمانه وأما لفظ (الفعل) فهو لما يكون دفعة

واحدة . قال تعالى: **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** وقال: **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** وهذا حدث دفعة واحدة .

2- العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد. والفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي ينبعث منها فعل يغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات. قال تعالى : **قَالَ بَلْ فَعَلُهُ كَبِيرُهُمْ** والفاعل جماد، وقال " وعملوا الصالحات " وهو يكون من الإنسان بقصد .

تدوير (5)

الفرق بين الحلف والقسم .

ترى بنت الشاطيء أن الحلف لا يكون إلا فيما هو كذب ، ومن هنا أسند كثيراً إلى المنافقين وأما القسم فلأنما يكون لليمين الصادق بها صاحبها .

والصحيح أن الحلف قد يكون صاحبه صادقاً أو كاذباً وهذا ما تشهد به الآيات ذالك

كَفَرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ في كفارة اليمين ، والمؤمن لا يحلف إلا صادقاً ، ولكنه يريد أن يكفر عن يمينه .

أما القسم فإلما يأتي في معرض التأكيد، وقد ذكرت في القرآن مسندة للكافرين والمنافقين " وأقسموا بالله جهد أيمانهم " .
الفرق بين الحمد والشكر.

فالحمد قد يكون أعم من الشكر من ناحية، فالحمد يكون مقابل نعمة أو غيرها ، أي سواء وصلت الإنسان نعمة أم لم تصل ، أما الشكر فلا يكون إلا مقابل نعمة وصلته.
وقد يكون الشكر أعم من ناحية أن الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، أما الحمد فلا يكون إلا باللسان .

تدوير (6)

قوله تعالى: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ذكر فيها الحرف (لا) مرتين مع الفعل (تهنوا) ومع الفعل (تحزنوا) ؛ وذلك لأن الآية هنا تنهى الأمة عن غرضين كل منهما مستقل عن الآخر ، وكل منهما يفتك بالأمة فتكاً كبيراً ويقضي عليهم ، وهذان هما الوهن والحزن ، فكان لا بد أن تذكر (لا) مرتين .

أما في قوله تعالى: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ فلم تذكر (لا) إلا مرة واحدة، ولو ذكرها مرة ثانية مع الدعوة إلى السلم فقال "ولا تدعوا إلى السلم"، لكان المقصود النهي عن أمرين كذلك كل منهما مستقل عن الآخر وهما الوهن، والثاني الدعوة إلى السلم، وهذا يتنافى مع الآيات القرآنية، فهو سبحانه يقول "وإن جنحوا للسلم فاجنح لهم وهذه تفيد جواز الدعوة إلى السلم إذا كان جانب المسلمين جانب قوة ، وعدوهم في جانب ضعف، وطلب العدو مساعدتهم؛ أما لو قال "ولا تدعوا إلى السلم" لكانت الدعوة إلى السلم محرمة في جميع الأحوال ولم تذكر هنا (لا) إلا مرة واحدة؛ لأن النهي عنه أمر واحد وهو الدعوة إلى السلم في حالة ضعف ووهن المسلمين .

تدوير (7)

قال تعالى: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ ذَكَرَ هُنَا الحرف (من) وهو يفيد التبعية ، لأن هؤلاء المذكورين في الآية يعطون من نفس التركة ، قبل أن يعطى نصيبه من هذا المال .

وقال تعالى: وَلَا تَوَسَّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ

فِيهَا الْحَرْفَ (في) ولم يأت (من) كالأية السابقة، لأن هذه الآية جاءت تعطينا قيمة اقتصادية إلى جانب القيمة البيانية، وهي أن هؤلاء السفهاء لا يجوز أن يعطوا من نفس رأس المال، لأن هذا المال لا يلبث أن ينفذ، فجاء الحرف ليبين أن إعطاء هؤلاء إنما يكون من الريح، فلا بد من استثمار هذا المال واستغلاله فيما يحل، والإنفاق على السفهاء من ربحه.

تدوير (8)

في قوله تعالى: إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ ^ط وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ جاء لفظ

الجلالة خبراً وقد جاءت الآية في سياق أولئك الذين جعلوا معبوداتهم أولياء، فتقول لهم الآية: إن أولياءكم هذه المعبودات المتعددة، أما أنا فولي الله لا أحد غيره.

وفي قوله: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ^ط فقد جاء

لفظ الجلالة مبتدأ ومقصود الآية الله ولي المؤمنين لا غيرهم، أي هو ليس ولي الكافرين، وبدل لهذا الآية الكريمة "والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت"

تدوير (9)

تتقدم المغفرة على الرحمة في قوله تعالى "غفور رحيم": لأن هذا هو الأصل فالمغفرة ستر للذنوب، أما الرحمة فتفضل دائماً زائد على مغفرة الذنوب، والتخلية مقدمة على التخلية، أي تخلص الإنسان من ذنبيه وستره له مقدم على الأمر الآخر وهو الزيادة في الأنعام وهي الرحمة.

ولكن قد تتقدم الرحمة على المغفرة لغرض بلاغي يتطلبه السياق كما في قوله

تعالى: يَفْلَحُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ^ط وَمَا

الرَّحِيمُ الْغَفُورُ فالسياق الذي جاءت فيه الآية ليس سياق ذنوب للعباد، ولكنه سياق

القدرة والعلم، سياق العناية بهذه المخلوقات كلها، ما في السماوات وما في الأرض، ما

يلج في الأرض وما يخرج منها، ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ورحمة الله تبارك

وتعالى تتجلى لهذه المخلوقات جميعاً، الشمس والقمر، والليل والنهار، والنجوم والجبال ،
والماء والمرعى ، والنار والهواء ، كلها تظهر فيها الرحمة ، لذا كانت الرحمة جديرة
بالتقديم في هذه الآية وحدها في كتاب الله .

تدوير (10)

الفاصلة القرآنية : ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية .

وقد أدرك الأعرابي إعجاز الفاصلة القرآنية بسليقته فقد روي أن أعرابياً سمع رجلاً
يقراء " وحملناه على ذات ألواح ودسر تجمري بأعيننا جزءاً لمن كان كَفَرٌ " بفتح الكاف ، فقال
الأعرابي لا يكون فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال الأعرابي يكون .

تدوير (11)

من ذلك قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

فالفاصلة متصلة بما قبلها ولا يصلح مكانها غيرها ، فالله يخاطب المؤمنين وقد كتب عليهم
القتال ، وبين لهم أن أمر المستقبل لا يدركونه هم ، فربما يكرهون شيئاً يكون فيه خيرهم ،
ربما يحبون شيئاً تكون نهايته شراً لهم وربما يعلمون ، إن الله وحده هو الذي يعلم ذلك ،

ختمت بقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

تدوير (12)

ادعي التكرار في :

1- آيات العقيدة .

2- القصص القرآني .

3- بعض الجمل والآيات .

تدوير (13)

قالوا إن الباء في قوله تعالى: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ زاندة والمقصود (ولا تلقوا

أيديكم) والصحيح أن هذا ليس مقصوداً ، فاليد هي التي تكون سبباً في الهلكة ، كما

غير عنها في القرآن والسنة بأنها هي المعطية وهي المانعة .
والباء هنا سببيه والمقصود لا تلقوا أنفسكم بسبب ما اكتسبته أيديكم إلى التهلكة
وسبب نزولها يبين ذلك، فقد بين أبو أيوب الأنصاري أنها نزلت حين وضعت الحرب أوزارها
ورجع الصحابة إلى أهلهم وأولادهم وأموالهم يصلحونها وقيمون فيها، فكانت التهلكة
الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد .

ك : مصدره المصطلحات

الترادف : أن يكون للكلمتين أو الكلمات معنى واحد .

التكرار : هو إعادة اللفظ نفسه في السياق نفسه ، أو إعادة الجملة الواحدة في نفس
السياق .

الرهيب : شك مع قلق وتهمة واضطراب ، فهو أن يتوهم في الشيء ، ثم ينكشف عما
توهم فيه .

الزوائد : هي كلمات وأكثرها حروف رأى بعضهم أن لا حاجة لها من حيث الإعراب ، فإذا
استقطت بقي الكلام تاماً ووجودها وحذفها سواء .

الشك : تردد النفس بين أمرين .

الغريب : هو في كلام العرب : ما كانت اللفظة فيه غير ظاهرة في معناها ولا مأنوسة في
الاستعمال ، تثقل على السمع وينفر منها الطبع .
والغريب في كتاب الله الذي إذا سمعه السامع يحفز وتشوق لمعرفة معناه .

الفاصلة القرآنية : هي تلك الكلمة التي ختمت بها الآية القرآنية .

المشعرك : اتحاد اللفظ وتعدد المعنى .

النظم : عرفه الجرجاني بأنه : ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس .



- 1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، طبعة دار الهدى بيروت، الطبعة الثانية .
- 2- ابن عطية، الأحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز .
- 3- ابن هشام، أبو محمد عبدالله، مفتي الذهب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحسيد .
- 4- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر الطبعة الأولى 1328 هـ .
- 5- الأصمهاني، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصمهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة 1381 هـ - سنة 1964 م .
- 6- الأوسي، أبو الفضل محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية .
- 7- البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة .
- 8- بنت الشاطي، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني، دار المعارف بمصر .
- 9- الجاحظ، أبو عمرو عثمان، البيان والعيون، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل .
- 10- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (للخطابي والرماني والجرجاني) تحقيق: د . محمد زغلول سلام و د . محمد خلف الله، دارالمعارف، بمصر .
- 11- الخطيب الإسكاني، المنسوب إليه دورة العنزيل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله، دار الأفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثانية سنة 1977 م .
- 12- الرازي، الذخر، التفسير الكهبر، الطبعة الأولى، ملتزم الطبع عبد الرحمن محمد، مصر .
- 13- الراجزي، الأستاذ مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة، سنة 1373 هـ - سنة 1953 م .

- 14- الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، بتحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي-الطبعة الأولى 1378هـ 1959م.
- 15- الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبعة دار الاستقامة القاهرة، سنة 1365هـ - سنة 1946م - الطبعة الأولى.
- 16- ابن الأثير، المثل السائر، مطبعة البابي الحلبي، 1939هـ.
- 17- الزيات، أحمد حسن، دفاع عن الهلاغة، مطبعة النهضة سنة 1965م.
- 18- السامرائي، د. فاضل صالح، التعبير القرآني، جامعة بغداد، بيت الحكمة، سنة 1986م - 1987م.
- 19- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن.
- 20- السيوطي، المزهر في اللغة، بتحقيق محمد جاد المولى.
- 21- ضيف، د. شوقي، الهلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
- 22- الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق سنة 1323هـ.
- 23- عباس، د. فضل حسن، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، الطبعة الأولى، سنة 1409هـ - 1989م.
- 24- عباس، د. فضل حسن، القصص القرآني إبحاره ونفحاته، دار الفرقان، الطبعة الأولى، سنة 1407هـ - 1987م.
- 25- عباس، د. فضل حسن، لغزها قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشير سنة 1987م.
- 26- أبو عبيدة، معمر بن المنى، مجاز القرآن، الطبعة الأولى، مكتبة الخالجي مصر، سنة 1381هـ - سنة 1962م.
- 27- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، الفروق اللغوية، بتحقيق حسام الدين القدسي، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1401هـ - سنة 1981م.
- 28- العسكري، أبو اليقظ، إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن، دار العلم للجميع.
- 29- الفراء، زكريا بن يحيى، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية.

- 30- قطب، سيد، في ظلال القرآن ، الطبعة الخامسة ،سنة 1386هـ 1967م .
- 31 - الكرمانى، محمود بن حمزة، معشاهه القرآن أو أسرار التكرار ، تحقيق عبد القاهر أحمد عطا، دار الاعتصام ،الطبعة الثانية ، سنة 1396هـ - 1976م .
- 31- لاشين، عبدالفتاح، الفاصلة القرآنية وسر التعبير، دار المريخ للنشر / الرياض .
- 32- مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم، مطبوعات علي صبيح وأولاده .
- 33- الهمذاني، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، ج 16، قوم نصوصه، أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى ، سنة 1380هـ - 1960م .

المادة الرابعة

محتويات الوحدة

الصفحة

الموضوع

259	1. المقدمة
259	1.1 التمهيد
259	2.1 أهداف الوحدة
260	3.1 أقسام الوحدة
261	4.1 القراءات المساعدة
261	5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة
261	2. الإعجاز العلمي
261	1.2 توطئة
262	2.2 آراء العلماء في التفسير
263	1.2.2 المانعون من الأقدمين
265	2.2.2 المانعون من المحدثين
269	3.2.2 المثبتون للإعجاز العلمي
269	1.3.2.2 الأقدمون
270	2.3.2.2 المحدثون
279	4.2.2 مناقشة ما ذهبوا إليه
281	5.2.2 رأينا في التفسير العلمي
284	3.2 نماذج التفسير العلمي
294	3. الإعجاز التشريعي
294	1.3 توطئة
294	2.3 كيف نفهم الإعجاز التشريعي للقرآن
295	3.3 موازنة بين التشريع السماوي والتشريعات الوضعية
300	4.3 جوانب التشريعات القرآنية
300	1.4.3 نظام الإرث في الإسلام
306	2.4.3 الطلاق
309	3.4.3 العقوبات

316 إخبار الغيب في القرآن .4
316 1.4 إخبار القرآن عن الأمم السابقة
319 2.4 إخبار القرآن بأمر من غيب المستقبل
327 5. الخلاصة
327 6. إجابات التدريبات
331 7. مسرد المصطلحات
332 8. المراجع

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً قيماً، الحمد لله الذي نزل الكتاب تبياناً لكل شيء، ولم يفرط فيه كما قال "ما فرطنا في الكتاب من شيء" والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرحمة المهداة والنعمة المسداة، الذي نزل عليه الكتاب ليبين ما فيه، وعلى آل سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً. وبعد.

فقد عرفت أن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة، لا تقف عند الإعجاز البياني فحسب، بل تتعداه إلى غيره. وقد حدثناك عن هذا الوجه من قبل في الوحدة السابقة.

وهذه هي الوحدة الأخيرة في هذا المقرر-أخي الدارس، أختي الدارسة- وهي تتعلق ببقية وجوه إعجاز القرآن الكريم وهي الإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي؛ ولذا سيكون حديثنا في هذه الوحدة في أقسام ثلاثة:- الأول الإعجاز العلمي وآراء العلماء فيه مثبتين ونافين، وأمثلة على الإعجاز العلمي بعد الترجيح بين تلك الآراء، والثاني الإعجاز التشريعي نبين لك فيه جوانب هذا الإعجاز وبعض الأمثلة عليه، والقسم الثالث الإعجاز الغيبي نحدثك فيه عن الإعجاز الغيبي ماضياً ومستقبلاً، وأمثلة.

وترد في ثنايا هذه الوحدة تدريبات يقصد منها استثارة الدافعية للتعلم في أثناء قراءتك للوحدة، وهذه التدريبات من صلب المادة العلمية، تستطيع الأجابة عليها من خلال قراءتك المتأنية للوحدة، وترد فيها كذلك بعض الأنشطة عليك الأجابة عليها وحدك، ولن تجد إجابتها آخرالوحدة كما هو الأمر بالنسبة للتدريبات الموجودة في ثنايا الوحدة. أرجو من الله أن تفيد إفادة جيدة من خلال دراستك هذه.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك أخي الدارس، أختي الدارسة بعد دراستك لهذه الوحدة وإجابتك عن تدريباتها وأنشطتها أن تصبح قادراً على أن:

- 1- تفهم المقصود من الإعجاز العلمي في كتاب الله تعالى.
- 2- تتعرف إلى آراء العلماء في عدهم الأمور العلمية وجهاً من وجوه الإعجاز.
- 3- تستنتج الشروط التي ينبغي توافرها لعداً الأمور العلمية وجهاً من وجوه الإعجاز.
- 4- تتبين المقصود من الإعجاز التشريعي.

- 5- تتبين الطريقة التي تستطيع بها فهم الإعجاز التشريعي.
- 6- تتعرف إلى جوانب الإعجاز التشريعي.
- 7- تطبق الإعجاز التشريعي على بعض جوانب الأحكام عن طريق المقارنة بين تشريعات القرآن الكريم وغيره.
- 8- تتعرف إلى أن القرآن معجز في أموره الغيبية المستقبلية والماضية.

3.1 أقسام الوحدة

- هذه الوحدة- أخي الدارس، أختي الدارسة ستكون في أقسام ثلاثة:-
- القسم الأول: الإعجاز العلمي، نتحدث فيه عن آراء العلماء في الإعجاز العلمي، آراء النافين وعلى رأسهم الإمام الشاطبي وآراء المثبتين، وسنرجع لك بين هذه الآراء، ونتبين أن الراجح هو رأي المثبتين، لكن ضمن شروط محددة، وسنذكر لك بعض الأمثلة من القرآن الكريم على الإعجاز العلمي.
- القسم الثاني: ويتعلق بالإعجاز التشريعي، نبين فيه المقصود من الإعجاز التشريعي، وكيف يمكننا فهم الإعجاز التشريعي، ونقارن بين التشريع القرآني، والتشريع الروماني، ونذكر بعض الأمثلة التطبيقية على الإعجاز التشريعي في القرآن مقارنة مع غيره من التشريعات.
- القسم الثالث: الإعجاز الغيبي في القرآن، نتحدث فيه أولاً عن الأخبار الغيبية الماضية، وهي ما تتعلق بأحوال الأمم الماضية، وأخبار الأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونتحدث فيه ثانياً عن الأخبار الغيبية المستقبلية، أي الآيات التي جاءت تتحدث عن قضايا لم تكن قد حدثت بعد، ثم حدثت كما أخبر القرآن الكريم عنها، ونذكر الأمثلة على هذا.

ونحدثك أخيراً عما يسمى بالإعجاز النفسي والإعجاز الروحي مع بيان الفرق بينهما. ومن خلال دراستك للقسم الأول- أخي الدارس، أختي الدارسة- يمكنك أن تحقق الأهداف، الأول والثاني والثالث، ودراستك للقسم الثاني تحقق الأهداف، الرابع والخامس والسادس والسابع، أما القسم الثالث فبدراستك له يمكنك أن تحقق الهدف الثامن.



4.1 القراءات المساعدة

لابد لك أخي الدارس، أختي الدارسة من زيادة حصيلتك العلمية؛ ولذا لا يمكن أن تكتفي بما ورد في هذه الوحدة فأنت بحاجة إلى بعض الكتب لقراءتها حول هذا الموضوع ولذا ننصحك بقراءة ما يلي:

- 1- الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، دار الكتاب الحديثة.
- 2- د . البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية/1401هـ 1981م .
- 3- أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى.
- 4- د. عباس، فضل، إعجاز القرآن، دار عمان .

5.1 ما تحتاج إليه في دراسة هذه الوحدة

قبل أن تبدأ دراسة الوحدة تأكد بأنك هيات المكان الهادئ والمريح للدراسة، ولديك المراجع اللازمة للقراءات المساعدة.

وفي أثناء دراسة الوحدة حاول الإجابة عن جميع أسئلة التقويم الذاتي؛ لأنها تساعدك في مراجعة أجزاء الوحدة الرئيسية، ولا تغفل التدريبات والتعيينات فهي تمنحك الفرصة لاختبار تعلمك وتطبيق المعارف والمهارات التي اكتسبتها حديثاً في معالجة مشكلات جديدة. كما أنها تعينك على تعلم المادة. فهي جزء أساسي من طرائق عرض المادة. ولا تتردد في الاتصال بمرشدك أو موجهك كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما يعرض لك من صعوبات أو معضلات أو مسائل مثيرة للاهتمام.

2. الإعجاز العلمي

1.2 توطئة

أشرنا أخي الدارس، أختي الدارسة إلى أن القرآن الكريم جاء دعوة صريحة للعلم والنظر والتفكير، ويكفي أن أول ما تلاكأ من آياته، كان الأمر بالقراءة باسم الرب الذي خلق، الرب الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، ولا نجد كتاباً سماوياً أو أرضياً كرم العلماء والعلم، ودعا في مواضع كثيرة منه، للتزود من منهل هذا العلم كهذا القرآن:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِ وَاللَّوْنِ كُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَا يَكُتِ لِلْعَلَمِينَ (الروم: 22) قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (الزمر: 19)

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (الم: 28) وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (المجادلة: 11).

وشرف الله العلماء بمعيتة شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا

العلم قايماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (آل عمران: 18).

جعل دعوته للعلم مفتوحة للبشر جميعاً، لم يفرق بين غني وفقير ورجل وامرأة أحراراً أو مملوكين. ولقد ظهر أثر ذلك في وقت مبكر في ظل حكومة القرآن. وقد نمت دعوة القرآن للعلم، فأحيت أمة من أجدائها، وإذ بهذه الأمة الأمية، التي من الله عليها بالهداية، يصبح كل بيت من بيوتها، ومسجد من مساجدها، مؤمناً للعلم، يأتيه الناس على اختلاف لغاتهم وأديانهم من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم. هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان، ولا يشك فيها عدو.

وهناك بدهية أخرى، وهي أن هذا القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى الرغم من اكتشاف كثير من المجاهيل، وعلى الرغم من تقدم الإنسان في مضمار العلم، وآفاق الكون الفسيحة- لا يتعارض مع المسلمات الصحيحة التي وصل إليها الإنسان فضلاً عن أن يناقضها. وهذه البدهية التي لا يختلف فيها اثنان كذلك، لمجد مع كل أسف بعضاً ممن ينتسبون لهذه الأمة بأسمائهم فحسب، ممن رانت نخالات الأفكار الغربية على عقولهم، يمارون فيها، لأنهم حُجِّبوا بالهوى وأسروا بالتقليد.

والخلاصة أن القرآن بدعوته المفتوحة للعلم، بنى حضارة شامخة سعدت بها الإنسانية حيناً من الزمن، وأن هذا القرآن لن يناهضه علم كوني صحيح.

2.2 آراء العلماء في التفسير العلمي

اختلفت كلمة العلماء قديماً وحديثاً في هذه القضية، ولكن خلافتهم هذا منبعث من حرصهم على هذا القرآن، وناشيء عن إجلالهم له، ودفع كل شبهة تقوم حوله، ولا نود أن نتعجل الإجابة في هذه القضية الخطيرة، قبل أن نعرض لآراء العلماء المجوزين والممانعين،

الأقدمين منهم والمحدثين، وتناقش أدلة كل من الفريقين ثم نقفي على ذلك بإثبات ما يترجح عندنا. سائلين الله أن يوفقنا للسداد ويهدينا للصواب، وأن يجنبنا الخطأ والمخطل، وأن يحفظنا من الزلل، فله الحمد وله المنة، وله الحمد في الأولى والاخرة.

1.2.2 المانعون من الأقدمين

إن العَلَمَ الذي يعول عليه ويرجع إليه، وهو المحور الذي يدور كل من بعده حوله، إمام من أئمة الشريعة، ومفكر من مفكري الإسلام، يعد من أبرز من أنتجتهم هذه الأمة، ذلكم هو الإمام أبو إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، المتوفى عام (790هـ)، من علماء الأندلس وما أكثر ما جادت به الأندلس من أعلام، وأئمة ومفكرين رحمهم الله.

إن من أعظم ما أنتجه الفكر الإسلامي كتاب الموافقات للشاطبي، ولقد عرض الإمام الشاطبي في هذا الكتاب لهذه القضية، ونعني بها تفسير القرآن بما جد من علوم، ويعتقد مسألة خاصة بهذه القضية، نذكر لكم خلاصة مفيدة إن شاء الله لما قاله ذلكم الإمام العظيم رحمه الله.

أولاً: يقول الإمام الشاطبي: إن الأمة التي أرسل فيها النبي صلى الله عليه وسلم أمة أمية، وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم. قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ (الممتة:2) بل إن الله وصف نبيه صلى الله عليه وسلم. فقال:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ (الاعراب:157) وقال: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (الاعراب:158) ويقول

النبي صلى الله عليه وسلم "نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا". وإذا كانت الأمة أمية فإن الشريعة التي نزلت فيها أمية كذلك .

ثانياً: إن العرب الأميين الذين نزل فيهم القرآن الكريم، ومحمداهم الله أن يأتوا بمثله، كان

لهم معرفة ببعض العلوم كعلم النجوم، قال تعالى: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (النحل:16)

وقال: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (الأنعام:97)

وكعلم الأنواء، وهو ما يتصل بالرياح ونزول المطر، وبعض مسائل الطب الناشئة عن تجربة وقضايا الأخلاق، وما يتصل بها مما مجده في كتاب الله تبارك وتعالى.

ثالثاً: لقد جددت علوم بعد القرآن الكريم على هذه الأمة لم تكن معروفة لدى الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك كعلوم الطبيعيات والفلسفة والفلك، إلى غير ما هنالك من علوم، وحينما تحدى القرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثله، إنما تحداهم بما كان معلوماً عندهم، ولا يجوز أن يكون قد تحداهم بما ليس كذلك، إذ لو تحداهم بشيء منه لقالوا: كيف تتحدانا بشيء لا نعرفه، فلا تقوم عليهم الحجة، ويستدل لذلك بقوله تعالى: **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ** [نصت: 44].

رابعاً: يرى الإمام الشاطبي -رحمه الله- بعد هذه المقدمات أنه لا يجوز لأحد أن يفسر آي القرآن الكريم بما لم يكن معروفاً عند الصحابة مما جدّ فيما بعد. يقول:

"إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، وإلى هذا فإن السلف الصالح - من الصحابة والتابعين ومن يليهم - كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدلّ على أنه غير موجود عندهم. وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء فيما زعموا، نعم تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب، أو ما ينبغي على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجعة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره، أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا. (الشاطبي - المواقفات 79/2).

ثم يناقش الشاطبي أدلة الفريق المعارض، الذي يرى جواز تفسير آيات القرآن تفسيراً

علمياً، ويرد عليهم فيقول: "وربما استدلووا على دعوهم بقوله تعالى: **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ**

الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" [النحل: 89] وقوله: **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**

[الأنعام: 38] ونحو ذلك، ويفواتح السور - وهي ما لم يعهد عند العرب - وبما نقل عن الناس فيها، وربما حكى من ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيره أشياء.

فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والانتعاب، أو المراد بالكتاب في قوله: **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** [الأنعام: 38] اللوح المحفوظ ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.

وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب عهداً، كعهد الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب، حسبما ذكره أصحاب السير، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى وغير ذلك، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون، ولم يدعه أحد من تقدم، فلا دليل فيها على ما ادعوه، وما ينقل عن علي أو غيره في هذا لا يثبت، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الإقتصار، في الاستعانة على فهمه-على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه وتقول على الله ورسوله فيه، والله أعلم وبه التوفيق" (الشاطبي، الموافقات 81/2).

ذلكم هو الإمام الذي اقترن اسمه بهذه القضية، فلا نجد أحداً قديماً وحديثاً يعرض لهذه القضية، دون أن يذكر أول ما يذكر رأي هذا الإمام.



نشاط (1)

ارجع إلى كتاب الموافقات للشاطبي الجزء الثاني واقراء فيه ص 69-82 ملخصاً له وناقشه مع زملائك ومشرفك الاكاديمي.



تدوين (1)

كيف رد الشاطبي على القائلين بوجود الإعجاز العلمي؟

2.2.2 المانعون من المحدثين

والعلماء المحدثون الذين منعوا تفسير آي القرآن الكريم تفسيراً علمياً لم يخرجوا عما قاله الإمام الشاطبي، ومن هؤلاء الشيخ أمين الخولي زوج الدكتورة بنت الشاطبي-رحمه الله- وقد نقله عنه وارتضاه الشيخ محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، أما أبرز أولئك المانعين فهو الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، وهو إمام ذو عقلية فذة-رحمه الله- يقول الشيخ:

وأما الناحية الثانية: فإن طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بواب من العلم الحديث، وتلقنوا أو تلقفوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها.

نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول: **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**

فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحاً جديداً، ففسروه على أساس من النظريات المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية.

نظروا في القرآن على هذا الأساس، فأنسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يراها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله، فإذا مرت آية فيها ذكر المطر، أو وصف للسحاب، أو حديث عن الرعد أو البرق، تهللوا واستبشروا وقالوا: هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين ويصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر والسحاب وكيف ينشأ وكيف تسوقه الرياح وإذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات والحيوان وما خلق الله من شيء قالوا: هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة وأسرار الطبيعية، وإذا رأوه يتحدث عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم، قالوا: هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة والفلكيين أن القرآن كتاب علمي دقيق، ومن عجيب ما رأينا من هذا النوع أن يفسر بعض الناظرين في القرآن قوله تعالى: **فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**

يَفْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان:10] بما ظهر في هذا العصر من الغازات السامة، والغازات الحاققة التي أنتجها العقل البشري بعيداً عن قوله تعالى: **رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ**

إِنَّا مُؤْمِنُونَ، **أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا**

مَعْلَمٌ مَّجْنُونٌ [الدخان:10]. ويعرض الشيخ بعض الآيات التي فسرت ببعض النظريات العلمية،

ثم يقول إن هؤلاء في عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سالفين فكروا مثل هذا التفكير ولكن على حسب ما كانت توحى به أحوال زمانهم، فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو سياسية أو علمية. ولسنا نستبعد - إذا راجت عند الناس في يوم ما نظرية -

دارون مثلاً- أن يأتي إلينا مفسر من هؤلاء المفسرين فيقول: إن نظرية دارون قد قال بها القرآن منذ مئات السنين.

أقول: رحم الله الشيخ فقد جاء من نسر بعض آيات القرآن بنظرية دارون، وهو الدكتور مصطفى محمود، فيقول في كتابه القرآن محاولة لفهم عصري (ص44): إن دارون قد أحسن ووفق فيما توصل إليه من اكتشاف وشائج القربى بين المخلوقات جميعها، فما هي ذي نفس عضلات الأذن التي كانت تحرك آذان (أجداده) الحمير، وقد تليف وتضمرت حينما لم تعد لها وظيفة".

أخي الدارس، أختي الدارسة ما جوانب الخطأ في هذا الاتجاه ؟

هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك؛ لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وهي خاطئة من غير شك؛ لأنها تحمل أصحابها والمؤمنين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز، ولا يسبيغ الذوق السليم.

وهي خاطئة؛ لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد بصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة، لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارات إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر، ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم، وحسبنا أن القرآن لم يصادم-ولن يصادم- حقيقة من حقائق العلوم تظمن إليها العقول (شلتوت، تفسير القرآن، ص11).



نشاط (2)

اكتب تقريراً عن نظرية دارون مبيناً كيف ردّها العلماء.

الأستاذ محمود شاکر:

وبعد أن تحدثنا عن علمين من أعلام الأمة قديماً وحديثاً، يجدر بنا أن نتحدث عن رأي عالم آخر من علماء اللغة والأدب، وذو باع طويل وقدم راسخة في هذا، وهو الأستاذ محمود محمد شاکر، صاحب الكتب المفيدة والمقالات العميقة في مادتها، والمنافع عن لغة القرآن الكريم. وإن كان رأي الأستاذ يختلف عن سابقه، فإن هناك روابط تربط آراهم ببعضها ببعض، عرفنا أن رأي الشاطبي ومن بعده الشيخ شلتوت-رحمهما الله- وقد نقلنا عنهما-منعهما- التفسير العلمي.

أما الأستاذ محمود شاکر فهو يفرق بين قضيتين:

الأولى: أن تفسر أي القرآن الكريم بحقائق العلم الثابتة لا بنظرياته.

الثانية: أن تكون هذه الحقائق العلمية والدقائق الكونية وجهاً من وجوه الإعجاز وقع بها التحدي.

فيرى أن لا مانع من القضية الأولى، وهي أن يكون القرآن الكريم أشار في بعض آياته إلى حقائق ودقائق تشريعية وتاريخية، وعلمية، وكونية، وبهذا يختلف عن سابقه، ولكنه يرى بعد ذلك أن هذه الحقائق والدقائق ليست من وجوه الإعجاز؛ لأنها لم يقع بها التحدي؛ وإنما التحدي كان بأسلوب القرآن الكريم ونظمه، كان بما يعرفه العرب والإعجاز-إذن- الذي وقع به التحدي، هو ما كان بلفظ القرآن نظماً وأسلوباً، ونتيجة ما قاله الأستاذ محمود شاکر أن حقائق التشريع ودقائق العلم، يصح أن تكون دليل صدق على أن القرآن الكريم كتاب الله، وعلى أن الذي جاء به من عند الله سيدنا محمد رسول الله حقاً.

وهكذا يفرق الأستاذ محمود شاکر بين أن نأخذ من القرآن الكريم بعض القضايا، فذلك

أمر لا محذور فيه، وبين أن نجعلها وجهاً من وجوه الإعجاز (ابن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 24).

ذلكم أبرز ما قيل في منع تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً، وبالتالي إنكار أن يكون

ذلك وجهاً من وجوه الإعجاز، ومنتقل الآن للحديث عن المثبتين وما استدلوا به لما ذهبوا إليه.



تدريب (2)

هات رأي الشيخ محمود شلتوت في الإعجاز العلمي.

3.2.2 المثبتون للأعجاز العلمي

1.3.2.2 الأقدمون

إن أكثر علماء الأمة ومنهم علماء الكلام وجمهور المتصوفة لا يرون مانعاً من تفسير القرآن تفسيراً علمياً فرأيهم أن آيات القرآن فيها من دقائق العلوم ما لا يحصى، وسنذكر لكم بعض هؤلاء.

أ- الإمام الغزالي :

من ذهب إلى هذا الرأي ودافع عنه بحزم وقوة حجة الأسلام الغزالي - رضي الله عنه ، يقول: " إن العلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارات إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظارة، واختلف الخلاق في النظريات، والمقولات ففي القرآن رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدرورها، فكيف يفهم بذلك ترجمته وتفسير ظاهره (الغزالي، احياء علوم الدين 1/258).

ب- الإمام فخر الدين الرازي :

ينعى الرازي على من اعترض عليه لإيراده في تفسيره ما أورد من مسائل العلم وقضايا الكون، يقول: وربما جاء بعض الجهال والحمقى، وقال: إنك أكثر في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل، لعرفت فساد ما ذكرته... إن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة، بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور، وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها (الرازي، التفسير الكبير 14/120-122).

ج - ويأتي الإمام السيوطي بعد هذين العلمين، في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بالعجيب مما قاله ونقله عن هذا الفريق، الذين توغلوا في التفسير العلمي إلى حد بعيد، فينقل عن أبي فضل المرسي وعن غيره، كثيراً مما فيه مبالغة ومغالاة.

د- ومنهم الحكيم داود الأنطاكي المتوفي عام (1008هـ)، حيث نقل عنه الرافعي رحمه الله تفسير قوله تعالى: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ** المزمّنن، 13. يقول الرافعي رحمه الله: ولقد قرأنا الآية الكريمة على طبيب مسيحي محقق فاضل من أصدقائنا، ونبهنا إلى هذه الدقائق، فقال: آمنت بما أنزل على محمد (الرامي، إعجاز القرآن/ص136). وغير أولئك كثير، ونكتفي بهؤلاء الأئمة رحمهم الله.

2.3.2.2 المحدثون

1- ومن أوائل أولئك المحدثين الإمام محمد عبده-رحمه الله- يقول الأستاذ محمد أحمد القمرواي: واللطيف البديع أن كبير المفسرين المحدثين الإمام الشيخ محمد عبده-رحمه الله- فسر بناء السماء طبق قانون الجاذبية فكان فتحاً في التفسير، وفتوى عملية يتيح تفسير الآيات الكونية في القرآن طبق ما ثبت أو يثبت على أيدي علماء الفطرة من الحقائق الخاصة والعامة لمجلة الوعي الإسلامي-العدد 44 سنة 1968م.

يقول الأستاذ في تفسيره جزء عم عند قول الله تعالى { **وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا** } (السماء اسم لما علا وارتفع فوق رأسك)، وأنت إنما تتصور عند سماعك لفظ (السماء) هذا الكون الذي فوقك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجري في مجاريها، وتتحرك في مداراتها، وهذا هو السماء، وقد بناه الله أي رفعه وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة جدران تحيط بك، وشدت هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة. كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينهما مما تمسك به لتفسير جزء ص195.

ويقول عند قوله تعالى: { **وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا** } وطأها وجعلها فراشاً، كما قال: { **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً** } وليس في ذلك دليل على أن الأرض غير كروية، كما يزعم بعض الجاهلين، والذي طحاها هو الله.

ويقول عند قوله تعالى { **إِذَا السَّمَاءُ أُنشِقَّتْ** } : "انشقاق السماء مثل انفطارها وهو فساد تركيبها واختلال نظامها، عندما يريد الله خراب هذا العالم الذي نحن فيه وهو يكون بحادثة من الحوادث التي قد ينجر إليها سير العالم، كأن يمر كوكب في سيره بالقرب من

الأخر، فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره، ويحدث من ذلك غمام وأي غمام، يظهر في مواضع متفرقة من الجو والفضاء الواسع فتكون السماء قد تشقت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره (تفسير جزم ص 49).

ب- الشيخ محمد رشيد رضا:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا وهو يتحدث عن الإعجاز العلمي: قال تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ، وكانوا يقولون فيه أنه تشبيه لتأثير الرياح الباردة في السحاب، بما يكون سبباً لنزول المطر، بتلقيح ذكور الحيوان لإنثائه. ولما اهتدى علماء أوروبا إلى هذا، وزعموا أنه مما لم يسبقوا إليه من العلم، صرح بعض المطلعين على القرآن منهم بسبق العرب إليه قال مستر "اجنيري" المستشرق الذي كان أستاذ اللغة العربية في مدرسة أكسفورد في القرن الماضي: إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلتح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرناً " نعم إن أهل النخيل من العرب، كانوا يعرفون التلقيح، إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكر النخل إلى إنثائها، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك، ولم يفهم المفسرون هذا من الآية بل حملوها على المجاز (رضا، تفسير المنار 1/221).

ثم يقول وقوله تعالى: وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا

فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ إن هذه الآية أكبر مثال للعجب بهذا التعبير: "موزون" فإن علماء الكون الإختصاصيين في علوم الكيمياء والنبات، قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات، مؤلفة من مقادير معينة، في كل نوع من أنواعه، بدقة غريبة لا يمكن ضبطها، إلا بأدق الموازين المقدره من أعشار الجرام والميلجرام.

وكذلك نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات، أعني أن هذا التعبير بلفظ "كل" المضاف إلى "شيء"، الذي هو أعم الألفاظ العربية، الموصوف بالموزون- تحقيق لمسائل علمية وفنية- لم يكن شيء منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر، ولا يمكن بيان معناها بالتفصيل إلا بتصنيف كتاب مستقل (رضا، تفسير المنار، 1/210).

ويقول كذلك في قوله: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا تعالى: إلى قوله: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

فهو موافق لما ثبت في الهيئة الفلكية، مخالف لما كان يقوله المتقدمون، ومنه الآيات المتعددة الواردة في خراب العالم عند قيام الساعة، وكون ذلك يحصل بقارعة تفرع الأرض قرعاً

وتصخها فترجها، وتبس جبالها بساً فتكون هباءً منبثاً، وحينئذ تنثائر الكواكب لبطلان ما بينها من سنة التجاذب، والآيات في هذا وفيما قبله، تدل دلالة صريحة على بطلان ما كان يقوله علماء اليونان، ومقلداتهم من علماء العرب في الأفلاك والكواكب والنجوم، وعلى إثبات ما تقرفي الهيئة الفلكية العصرية في ذلك. وفي نظام الجاذبية العامة، ويجد القاريء تفصيل هذا في عدة مواضع من هذا التفسير. فهذا النوع من المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه، كانت مجهولة للعرب، أو لجميع البشر في الغالب، حتى إن المسلمين أنفسهم، كانوا يتأولونها ويخرجونها عن ظواهرها لتوافق المعروف عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد، أو نظريات العلوم والفنون الباطلة، فإظهار ترقى العلم لحقيقتها المبينة فيه ما يدل على أنها موحى بها من الله تعالى (رضا، تفسير المنار/211).



نشاط (3)

ارجع إلى تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا وقرأ تفسير الآيات السابقة واكتب ملخصاً لها.

ج- الأستاذ مصطفى صادق الرافعي:

ذكرنا من قبل عند حديثنا عن الرافعي-رحمه الله- قوله إن القرآن معجز من نواحي ثلاث، إحداها ما فيه من أنواع العلوم، ونزيد هنا، يقول الرافعي بعد أن ذكر بعض العلوم التي ذكرها القرآن:

وإنما أوردنا هذا القول لنكشف لك عن معنى عجيب في هذا الكتاب الكريم، فهو قد نزل في البداية على نبي أمي وقوم أميين لم يكن لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم، وكانت فنون القول التي يذهبون فيها مذاهبهم ويتواردون عليها، لا تجاوز ضروباً من الصفات، وأنواعها من الحكم وطائفة من الأخبار والأنساب، وقليلاً مما يجري هذا المجرى، فلما نزل القرآن بمعانيه الرائعة التي افتتن بها في غير مذاهبهم، ونزع منها إلى غير فنونهم، لم يقفوا على ما أريد به من ذلك، بل حملوه على ظاهره وأخذوا منه حكم زمانهم، وكان لهم في بلاغته المعجزة مقنع، وما درى عربي واحد من أولئك لم جعل الله في كتابه هذه المعاني المختلفة، وهذه الفنون المتعددة، التي يهيج بعضها النظر، ويشحذ بعضها الفكر، ويمكن بعضها اليقين، ويبعث بعضها على الاستقصاء، وهي لم تكن تلتئم على ألسنتهم من قبل؟

بيد أن الزمان قد كشف بعدهم عن هذا المعنى، وجاء به دليلاً بيئاً على أن القرآن كتاب الدهر كله، وكم للدهر من أدلة على هذه الحقيقة ما تبرح قائمة، فعلمنا من صنيع العلماء أن القرآن نزل بتلك المعاني، ليخرج للأمة من كل معنى علماً برأسه، ثم يعمل الزمن عمله فتخرج الأمة من كل علم فروعاً ومن كل فرع فنوناً، إلى ما يستوفي هذا الباب على الوجه الذي انتهت إليه العلوم في الحضارة الإسلامية، وكان سبباً في هذه النشأة الحديثة من بعد أن استدار الزمان، وذهبت الدنيا مستديرة، وأنشأ الله القرون لتبلغ هذه الحادثة أجلها وتنتهي بها القضاء، وإن من شيء، إلا عند الله خزائنه، ولكنه سبحانه وتعالى يقول: وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ [إعجاز القرآن ص119]. وكان الرافعي في كلامه هذا يرد على ما قاله الشاطبي رحمهما الله.



تدوين (3)

هات رأي الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في الإعجاز العلمي.

د- الدكتور محمد عبدالله دراز:

قلنا من قبل عند حديثنا عن الأستاذ-رحمه الله- أنه قد بنى كتابه على أبواب ثلاثة، منها أن القرآن معجزة علمية، ولكنه انتقل إلى رحمة الله قبل أن يتم كتابه، وكنا نتمنى أن نقرأ ما كتبه الأستاذ، فإنه يختلف عن كثير من الناس، وحرى بما كتبه أن يقرأ كله، ولكننا لحسن الحظ وجدنا إشارات ذكرها أستاذنا الفاضل في بعض كتبه، وكل كتبه قيمة طيبة، يقول: "ولكن القرآن في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة- لا لغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب- وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القدير.

ونلاحظ أن هذه الحقائق التي يقدمها تتفق مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث، مثل

المنبع الخفي الذي يخرج منه العنصر الجنسي للإنسان: خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ

بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ [الطارق: 6-7] والمراحل التي يمر بها الإنسان وهو في بطن أمه فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ [المع: 5].

وعدد التجويفات المظلمة التي يتم الخلق بداخلها يخلقكم في بطون أمهتكم خلقاً

مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَةٍ ثَلَاثِ [الزمر: 16]، والمنشأ المائي لجميع المخلوقات الحية وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ [الأنبياء: 30]، وتكوين المطر اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُفْرِغُ سَحَابًا فَيَسْطُرُهُ فِي

السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ [الزمر: 48]، ودائرية السماء

والأرض يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ [الزمر: 5]، وكروية الأرض غير المكتملة

عند الأقطاب أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا [الأنبياء: 44]، ومسيرة الشمس إلى

نقطة معلومة وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا [يس: 38]، وتعايش الحيوانات في جماعات تشبه

الجماعات الإنسانية وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ [الأنعام: 38]،

ووصف حياة النحل بصفة خاصة وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا

يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلَّلْنَا النَّحْلَ [النحل: 68/69]، وثنائية النباتات

والمخلوقات الأخرى، وهي حقيقة علمية كان يجهلها عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، قال

تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبَتِ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ [يس: 36]،

والتلقيح بواسطة الرياح (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) [العنكبوت: 22]، إلى آخره (درازا، مدخل إلى القرآن الكريم

ص176).

هـ- الأستاذ عهد الوهاب حموده:

مثل الشيخ شلتوت، وهو من العلماء المشهورين، كان استاذ اللغة في جامعة القاهرة، كان له نشاط علمي من كتبه القراءات واللهجات، يقول "الرأي الذي نميل إليه، هو أننا في حاجة شديدة إلى أضواء العلم، تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما كان عند العرب في علمها، ومألوف معارفها، لأن القرآن أنزل للناس كافة يأخذ منه كل على قدر استعداده وحاجته، ما دام ذلك لا يتنافى مع ما قصد القرآن من الهداية، وما يهدف إليه من الإرشاد. فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسفرت أسرارها، فظهرت أنوارها عن سر إعجازها وسحر بيانها..." ثم يذكر أمثلة عن بعض مدلولات الآيات التي يستعان على فهمها بشتى العلوم ويقول:

فالحق أن كل ما يساعد من العلوم على الكشف عن الأسرار الكونية والدلالة على قدرة الصانع الحكيم، والإبانة على مبلغ آياته ونعمه ولا يتعارض مع أسلوب اللغة، ومألوف تعبيرها، من غير إغراب ولا تكلف، ولا إغراق في التأويل وإسراف في التحديد، فهو مما يجوز أن يستخدم في فهم القرآن الكريم، فهو لا تفتنى عجائبه ولا تحصى أسرارها" (مجلة لواء الإسلام، العدد 10 سنة ثمانية بعنوان التفسير العلمي).

و- الأستاذ محمد أحمد الغمراوي:

عالم في اللغة والأدب والعلوم والشريعة، عقلية فذة أكرمه الله فجمع بين العلم القديم والحديث، درس الكيمياء ودرس في كلية الصيدلة- فجمع بين علوم الطبيعيات وعلوم الشريعة يقول- رحمه الله- الواقع أن موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكرة برغم كل ما كتب فيه لكنني لست أريد أن أتناوله إلا من تلك الناحية التي لا يتوقف تقديرها والتسليم بها على معرفة لغة لا تيسر معرفتها لكل أحد، هذه الناحية هي الناحية العلمية من الإعجاز.

وإذا فهمنا الناحية العلمية على أوسع معانيها شملت كل ما عدا الناحية البلاغية من النواحي: تشمل الناحية النفسية، وكيف اقتاد القرآن النفس ويقودها طبق قوانين فطرتها، وتشمل الناحية التشريعية، وكيف نزلت أحكام القرآن طبق الفطرة للأفراد والجماعات، وتشمل الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من الآيات القرآنية ثم كشف عنها التنقيب الأثري فيما بعد، ثم تشمل الناحية الكونية، ناحية ما فطر الله عليه غير الإنسان من الكائنات في الأرض، وما فطر عليه الأرض وغير الأرض في الكون.

هذه النواحي هي التي ينبغي أن يشمر المسلمون للكشف عنها وإظهارها للناس في هذا العصر الحديث، ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستعينوا بكل علم

على تفهم ما اتصل بالعلوم جميعاً، ولا غرابة في أن يتصل القرآن بالعلوم جميعاً، فما العلوم إلا نتاج تطلب الإنسانية أسرار الفطرة، والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة، فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة، وتتجاوب كلماتها وكلماته، وإن كانت كلماتها وقائع وسنناً وكلماته عبارات وإرشادات تتضح وتنبهم طبق ما تقتضيه حكمة الله في مخاطبة خلقه ليأخذ منها كل عصر على قدر ما أوتي من العلم والفهم، وكذلك دواليك على مر العصور.

هذا التدرج في إدراك تمام التطابق بين القرآن والفطرة أمر لا مفر منه في الواقع، ثم هو مطابق لحكمة الله سبحانه في جعله الإسلام آخر الأديان، وجعله القرآن معجزة الدهر، أي معجزة خالدة متجددة: يتبين للناس منها على مر الدهور وجه لم يكن تبيين، وناحية لم يكن أحد يعرفها أو يحلم بها من قبل، فيكون هذا التجدد في الإعجاز العلمي هو التجديد للرسالة الإسلامية، كأنما رسول الإسلام قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله، ويهديهم دليلاً على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة وبين القرآن.

هذا النوع من الإعجاز يعجز الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل، فإن الحقيقة العلمية التي لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين مثلاً والتي ذكرها القرآن، لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن.

وقبل أن نورد بعض الأمثلة الإيضاحية، يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين الأول أنه لا ينبغي في فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ، وتحمل على مجازها. إن مخالفة هذه القاعدة الأساسية الأصلية البسيطة قد أدى إلى كثير من الخطأ في التفسير، وسرى أن من أعجب عجائب القرآن أن المطابقة بين آياته وآيات الفطرة تكون أتم وأيسر كلما أخذنا بتلك القاعدة في فهم كونيات القرآن.

هذا أمر، أما الأمر الثاني فهو أنه ينبغي ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقيني الثابت من العلم لا بالفروض ولا بالنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص إن الحقائق في سبيل التفسير الحق، هي كلمات الله الكونية، فينبغي أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية، أما الحدسيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل، إن لم يكن للإبطال في أي وقت، فسيبيلها أن تعرض على القرآن بالقاعدة الثابتة لتبين مبلغ قربها منه أو بعدها عنه، وعلى مقدار ما يكون بينها وبينه من اقتراب يكون مقدار حظها من الصواب.

ز- سيد قطب:

قلنا من قبل إن إعجاز القرآن عند سيد قطب-رحمه الله- إعجاز عام، ولكن يا ترى في أي اتجاه سيسير صاحب الظلال وهو يتحدث عن الآيات العلمية في القرآن؟ أيسير مع الذين يلهثون وراء النظريات العلمية أياً كانت، أم يسير مع أولئك الذين يرفضون الإعجاز العلمي كل الرفض؟ يقيناً إنه لم يسر مع هؤلاء ولا أولئك.

الحق أننا حينما نستعرض موقفه نجد أن الرجل كان معتدلاً في نظرته لتلك الأمور غير متنكب لصراط الحق السوي، ولا يتجاوز نص الآية أو روحها، ولكنه لا يجمد كذلك عند ما ذكره المتقدمون دون أن يستفيد من ظلال الآيات الممتدة في جذور الحياة وثنايا الكون" فهو لا يمنع أبداً أن يتسع في تفسير الآيات لتشمل ما قرره العلم من حقائق ثابتة ما دام ذلك ليس فيه تكلف أو تعسف مجوج ولا معارض مجوج، فالحقائق العلمية -كما يقول- إذا كنا سنتكلف لها بتحميل الآيات أكثر مما تتحملة، حري بنا أن لا نخلط بينها وبين القرآن بالنظريات التي لم تثبت".

وها هو يرد على الفريق الأول الذين يلهثون وراء النظريات العلمية مبيناً الأسباب التي حملتهم على ذلك، واضطرتهم إليه، يقول:

" وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة، بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة، متغيرة أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم.

الأولى: الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم، فعلى حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه، والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق.

الثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناءً يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي.

الثالثة: التأويل المستمر مع التمثل والتكلف "لنصوص القرآن كي نحملها ونلث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر وكل يوم يجد فيها جديد".

وهو يرد على الفريق الثاني كذلك الذين يجمدون عند ظواهر الآيات بحجة أن ذلك لم يكن معروفاً عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن بعدهم، ولنستمع إليه رحمه الله: .

ولكن هذا لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات، ومن حقائق عن الكون والحياة والإنسان، فليس هذا هو الذي عنينا بذلك البيان، ولقد قال الله سبحانه: **سَنُرِيهِمْ**

ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ومن مقتضى هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم في الآفاق وفي الأنفس من آيات الله، وأن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية في تصورنا، فكيف؟ ودون أن نعلق النصوص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية ولا مطلقة.

يقول عند قوله سبحانه: **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا** ... ثم تكشف الملاحظات العلمية أن هناك موافقات دقيقة وتناسقات ملحوظة بدقة في هذا الكون... وحجم الشمس والقمر بالنسبة لحجمها وسرعة حركتها هذه ويميل محورها هذا ويتكون سطحها هذا... وبالأخص الخصائص... هي التي تصلح للحياة وقوائمها... فليس شيء من هذا كله فلتة عارضة ولا مصادفة غير مقصودة... هذه الملاحظات تفيدنا في توسيع مدلول (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) وتعميقه في تصورنا، هذا جائز ومطلوب... ولكن الذي لا يجوز ولا يصح علمياً هذه الأمثلة الأخرى.

يقول سبحانه وتعالى: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ** ثم توجد نظرية في النشوء والإرتقاء لوالاس ودارون تفترض أن الحياة بدأت خلية واحدة وأن هذه الخلية نشأت في الماء، وأنها تطورت حتى انتهت إلى خلق الإنسان... فنحمل نحن هذا النص القرآني ونلته وراء النظرية لنقول: هذا هو الذي عناه القرآن... لا... إن هذه النظرية أولاً ليست نهائية، فقد دخل عليها من التعديل في أقل من قرن من الزمان ما يكاد يغيرها نهائياً... وهي معرضة غداً للنقض والبطلان بينما الحقيقة القرآنية نهائية وليس من الضروري أن يكون هذا معناها.

ويقول تعالى في القرآن الكريم: **أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا** ثم تظهر نظرية تقول: إن الأرض كانت قطعة من الشمس فانفصلت عنها، فنحمل النص القرآني ونلته لندرك هذه النظرية العلمية ونقول: هذا ما تعنيه الآية القرآنية، لا ليس هذا هو الذي تعنيه فهذه نظرية ليست نهائية، وهناك عدة نظريات عن نشأت الأرض في مثل مستواها من ناحية الإثبات العلمي، أما الحقيقة القرآنية، فهي نهائية

مطلقة، وهي تحدد فقط أن الأرض فصلت من السماء، كيف؟ ما هي السماء التي فصلت عنها؟ هذا ما لا تتعرض له الآية، ومن ثم لا يجوز أن يقال عن أي فرض من الفروض العلمية في هذا الموضوع إنه المدلول النهائي المطلق للآية، وحسبنا هذا الاستطراد بهذه المناسبة، فقد أردنا إيضاح المنهج الصحيح في الانتفاع بالكشوف العلمية، وفي توسيع مدلول الآيات القرآنية دون تعليقها بنظرية خاصة أو بحقيقة علمية خاصة تطابق وتصدق.. وفرق بين هذا وذاك (قطب، الظلال 2/94/99).



تدوير (4)

ذكر الغمراوي شرطين لا بد لهما عند تفسير القرآن تفسيراً علمياً بينهما.

4.2.2 مناقشة ما ذهبوا إليه

أخي الدارس، أختي الدارسة لنبدأ بمناقشة المانعين، وقد عرفنا أن من أبرز هؤلاء وأسبقهم الشاطبي-رحمه الله- وفي دعواه :-

أمية العرب وأمية الشريعة؛ لذا لا يجوز أن نفسر الآيات بما لم يكن معروفاً عند الذين نزل القرآن فيهم، وقد ذكرنا خلاصة لأقواله من قبل، فارجعوا إليها إن شئتم. وناقش دعوى الشاطبي رحمه الله بتقرير ما يلي:-

1- ينهني أن لا ننسى أن القرآن الكريم وإن نزل في العرب لكنه لم ينزل لهم وحدهم، وإنما

نزل للناس جميعاً؛ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وَقَالَ: وَأُوحِيَ

إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغْ وَقَالَ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أمة وأمة والنصوص في ذلك كثيرة، فالقرآن الكريم والشريعة-إذن- لا ينهني أن تضيق دائرتها لنحصرها في الأمة الأمية وحدها.

2- إن قول الشاطبي-رحمه الله تعالى- بأن الشريعة أمية جدير بالمناقشة، إذ لا يلزم من

أمية الأمة، أمية التشريع، فهذه الشريعة التي أكرمنا الله بها لمجدها-وتحن على أبواب القرن الحادي والعشرين- تفوق كل ما وصل إليه الإنسان المتمدين في مجالات الحياة وأنواع التشريع، فليست أمية الشريعة وأمية الأمة سواء.

3- ليس معنى كون الأمة أمية أنها ستبقى كذلك، فلقد أكرم الله الإنسانية بهذا الدين، وبهذا الكتاب الخالد، وبهذا النبي العظيم عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم، لتسعد الإنسانية وتصعد، وتنهض الأمة بأعباء هذه الرسالة الخالدة، فينقطع دابر الجهل، وتصل إلى أسرار هذا الكون الذي سخر الله لنا سماءه وأرضه، وفي ذلك آيات كثيرة منها قول ربنا: **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** فليس من منطوق التاريخ أن تظل الأمة أمية في عصورها كلها، ثم ماذا نقول عن أولئك الذين دخلوا في الإسلام من غير الأميين، كيف يتأتى لهم في مجالات حياتهم، أن تكون الشريعة التي يدينون ويخضعون لها أمية لا تتسق مع أوضاعهم، ولو كان ذلك مقبولاً لرفض أئمة المسلمين وعلمائهم ومفكرهم جميع العلوم والمعارف التي تتنافى مع هذه الأمية، إن الواقع والتاريخ يشهدان لغير ذلك، لقد هضم المسلمون أنواع المعارف جميعها فانتجت لهم نوعاً من المعرفة المتصلة بكيانهم، والتي صارت فيما بعد جزءاً من هذا الدين.

4- إن دعوى أن تفسيرنا للقرآن بما لم يكن معلوماً لساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم، أمر لا يجوز؛ لأنَّ فيه انتقاصاً من قدر الصحابة رضوان الله عليهم كما يقول الشيخ رحمه الله دعوى غير جائزة، بل هي مردودة تردها نصوص هذا الدين الحنيف، فنحن نعلم أن الله تبارك وتعالى أوجب على المسلمين أن يتدبروا القرآن الكريم، ولذا لم يفسر منه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا آيات قليلة، ليعيش المسلمون دائماً على مائدته، ولو وجب علينا أن نقف عند ما وقف عنده الصحابة رضوان الله عليهم، لم يكن أي معنى للتدبر، صحيح يجب أن نهتدي بما وصلوا إليه، ولكن ليس معنى هذا أن نحرم على أنفسنا كل ما يفتح الله به من حقائق في فهم هذا الكتاب المبين.

مناقشة محمود شاکر:

يقي أمرٌ حري بالبحث جدير بالمناقشة، وهو ما نقلناه عن الأستاذ محمود شاکر، فهو لا ينكر أن القرآن الكريم قد أشار إلى بعض الحقائق، لكنه ينفي أن يكون هذا من وجوه الإعجاز وما تحدي به، ويرى أن التحدي البيان وحده، والأستاذ يرى أن هذه الحقائق في الآيات إنما تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أنه نبي، وأن القرآن من عند الله، ومناقشتنا الدعوى من جهتين اثنتين:

الجهة الأولى: إن المقصود من التحدي إثبات أن القرآن من عند الله، وأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله فإذا كانت الحقائق العلمية وغيرها- كما يرى الأستاذ الفاضل- تدل على هذا، فذلكم هو الإعجاز.

الجهة الثانية: إننا حينما درسنا مراحل التحدي وجدنا أن بعضها كان خطاباً للعرب وحدهم، وكانت المرحلة الأخيرة للناس جميعاً، ولو أن مراحل التحدي كلها كانت خطاباً للعرب فحسب، لكن ما ذهب إليه الأستاذ الفاضل حرياً بالقبول، أما وقد وجدنا المرحلة الأخيرة تختلف عن سابقتها من حيث المخاطبون، لأنهم الناس جميعاً، ومن حيث التنزل لأنها نزلت في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ومن حيث الأسلوب كما شرحناه من قبل، ونحن نعلم الدقة المحكمة في ألفاظ القرآن الكريم، فهذا يدل دون أدنى شبهة على أن التحدي كان عاماً للناس جميعاً، ولا يعقل أن يتحدى الناس جميعاً بالأسلوب وحده ثم أليس حديث بعض آي القرآن الكريم عن حقائق في الكون والتاريخ والتشريع لم تكن معروفة من قبل، من أبين الأدلة على إعجازه؟، ما دمنا نتفق جميعاً على أن إعجاز القرآن ليس محدوداً بعصر أو زمن من الأزمان، أو خاصاً بمصر أو بلد من البلدان.

ونرجو أن لا يفهم أحد أننا نفتح الباب على مصراعيه، ليتناول الناس فيما لا ينبغي لهم، وأن نفسر آي القرآن الكريم تفسيراً يقوم على الظن والحدس وأن نلهث وراء كل قول وخلف كل نظرية، إن ذلك أمر لا يجوز أبداً، ولقد نقلنا من قبل ما قاله كثير من العلماء في هذا المعنى، ولسنا مع كثير ممن فسروا آي القرآن الكريم تفسيراً بعيداً عن لغته، بعيداً عن سياق آياته، وإليك خلاصة ما ارتأيناه في هذه القضية.



تحذير (5)

يقول الشاطبي أنه بما أن الأمة أمية فلا بد أن تكون الشريعة كذلك. ناقش هذا القول.

5.2.2 رأينا في التفسير العلمي وشروطه

والذي أختاره في هذا الموضوع أو جزه فيما يلي:

أ- إن التفسير العلمي ضرورة تتطلبها هذه الفترة الزمنية التي نعيشها، شريطة أن يتهيأ لذلك ذوو الاختصاص.

ب- إن القول بأن التفسير العلمي فيه غض من قدر الصحابة رضوان الله عليهم لا أخاله متفقاً مع منطق الواقع ومسلكات العقل.

ج- إن القرآن ليس ديوان شعر، كما أن سوره وآياته ليست قصائد وأبياتاً بقولها الشاعر في ظرف معين، وإنما القرآن كتاب الله ما دامت الإنسانية. وإذا فلا بد من أن تكون فيه الجدة دائماً، وهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولذا فإن الله تبارك وتعالى، لا إله إلا هو يفتح لمن أراد أبواباً في فهم هذا الكتاب.

من كل ما سبق فإن التفسير العلمي إذا توافر له مناخه الصالح واستجمع الشروط فلا مانع منه أبداً، وهذه الشروط كما ارتأيتها:

1- موافقة اللغة موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي.

2- عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما له حكم المرفوع.

3- موافقة سياق الآيات بحيث لا يكون التفسير نافراً عن السياق.

4- التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات.

5- أن لا يكون التفسير حسب نظريات وهمية متداعية، بل لا بد أن يكون حسب

الحقائق العلمية الثابتة.

ونحن نرى أن الخروج عن هذه الشروط، يعرض المفسر لخطر وخطل لا محمد عقباهما،

فمن مخالفة اللغة مثلاً، ما رأينا لبعضهم من تفسير الطير بالحجارة في قوله تعالى: **وَأَرْسَلَ**

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (البلد: 3)، وتفسير "الغشاء الأحمى" بالفحم الحجري. ومن مخالفة صحيح

المأثور ما رأيناه لبعضهم في تفسير قوله تعالى: **فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَاتَى السَّمَاءُ بَلُذَانَ مُبِينٍ**

الذئبان: 10، حيث فسروه بما يدل على نهاية الأرض. وأما تعرض التفسير العلمي لأخبار

الغيب، فكما رأينا لبعضهم من تفسير قوله تعالى: **ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ**

سِنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (السجدة: 5)، بأن هذا يقصد به ما بين نفختي الصور وأن المدة ألف سنة.

وأما التفسير حسب النظريات المتداعية الواهية فكما نراه عند بعضهم من تفسير "الخلق" حسب

نظرية دارون في التطور، كما ذهب إليه الطبيب مصطفى محمود.

وهذا الذي ذهبت إليه قرره كثير من العلماء: علماء الدين، وعلماء الطبيعة وأنقل هنا نصين اثنين، أحدهما لأحد علماء الأزهر وهو أستاذنا الشيخ محمد الصادق عرجون، والآخر الأستاذ محمد أحمد الغمراوي أستاذ الكيمياء بكلية الصيدلة سابقاً.

يقول فضيلة الأستاذ محمد الصادق عرجون: "قالبحث عن حقائق الموجودات سماوية أو أرضية، وهو في نظر القرآن، مهمة الإنسان ما دام على هذه الأرض لأنه وسيلته إلى استخلاص أكبر قسط من المنافع المادية والروحية، التي يحيا بها حياة طيبة ويعمره فيها الإيمان بجلال الخلاق العظيم. والجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم- وهو جانب مهم جداً، لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى، وتوجيهه وباهر قدرته وواسع علمه، ولطيف حكمته وسائر ما يجب له تعالى من الكمال- في حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيه، للتفسير والبيان بأسلوب علمي، يبرز عن طريق ملاحظة الظواهر الكونية، حجة الله على خلقه، ويكشف عما في الآيات من أسرار وحقائق، ناط الله بها كثيراً من منافعنا ومصالحنا في الدين والدنيا، وقد أشار إليها القرآن، وبدأ العلم يكشف عنها الحجب، ولكن على شرط أن نحذر، فلا نخضع القرآن لنظريات لا تزال في مهبط التجارب، وقد تعصف بها فتصيح من قبيل الأساطير، فنقول إنها تفسير لآيات القرآن، كما صنع ذلك بعض المتحمسين، وبعض المخدوعين بريق العلم التجريبي. والقرآن كتاب الله الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فهو لا يخضع لأسلوب حديث ولا أسلوب قديم، وإنما تفسره الحقائق والبراهين، التي يحققها البحث العلمي المستند إلى الأصول الإسلامية، وقضايا العقول المستقيمة (المصدق، القرآن العظيم، ص266، 274).

ويقول الأستاذ الغمراوي: "إن القرآن عربي، فعلى الناظر فيه أن يلتزم معاني كلماته، كما كان يفهمها العرب حين تنزل بها الوحي، وأن يلتزم قواعد العربية في الناحيتين النحوية والبلاغية كما قعدها العلماء.

والقرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فعلى الناظر فيه ألا يطابق إلا بينه وبين ما ثبت أنه حق لا شك فيه، وهذا يخرج النظريات العلمية والنفسية، وما إليها من ميدان التطبيق، اللهم إلا أن تعرض تلك النظريات على القرآن، مع الدقة في الفهم والمطابقة، فما وافقه منها كان القرآن مؤكداً لها وما خالفه منها كان القرآن شاهداً عليه بالبطلان.

والقرآن من عند الله، فستحيل أن تتناقض آياته فيما بينها، أو مع ما يثبت في العلوم الكونية أنه حق، فحقائق العلوم وبقينياتها- لا نظرياتها- هي التي تفسر بها الآيات الكونية في القرآن. وكل فهم لآيات القرآن يؤدي إلى تناقض بينها، أو بينها وبين حق ثابت في العلم هو فهم خطأ لا محالة، ينبغي أن يجتنب وإن اشتهر وسار بين الناس.

ثم بعد ذلك على الباحث عن معاني القرآن وعجائبه، أن يتبع المنطق الصارم في استنباطه وتطبيقاته، خصوصاً في المطابقة بين آياته وبين حقائق الفطرة، كما ثبت في علوم الفطرة أو العلوم الطبيعية كما يسميها الناس (مجلة الوعي الإسلامي العدد 15 سنة 1966م).



تدريب (6)

للتفسير العلمي شروط . اذكرها

3.2 نماذج من التفسير العلمي

أخي الدارس، أختي الدارسة نعرض لكم النماذج التالية من التفسير العلمي :

1.3.2 منها قوله تعالى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (النمل: 88).

هذه الآية تقرر حركة انتقالية للأرض قبل أن يعرفها العالم بقرون ويلحقها قدامى المفسرين بآيات الجبال، إذ لم يخطر ببالهم أن للأرض حركة، وينكر بعض المحدثين أن تكون الآية عن الجبال في الدنيا، وذلك صوناً للآيات القرآنية أن نقم عليها النظريات العلمية، بل أن نقم عليها الحقائق العلمية، ناسين أن الطريق الصحيح لصون القرآن عن مثل هذا ليس هو إيراد الباب دون إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، ولكن ما هو؟ النقد الدقيق لدليل ذلك الإعجاز، وأن حركة الجبال هذه لا بذاتها " لأنها في مرآى العين جامدة" ولكن بواسطة الأرض التي تحملها، أي أن الآية تثبت حركة انتقالية عن طريق إثبات حركة الجبال تشبه حركة السحاب وهي معجزة علمية قرآنية لا شك فيها (الفرابي، الإسلام في عصر العلم، ص 273-274).

وهذا الدوران يتمثل في نوعين من الحركة، حركة حول نفسها، وهي المسماة (بالحركة اليومية)، وحركة حول الشمس، وهي المسماة (بالحركة السنوية). " فالحركة اليومية هي عبارة عن دوران الأرض حول نفسها من المغرب إلى المشرق في مدة أربع وعشرين ساعة مرة واحدة، وإنّ مشاهدتنا لتحرك الشمس والكواكب حول أرضنا ما هو إلا في الظاهر فقط، وإنما هو ناشيء من حركة الأرض. ومن هذه الحركة يتولد تعاقب الليل والنهار، لأن الشمس لا تضيء إلا النصف المقابل لها من الأرض فقط فيكون عند أهل هذا النصف نهار، وعند أهل النصف الآخر ليل.

أما الحركة السنوية، وهي المسماة عند علماء الهيئة (بالحركة الانتقالية) فهي عبارة عن دوران حول الشمس من المغرب إلى المشرق أيضاً في مدة سنة كاملة، وهي عبارة عن 365 يوماً وربع يوم تقريباً.

وهذه المدة هي المعبر عنها (بالسنة الشمسية)، وتقطع الأرض في اليوم الواحد أثناء هذه الحركة السنوية ما يزيد على نصف مليون من الفراسخ.

ومن هذه الحركة يتولد تعاقب الفصول الأربعة، وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء (علي نكري، القرآن ينبع العلم والعرمان، 2، ص126). ومما يؤكد هذه الحركة للشمس قوله تعالى:

يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا... (الأعراف: 54). إنها ظاهرة زحف النهار إثر الليل حالاً

محلّه من طرف، وزحف الليل إثر النهار حالاً من الطرف الآخر، في كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها أو حول محورها أمام الشمس نتيجة لذلك الدوران إنه تتابع مستمر باستمرار هذه الحركة اليومية للأرض أمام الشمس (الكرداني، الإعجاز العلمي للقرآن، ص32).

ومن الآيات الدالة على الحركة أيضاً قوله تعالى: وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ

النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (س: 37). فكل جزء ينسلخ منه نور الشمس يكون مغرباً، وكل جزء يغطي نور الشمس ظلامه يكون مشرقاً، ولذلك تتعدد المشارق والمغارب قال تعالى:

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَلِيلٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ (المعارج: 40). والسبب في كل ذلك راجع إلى حركة الأرض اليومية حول محورها.

2.3.2 ونلاحظ علاقة الجبال الشاهقة وإنشاء السحاب ونزول الماء العذب منه، قال

تعالى: وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ شَاهِقَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (المرسلات: 27).

لقد أثبت العلم أن أهم العوامل الطبيعية لتبريد الهواء الجوي هي الرياح والجبال، وأن الجبال العالية في تعرضها للرياح الأفقية المنخفضة تجبرها على الصعود إلى أعالي الجو حيث تبرد ويتكاثف بخار الماء فيها إلى سحاب، كما أن قممها العالية التي تكون دائماً مكسوة بطبقة من الجليد تبرد السحاب الذي يمر بها وتعمل على تكثيفه وإنزال الماء منه.

وهكذا فقد فصل العلم تلك العلاقة بين الجبال الشاهقة وتبريد الرياح وإظهار السحاب وإنزال الماء، في حين أن القرآن قد اكتفى بالإشارة إلى ذلك الاقتران وللرياح دور في تلقيح السحب، قال تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ العنبر: 122.

وهذه تتضمن العديد من حقائق علم الرصد الجوي بعيداً عن فكرة تلقيح الرياح للنباتات التي نادى بها الأقدمون، والتي لا نرى الوقوف عند حدّها في عصرنا (د. محمد الغندي، القرآن بين العلم والدين، ص 16). إذ لم يرد فيها ذكر للنبات أو للأرض، أو ما يدل على قصر هذه الآية على تلقيح النباتات، فانظر إلى نور القرآن، عندما قرر العلم الحديث أن الرياح إنّما هي لواقح للسحب التي يتم بها نزول الماء من السماء .

ولم يعرف إلا في أوائل القرن الحالي أنّ الرياح تلقح السحاب بما ينزل من المطر، إذ إنّ نويات التكاثف أو النويات التي تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطة من الماء نامية داخل السحب، هي المكونات الأولى من المطر، تحملها الرياح إلى مناطق إشارة السحاب، وقوام هذه النويات أملاح البحار وما تذرره الرياح من سطح الأرض والأكاسيد والأترية ونحوها، وكلها لازمة للمطر، وهناك معنى آخر في الآية وهو أن الرياح تسوق السحاب إيجابية التكهرب وتلقي بها في أحضان السحب سالبة التكهرب فيحدث البرق والرعد والمطر، وهي بهذا المعنى لواقح أيضاً.

وقد جاءت آيات أخرى تؤكد هذا التلازم بين السحب والمطر والرياح،

- منها قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ العنبر: 157.

- ومنها قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ الروم: 148.

- ومنها قوله تعالى: وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْفِنُهُ إِلَىٰ يَدِ يَمِينِ

فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ لَطَم: 19.

- ومنها قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (الفرقان: 48).

- ومنها قوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ

وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ (الروم: 46).

وهكذا نرى أن الأصل في تلقيح السحاب وإثارته وحمله من مكان لآخر ونزول المطر

منه هو إرسال الرياح، وهذه حقيقة علمية لا جدال فيها.

3.3.2 وقال تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (المرسلات: 20-21).

" إن قصة القرار المكين شيقة وممتعة لا يملك من بطالها إلا أن يسبح الخالق العظيم،

وهو يرى تعاضد الآيات المختلفة: التشريحية والهرمونية، والميكانيكية، وتبادلها في كل

مرحلة من مراحل تطور الجنين لتجعل من الرحم دائماً قراراً مكيناً.

فتشريحيًا: تقع الرحم في الحوض بين المثانة من الأمام والمستقيم من الخلف،

ويتألف من ثلاثة أقسام تشريحية هي: الجسم، والعنق، والمنطقة الواصلة بينهما وتسمى

المضيق، ويحيط بالرحم جدار عظمي قوي جداً يسمى الحوض، وهناك أربطة للرحم تمتد من

أجزاء الرحم المختلفة لترتبط بعظام الحوض أو جدار البطن تسمى الأربطة الرحمية، تقوم

بحمل الرحم، وتحافظ على وضعيته الخاصة الملائمة للحمل والوضع.

وأما هرمونياً: فيكون الجنين في حماية من تقلصات الرحم القوية التي يمكن أن

تؤدي لموته أو لفظه خارجاً، وذلك لارتفاع عتبة التقلص لألياف العضلة الرحمية بسبب

ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون الذي هو أحد أعضاء لجنة التوازن الهرموني في أثناء

الحمل.

وأما ميكانيكياً: فبعد الشهر الثالث يبدأ الرحم بالارتفاع بشكل واضح إلى البطن، وفي هذه الحالة يصبح خارج الحماية العظمية المحيطة، فمن يحمي الجنين عندها من الصدمات الخارجية، إنَّ العناية الإلهية فاقت كلَّ تصور، فمن الأشهر الأولى للحمل يكون هناك ما يسمى بالسائل الامينوسي الذي يفرزه الغشاء الامينوسي، هذا السائل يحيط بالجنين من كل الجهات، وتزداد كميته بشكل واضح حتى تصبح حوالي (1000 سم³) في الشهر السادس، ثم تميل إلى النقصان تدريجياً في نهاية الحمل، وهذا السائل يقوم إضافة لوظائفه الكثيرة بوظيفة هامة، هي حماية الجنين من الصدمات الخارجية.

حيث يمتص قوة الصدمات بتوزيعها على سطح أوسع، كما يشارك في الحماية جدار البطن والأغشية الثلاثة وجدار الرحم ذاته، إضافةً إلى أن الجنين بعد الشهر الثالث يكون قد تجاوز المرحلة الدقيقة والخطرة، ويصبح أكثر تحملاً للطوارئ والرضوض، بل كثيراً ما يباشر هو بعض المناورات من الداخل بحركاته الفاعلة التي تثبت وجوده ومهارته (ذهب مع الطب في القرآن الكريم، ص 188).

4.3.2 خلق الإنسان

قال تعالى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل: 178).

يقول المفسرون القدامى، إنه قدم السمع على البصر، وأفرد السمع لأفضليته، ولأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع فإذا جاءت حقائق العلم تثبت أن حاسة السمع يمنحها الله للطفل قبل حاسة الإبصار، وأن السمع إنما يدرك به شيء واحد، وهو الأصوات بينما يدرك بالبصر أكثر من شيء كالألوان والأشكال، وكان هذا لا يتعارض مع مفهوم الآية ومنطوقها، ولا يعارض أثراً عن الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، فما المانع-إذن- أن يكون هذا تفسيراً علمياً للآية فيكون إعجازاً قرآنياً خالداً.

5.3.2 أطوار خلق الإنسان

قوله تعالى: وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ

عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ

المؤمنين: 14] انظروا إلى دقة التعبير القرآني حيث عبر عن الرحم بالقرار مكين، والقرار بهذه الصفة عرف تماماً وصفه في عصر العلم.

جاء في كتاب "بين الطب والإسلام ص 26" للدكتور حامد الغواي قوله عن القرار المكين "هو رحم المرأة، وحقاً إنه لقرار مكين، إذ تربطه ألياف قوية في موضعه وتثبته أربطة متينة في جوسقه (بيته الصغير) ويحملة حوض من عظام متينة. ففوقه الحجبتان (العظمتان فوق العانة) وعلى جانبيه الحرقفتان (العظم الجانبي في الحوض) وعظام العجز (أسفل العمود الفقري) والعصص (أسفل العجز) من خلف له سنادات، ثم أنه ليغطي من أعلى بالثانة ومن أسفل بالمستقيم. ثم يقارن بين هذه الآية ومثيلاتها في سورة الحج فيقول:

"وقد يسأل سائل: لماذا قال الله تعالى في الآية الكريمة السابقة { فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

مُضْغَةً } وقال في آية الحج: يَبْأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ آية: 5] حيث ذكرت الفاء في الآية الأولى، فخلقنا العلقة مضغة، وذكرت (ثم) في هذه الآية الكريمة؟ "ثم من علقه ثم من مضغة؟ فنجيب بأن الله سبحانه هنا يبين أدوار النشأة بتسلسل متبوع من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة" ليبين الأطوار التي يمر بها الإنسان، فالنطفة تمر بأطوار والعلقه لا تبلغ المضغة إلا بعد أن تنقسم في أدوار، أما في الآية السابقة، فقد أرانا الله نصيب كل دور ووقت كل طور فجاء بالعطف بالفاء ليبين قصر الدور وبالعطف بـ"ثم" ليبين التعقيب من التراخي، أي طول هذا الطور" (الغواي، بين الطب والإسلام ص 28).

6.3.2 قال تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ [الزمر: 16].

والمفسرون القدامى يعدون هذه الظلمات الثلاث ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة، ويأتي علم التشريح الحديث ليثبت لنا بما لا يقبل الريبة أن هذه الظلمات إنما هي أغشية ثلاثة، تحيط بالطفل غشاء فوق غشاء، وهذه الأغشية لا تظهر بالعين المجردة، وهي: المنباري، الخريوتي، اللفانفي، أو كما يقول توماس إيدن هي الكوربون وهو الغشاء الخارجى، يليه الميزودورم فالامنيوس .

ويقول الدكتور محمد علي البار: " قال بعض المفسرين رحمهم الله: إن الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، والمعنى صحيح في ذاته، فلجدار البطن ظلمة جدار الرحم، ثم تليها ظلمة الأغشية المحيطة بالجنين، ومع هذا فالآية قد حددت أن الظلمات الثلاث هي في مكان الخلق من بطون الأمهات وذلك لا يكون إلا في الرحم ذاته، وإذا دققنا النظر في الأغشية المحيطة بالجنين وجدناها ثلاثة هي: غشاء السلى أو الأمينون، ويحيط بالجنين مباشرة من كل جوانبه وفي مائه يتحرك الجنين، ثم يليه غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي)، ثم يليه الغشاء الساقط وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة أو الإجهاض، وسمي بالساقط لأن الرحم يسقطه مع الأغشية (البار، خلق الإنسان بين الطب والإسلام، ص 201، 202).

7.3.2 ويقول تعالى: **وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا فُكْلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** ^{لم: 25} ولله أن يخلق ما يشاء، ولكم تساءلت في نفسي: لم خصت النخلة يا ترى دون التين مثلاً، مع أن تلك البلاد وهي فلسطين يكثر فيها التين؟ ولله أن يخلق ما يشاء. كما قلت:

لقد أثبت العلم أخيراً أن للبلح تأثيراً على خفض ضغط الدم عند الحوامل، وبذلك تقل كمية الدم النازلة منها، وهو يحتوي على نسب عالية من السكاكر البسيطة السهلة الهضم والامتصاص، والسكاكر هو الغذاء المفضل للعضلات وعضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم، وتقوم بعمل جبار أثناء الولادة التي تتطلب سكاكر بسيطة بكميات جيدة، ونوعية خاصة سهلة الهضم والامتصاص كذلك التي في الرطب.

وأثبت العلم أن ثمرالنخيل الناضج يحتوي على مادة مقبضة للرحم تقوي عمل عضلات الرحم في الأشهر الأخيرة من الحمل وتساعد على الولادة (ذهاب، مع الطب في القرآن، ص 28/ الجسيلي، الإعجاز الطبي في القرآن، ص 191).

وقد قدم الدكتور عبد العزيز شرف رئيس المركز القومي للبحوث الأسبق في مصر بحثاً عن البلح، أثبت فيه أن البلح يقوي انقباض عضلات الرحم وخصوصاً في الشهور الأخيرة من الحمل، ويقول الدكتور شرف إنه استرشد في بحثه هذا بالآية القرآنية **وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ**

8.3.2 يقول الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ

ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَلُوقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ^[النجد:43] وقد سبقت في الوحدة

الأولى ونعيدها هنا للفائدة.

يقول الأستاذ رشيد رشدي العابري رحمه الله: "لحصول المطر عوامل ثلاثة لا غيرها، إذا توافرت لا بد من نزول المطر وإن نقص عامل واحد منها فلا إمكان لحصوله، وتلك العوامل هي:

أولاً: التبخر حتى يؤدي إلى تكوين سحاب.

ثانياً: وصول الهواء إلى درجة الإشباع بكمية البخار.

ثالثاً: التكاثف. وهذا الترتيب على التعاقب لا مفر منه لتكوين المطر.... ولكن الآية قد

جاءت بوصف موجز مدهش للألباب، إذ عبرت بكلمة "يزجي سحاباً" عن عملية التبخر،

ثم عبرت عن تشبع الهواء ببخار الماء بقولها على سبيل التعاقب "ثم يؤلف بينه"، إذ أن

درجة الإشباع كما ذكرناها آنفاً، تتوقف على تساوي تبادل الجزئيات بين الماء والهواء.

وما هذه الظاهرة إلا التآلف بين تلك الجزئيات. ومن ناحية أخرى أنه لا يحصل التشبع

إلا بالتعادل والتآلف، بين ضغطي بخار الماء وبخار الهواء. أو الاتحاد بين نوعي

الكهربائية واتئلافها كما سبق بيانه. وعلى ذلك فإن أصدق وأصح وأبلغ تعبير لهذه

الظواهر، هو التأليف الذي وصفه العلم بالتشبع وليس لها تفسير آخر.

ثم جاءت بقولها (ثم يجعله ركاماً) على سبيل التعاقب أيضاً فأبلغ تعبيراً للتكاثف هو

الركام. ولا نفسر كلمة "الركام" بغير التكاثف. فجاء في معجمات اللغة في تفسير كلمة الركام

بأنه (سحاب كثيف) ويقصد بالسحاب الكثيف البخار، والذي قد تشبع الهواء منه فتكاثف.

ثم تقول الآية.... "فترى الودق" - أي المطر "يخرج من خلاله". فعندما بينت الآية العوامل

الثلاثة لحصول المطر، فصلت بينها بكلمة "ثم" للترتيب والتراخي "لأن كلا من عوامل التبخر

والتشبع والتكاثف التي ذكرناها آنفاً، يستغرق وقتاً مهماً كان ضئيلاً. وبعدها بكلمة "فترى

الودق" بحرف الغاء السببية والتعقيبية. أي أنها تقول بعدما تتوافر العوامل الثلاثة فلا بد أن

يحصل المطر فوراً. فهذا الترتيب الطبيعي الثلاثي لحصول المطر، لم يحققه العلم، ولم يطلع

عليه العلماء على الوجه العلمي الآنف الذكر إلا من مدة قصيرة ولكن القرآن عرفه، قبل ما

ينوف على ثلاثة عشر قرناً (العابري، بصائر جغرافية ص 211).

9.3.2 وهذه جوهرة أخرى من جواهر الإعجاز القرآني، صافية في مزنها، متلافة في بريقها متصلة بما قبلها كذلك، ننقلها من كتاب قيم لعالم مؤمن. أما الكتاب فهو سنن الله الكونية - وهي مذكرات أملاها المؤلف على طلبة أصول الدين وجمعها الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني في كتاب سماه الإسلام في عصر العلم- وأما الكاتب فهو الأستاذ الغمراوي الذي مر ذكره من قبل. وأما الجوهرة فهي قول الله

تعالى: **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْعُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ**

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (الروامة: 68-70) حيث يقول الأستاذ: "وتستطيع-

بعد أن عرفت العوامل المتعددة التي لا بد من تعارضها على تكوين المطر- أن تدرك

شيئاً من سر الحجة في هذا السؤال العجيب (**ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْعُزْنِ أَمْ نَحْنُ**

الْمُنزِلُونَ)؟ لكن الإشارة التي أردنا أن نلفت النظر إليها هي قوله تعالى { **لَوْ**

نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } والناس طبعاً يسلمون بالقدرة الإلهية على

قلب العذب أجاجاً. ويظنون أن هذا يكون عن طريق الخوارق، ولا يتساءلون-

هل في سنن الله ما يسمح بهذا؟

ولو تساءلوا وتطلبوا الجواب في العلم، لوجدوه قريباً، ولعرفوا أن عذوية الماء الذي

يسقيه الله إياه من السحاب هي بحض رحمة الله، إن الماء طبعاً عذب بطبيعته. وماء المطر

معروف أنه أعذب المياه، ولكن طبيعة تكوينه من السحاب، تعرضه لأن ينقلب أجاجاً لا ينتفع

منه الإنسان.

إن الهواء كما تعرف أربعة أخماسه آزوت، والآزوت كما تعرف أيضاً لا يكاد يتحد في

العادة بشيء. لكن الكيماويين وجدوا أنهم يستطيعون بالكهربائية، أن يحولوا الآزوت غير

الفعال إلى آزوت فعال، يتحد بأشياء كثيرة في درجة الحرارة العادية، كما وجدوا أنهم

يستطيعون أن يحملوا الآزوت على الأتحاد بالأوكسجين، بامرار الشرر الكهربائي، في مخلوط

منهما، ومن هذا الاتحاد ينشأ بعض أكاسيد الآزوت، قابل للذوبان في الماء. وإذا ذاب فيه اتحد

به، وكون حامضين آزوتيين، أحدهما حامض الآزوتيك، أو ماء النار، كما كان يسميه القدماء.

والإيه بصير الحامض الثاني، وقليل من حامض الآزوتيك في الماء كاف لافساد طعمه.

أظنك الآن قد بدأت تدرك الطريق، الذي يمكن أن ينقلب به ماء مطهر ماءً أجاجاً، من غير خرق لأي سنة من سنن الله، فهو نفس الطريق الكهربائي الذي يتكون منه المطر. وكل الذي يلزم-أن يتعدل التفريغ الكهربائي، ويتكرر في الهواء، وما يتكون به من الأكاسيد الآزوتية، يدوب في ماء السحاب، ويحواله حامضياً لا يسيغه أحد.

وهذا هو موضع المن من الله تعالى على الناس، أنه يكيف التفريغ بالصورة التي ينزل بها المطر ولا يُوجِّج بها الماء (الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص 408).

هذا هو الإعجاز العلمي في الآية كما أبانت عنه، بعبارة موجزة وكما وضحه الأستاذ الغمراوي ويقيني أنه قد وفق وأجاد، وهذا يؤيد ما حدثناكم عنه من قبل من الإعجاز البياني في الآية، وهو خلوها من اللام، على حين جاءت اللام في الآية السابقة "لنشاء لجملائها حطاماً".

10.3.2 قوله تعالى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ كَيْفَ خُلِقَتْ (الناسية: 117).

يقول عبد الرزاق نوفل: "هل رأيت الآيات المبينات التي تظهر واضحة في الجمل؟ ذلك الحيوان الذي يعيش في الصحراء حيث لا يتوافر الماء والغذاء؟ وهل يمكن للإنسان مثلاً وهو الذي يخضع الحيوانات جميعها لخدمته أن يأكل فيكتنز؟ وهل رأيت تلك الأهداب الطويلة التي حول عينيه والتي هي أشبه بشبكة تحمي عينيه من ذرات الرمال إذا هبت عاصفة رملية في أثناء سيره في الصحراء، وفي الوقت نفسه يستطيع الإبصار من خلال هذه الشبكة، وبذلك لا يضطر إلى أقفال عينيه كما نفعل لوقاية أعيننا من التراب.

وهل رأيت أنفه الذي أعد لكي يساعده على الحياة في الصحراء؟ فهو يتحكم في فتحه في أثناء العواصف ليمنع دخول الرمل فيه. وهل رأيت شفة الجمل العليا؟ وهل عرفت لماذا تكون مشقوقة؟ يقول العلم إن ذلك قد هيء له ليساعده على أكل نباتات الصحراء التي غالباً ما تكون أشواكاً، ذلك علاوة على أرجله ذات الخف الذي يناسب الرمل فلا تغوص فيه بخلاف ما لو كانت ذات ظلفٍ أو حافر (نوفل، الله والعلم الحديث، ص 92-93)، نكتفي بهذه النماذج، والله المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



نشاط (4)

هات خمسة نماذج أخرى غير ما ذكرنا للتفسير العلمي.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

- س1 أ - ما رأي الأستاذ محمود شاكر في الإعجاز العلمي، مناقشاً له فيما ذهب إليه.
ب- يرى الشاطبي أن الأمة التي نزل فيها القرآن أمية ولذلك لا بد أن تكون الشريعة أمية. ناقش هذا القول.
- س2 أ- يرى الغمراوي أنه لا بد من التنبيه إلى قضيتين مهمتين عند تفسير القرآن تفسيراً علمياً ما هما؟
ب- للتفسير العلمي شروط ينبغي أن تتوافر لمن يريد تفسير القرآن حسب العلوم أذكرها.
ج- هات مثالين من كتاب الله توضح فيهما بعض الأمور العلمية.

3. الإعجاز التشريعي

1.3 توطئة

أنزل الله تعالى كتابه على نبيه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وليهديهم صراطاً مستقيماً، وهداية القرآن هي أعظم الهدايات وهي تظهر في قيم القرآن الخلقية وقواعده التربوية ونظمه التشريعية، وقد عرفت أخي الدارس، أختي الدارسة أن بيان القرآن وتشريعاته لا ينفصل بعضها عن بعض.

وقد اقتضت مشيئة الله وحكمته أن ينزل القرآن الكريم، وقد مر على القانون الروماني، الذي كان مرجع البلاد المتمدنة وقد بلغ من الإصلاح والتهديب مبلغاً كبيراً، فكان نتيجة إصلاحات كبار الفلاسفة ورجال العلم والقانون والاجتماع مدة ثلاثة عشر قرناً، ابتداءً من سنة سبعمائة وأربعة وأربعين قبل الميلاد إلى سنة خمسمائة وثلاث وثلاثين ميلادية في عهد (جوستنيان)، فكان القرآن كذلك معجزة تشريعية يتحدى القوانين والمقننين، والفلاسفة والفلاسفة، كما تحدى اللغويين.

2.3 كيف نفهم الإعجاز التشريعي للقرآن

قلنا من قبل أن المتحدث عن الإعجاز التشريعي جدير به أن يقف أولاً مع تشريعات القرآن الكريم في شتى مناحي الحياة ومختلف جهاتها، وقد يجد نفسه مضطراً إلى الإلمام بما جاء في السنة المطهرة من تشريعات، فإن القرآن الكريم كثيراً ما تذكر فيه الأحكام مجملة،

فتأتي السنة لتشرح هذه القواعد وتفصل ذلك الإجمال، فالسنة-إذن- ليست أجنبية عن القرآن، بل هي شارحة مبينة.

وجديره ثانياً أن يدرس ما وصل إليه العقل البشري من قوانين وأنظمة في مناحي الحياة المختلفة، وجوانبها المتعددة .

وجدير به ثالثاً أن يعقد موازنات منصفة بين التشريعات القرآنية، التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- النبي الأمي في بلد لم تكن فيه معاهد ومدارس وفي أمة لم تنعم بما نعمت به الأمم الكثيرة من أنواع المعارف.

وسيجد أي باحث منصف، البون الشاسع بين تشريعات القرآن الكريم من حيث سموها وشمولها، وما فيها من نظرة إنسانية، وخلو من السلبيات والثغرات والمآخذ، أقول سيجد فرقاً بين تشريعات القرآن الكريم وبين غيره من القوانين التي بُدلت في تنقيحها طاقات، وعملت أفكار وعقول. ولسنا نحيف على هذه القوانين، فنجردها من كل خير، ولكننا-ونحن لا نبخس الناس أشياءهم- سنجدها غير بالغة من حيث مقرراتها ومضامينها ما بلغه كتاب الله، لا وهي قريبة منه في كثير من الشؤون والأحكام. ولا نتعجل الحكم، وسندعك أيها القارئ العزيز تستنتج بفكرك، وتخلص بفطرتك إلى سمو التشريعات القرآنية، لتدرك أن شريعة القرآن برهان صدقٍ ودليل حق على أنه من عند الله.



نشاط (5)

كيف يمكننا فهم الإعجاز التشريعي؟

3.3 موازنة بين التشريع السماوي والتشريعات الوضعية

وإذا أردنا أن نوازن بين التشريع السماوي والتشريع الوضعي موازنة دقيقة انكشفت لنا فروق أخرى على درجة من الأهمية.

فالقانون الوضعي تنظيم بشري من صنع الناس لا ينبغي مقارنته بالتشريع السماوي الذي جاء من عند الله، وذلك للفرق بين الخالق والمخلوق، ولن يستوي لدى العقول أن يقارن ما صنعه الناس بما صنعه رب الناس.

والذين يضعون القانون بشر يخضعون للأهواء والنزعات وتغلب عليهم العواطف البشرية، فيقعون تحت تأثير هذه العوامل التي تحيد بهم عن تقدير الحق، والقيام على شؤون الحياة بالقسط، ومهما ارتقى الناس في سلم المعرفة فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا حقائق

الأمر، وأن يحيطوا بها خبراً، وبهذا تكون القوانين الوضعية عرضة للتغيير والتبديل، ولا يكون لها مقياس ثابت محكم فما هو حلال اليوم قد يصير حراماً غداً، وبذلك تختلف موازين الحياة ومقاييس الخير والشر، وتتلون بتلون الإنسان وتحول ميوله وعواطفه فتظل الحياة الإنسانية في اضطراب دائم، كما نشاهد اليوم في حياة الأمم التي تحكم بغير ما أنزل الله.

والشريعة وحي إلهي منزّه عن ذلك كله، فهي تنزيل الحكيم العليم الذي يعلم أحوال عباده، وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم: **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** وهو سبحانه منزّه عما يعترى الخلق من قصور ونقص: **لَا**

يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى وقد بينت الشريعة الإسلامية الأصول الكلية التي تقوم عليها حياة البشر، ولا سبيل إلى الأخذ فيها بالرأي المجرد عن الدليل، والنبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته لا يتبع إلا الوحي **إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**، ولا يكون حكمه إلا بما علم عن الله

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وانتزاع التشريع من أيدي البشر ورده إلى الله ورسوله يضع لنا شريعة ربانية ثابتة المقاييس لا يعترىها خلل أو قصور. والقانون الوضعي نظام محدود القواعد يلبي حاجة الجماعة لتنظيم حياتها الحاضرة ويتطور بتطورها، نشأ باديء ذي بدء في نظام الأسرة، ثم في نظام القبيلة، ولم يتحول إلى قوانين علمية إلا في القرن التاسع عشر والتشريع السماري يولد متكاملأً وافياً بمطالب الحياة، محكم النسيج صافي المورد.

وقواعد القانون الوضعي مؤقتة لجماعة خاصة في عصر معين، فهي في حاجة إلى التغيير كلما تطورت الجماعة وتجددت مطالبها.

وقواعد الشريعة الإسلامية بصفة خاصة لم تأت لقوم دون قوم، أو لعصر دون عصر، ولكنها قواعد كلية ثابتة مستقرة، تسد حاجة الجماعة، وترفع مستواها في كل عصر، وقد مر على الشريعة الإسلامية زهاء خمسة عشر قرناً من الزمان تغيرت فيها أوضاع الجماعات واندثرت فيها مئات القوانين والأنظمة، وانقلبت مبادئها رأساً على عقب، ولا تزال تلك الشريعة غضة صالحة لكل زمان ومكان، تحمل نصوصها عناصر النمو والارتقاء.

والقانون الوضعي لا يتناول سوى المعاملات المدنية في الشؤون الاجتماعية والإقتصادية التي تقوم عليها سلطة الدولة.

والشريعة الإسلامية تتناول الإيمان بالله ورسوله وعالم الغيب وصلة العبد بربه، وسلوكه الأخلاقي وأنظمة الحياة المختلفة في شتى مرافقها.

والقوانين الوضعية تهمل المسائل الأخلاقية، وتقتصر المخالفة على ما فيه ضرر مباشر للأفراد أو إخلال بالأمن والنظام العام، فلا تعاقب القوانين الوضعية مثلاً على الزنى إلا إذا أكره أحد الطرفين الآخر، أو كان الزنى بغير رضاه رضاه تاماً، لأن الزنى في هاتين الحالتين يمس ضرره المباشر الأفراد، كما يمس الأمن العام، وأكثر القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر، ولا تعاقب على السُّكْر لذاته، وإنما تعاقب السكران أحياناً إذا وجد في الطريق العام في حالة سكر بين، فالعقاب على وجوده في حالة سكر في الطريق العام لأن وجوده في هذه الحال يعرض الناس لأذاه واعتدائه، وليس العقاب على السُّكْر لذاته باعتباره رذيلة، ولا على شرب الخمر باعتبار أن شربها مضر بالصحة، مذهب للعقل، متلف للمال، مفسد للأخلاق.

والشريعة الإسلامية شريعة أخلاقية، وليست الأخلاق في الإسلام أدباً يجمل صاحبه، ولكنها التزامات من واجبات الدين، والأخلاق في الإسلام غاية تربية للعبادات، والتزام أدبي في المعاملات، يجعل حياة الناس قائمة على المعروف والحسنى، وقد حث الإسلام على أمهات الفضائل الإنسانية، ودعا إلى المثل العليا، وأثنى على مكارم الأخلاق. وقال الله في نبيه - صلى الله عليه وسلم -: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**.

تفقد القوانين الوضعية سلطتها على النفس البشرية لأن سلطة العقوبة وحدها لا تكفي في ردع المجرم، ولذا فإن واضعي القانون يعملون على ترضية الجماهير، وامتناعها بصلاحيه النظم التي وضعوها حتى يمتثلوها، ولكن الناس يدركون أنه لا سلطة للقوانين الوضعية إلا إذا وقع المرء تحت طائلة المخالفة وضبط متلبساً بجريمته إذ لا علاقة لها بالحياة الآخرة، فيكون المجال فسيحاً للخروج عن القانون بوسائل الحيلة والدهاء، فلا يقف أمام وصول الناس إلى أغراضهم السيئة من فساد في الأرض قانون مهما كان دقيقاً.

والشريعة الإسلامية تنبثق من فكرة الحلال والحرام، والإيمان بالدار الآخرة، وتربي الضمير الإنساني ليكون رقيباً على المسلم في السر والعلن، يخشى عقاب الله الآخروي أكثر من خشيته للعقاب الدنيوي، فالفعل التعبدي أو المدني أو الجنائي أو الدستوري أو الدولي له أثر المترتب عليه في الدنيا من أداء الواجب، أو إفادة الحل والملك أو إنشاء الحق أو زواله، أو توقيع العقوبة، أو ترتيب المسئولية ولكن هذا الفعل الذي يترتب عليه أثره في الدنيا له أثر آخر مترتب عليه في الآخرة، هو المثوبة أو العقوبة الآخروية، والذي يتتبع آيات الأحكام يجد كثيراً منها رتب عليه جزاءان: جزاء دنيوي وجزاء آخروي.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: ومن أجل أن نتبين قيمة ذلك الشرع في ذاته، ونظر الناس بجدر بنا أن نرجع إلى الماضي السحيق ونتطلع إلى المستقبل البعيد.

أما الماضي فنجد أن الشرع الذي اقترن بظهور محمد الرسول الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هو قانون الرومان، فقد كان الشرع المسيطر في التطبيقات العملية والقضائية في الشام ومصر وغيرها من البلدان التي تعاقبت فيها الحكومات في البلاد العربية، ومحيط بها من الغرب والشمال، ويقول علماء القانون اليوم إنه من أكمل الشرائع التي تفتق عنها العقل البشري، وما زال يعد أصلاً لكثير من الشرائع القائمة التي تفرعت وقامت على دعائمه.

وإن من يريد أن يعرف منزلة الشريعة الإسلامية، وأنها في درجة فوق مستوى العقل البشري فليوازن بينها وبين ذلك القانون الروماني، لأن قانون الرومان قد استوى على سوقه، وبلغ نهاية كماله في عهد جوستينيان سنة 533 بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وهو في هذا الوقت كان صفوة القوانين السابقة، وفيه علاج لعيوبها، وسر لخللها من يوم أن أنشئت روما سنة 744 قبل الميلاد إلى سنة 533 بعده، أي أنه ثمرة تجارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرناً ظهرت منها الفلسفة اليونانية، وبلغت أوجها، وقد استعانوا في تلك التجارب القانونية بقوانين (سولون) لأثينا، وقوانين (ليكورغ) لإسبارطة، والنظم اليونانية عامة، والمناهج النظامية والفلسفية التي فكر فيها الفلاسفة اليونان لبيان أمثل النظم التي يقوم عليها المجتمع الفاضل، كالذي جاء في كتاب القانون وكتاب الجمهورية لأفلاطون وكتاب السياسة لأرسطو وغيرها من ثمرات عقول الفلاسفة، والعلماء في عهد اليونان والرومان.

وإن شئت فقل إن القانون الروماني هو خلاصة ما وصل إليه العقل البشري في مدى ثلاثة عشر قرناً في تنظيم الحقوق والواجبات، فإذا وازنا بينه وبين ما جاء على لسان محمد النبي الأُمي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأنتجت الموازنة أن العدل فيما قاله محمد صلى الله عليه وسلم، وما استنبط الفقهاء من بعده، يكون من الحق علينا أن نقول إن أساس شريعة الإسلام ليس من صنع بشر، بل من صنع العليم الحكيم اللطيف الخبير سبحانه (شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، مجلة "المسلمون" العدد الأول/السنة الأولى ص32).

«إن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة، لم يسبق به في شريعة من الشرائع الأرضية، وإذا وازنا بين ما جاء في القرآن، وبين ما جاءت به قوانين اليونان والرومان وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنظم بما جاء في القرآن وجدنا أن الموازنة فيها خروج عن التقدير المنطقي للأمور.... فجاء محمد-صلى الله عليه وسلم- ومعه القرآن الذي ينطق بالحق من

عند الله سبحانه وتعالى من غير درس درسه، وكان في بلد أمي ليس فيه معهد ولا جامعة ولا مكان للتدريس، وأتى بنظام للعلاقات الإجتماعية والتنظيم الإنساني، لم يسبقه سابق ولم يلحق به لاحق» (أبرزه، المعجزة الكبرى، ص38).

ذلكم أن أول ما نلاحظه ونلمحه في التشريعات البشرية، أنها تشريعات محددة يلائم كل منها البيئة التي وضع فيها، والمجتمع الذي وضع له مع كثير من الثغرات والسلبيات، ولكن القرآن الكريم أراه الله للناس جميعاً، وصدق الله قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۗ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۗ (الأنعام:19).

«إن تعاليم القرآن موجهة للعالم بأسره، فهي للناس في شتى أرجاء العالم كافة بغض النظر عن أصلهم، أنزلت إليهم لتدخل السرور والبهجة إلى قلوبهم وتطهر نفوسهم وتهذب أخلاقهم، وتوجه مجتمعهم وتستبدل سطوة القوي بالعدل والأخوة، وقد أكد الله عز وجل أن في القرآن حلاً لجميع قضايا البشر وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (النحل:189).

يعالج القرآن - قبل كل شيء - الحق الأسمى والفضيلة، وكل ما تبقى من محتوياته ونصوصه - كمعرفة الروح وعلوم طبيعة السماوات والأرض والتاريخ، والنبوة، والنذر، وما شابه ذلك - ليست سوى رسائل لتقوية القرآن وإعطائها وزناً أكبر واقناعاً أشد. لقد أشار الغزالي - الفيلسوف الديني الكبير المتوفى عام 505 هـ في كتابه (جواهر القرآن) إلى أن 763 آية تبحث في المعرفة (741) آية في الهداية للفضيلة، وهذه الألف وخمسمائة وأربع آيات تمثل - في نظره - أثنى ما في الكتاب، وما تبقى بمثابة المظروف أو الصدفة التي تغلف تلك الجواهر (أي التعاليم) (دراز، دراسات إسلامية ص18).

« ولهذا السبب فالقرآن له أعلى حظوة لدى المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات أو أدعية نبوية، أو غذاء للروح، أو تسابيح روحانية فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم، ومرآة الأجيال، إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل» (دراز، دراسات إسلامية، ص31).



تدوين (7)

وازن بين التشريعات القرآنية والتشريعات الوضعية.

4.3 جوانب التشريعات القرآنية

أخي الدارس، أختي الدارسة التشريعات القرآنية متعددة الجوانب- كما قلنا من قبل-
منها:-

ما أصطلح على تسميته بالعبادات وهي الطهارة والصلاة والزكاة والحج.

ومنها المعاملات: كالبيع، والإجارة، وهي ما تعرف بالقانون المدني.

ومنها الأحوال الشخصية، ومنها التشريعات التي تتصل بالعقوبات وهي ما تعرف

بالقانون الجنائي، ومنا ما يعرف بالسير وهي التي تسمى في لغة القانون العلاقات الدولية... إلى غير ذلك من تشريعات.

ولقد كان للقرآن الكريم السبق في تلك التشريعات، والمتأمل في أي جانب من هذه

الجوانب وهو يقارن ويوازن بينها وبين شبيهاها من القوانين، فسيذكر دون صعوبة أحقية التشريعات القرآنية، وجدارتها بتبوء المكانة العليا... وخذ أي قاعدة من القواعد

التشريعية، وأي باب من أبواب الفقه القرآني، لتجد مصداقية اسبقية القرآن وسمو تشريعاته، ولن نستطيع أن نقف بك على كل ما جاء في هذا الكتاب العزيز، إنما سنختار ثلاثة نماذج من هذه التشريعات.

1.4.3 نظام الإرث في الإسلام

إن نظام الإرث في شريعة الله يعد-بحق- من الإعجاز التشريعي لهذا الكتاب الكريم،

وإن أدنى وقفة متأملة متأنية تقارن فيها بين ما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى، وبين الأنظمة في الأمم الأخرى تطلعنا على سمو التشريعات الإسلامية.

وحتى نتبين ذلك نعرض لقواعد الميراث لدى الأمم الأخرى.

الميراث في الجاهلية :

أسباب الميراث في الجاهلية اثنان: القرابة أولاً، والحلف والمعاقدة ثانياً، وليس النكاح

سبباً من أسبابه عندهم، فليس للمرأة في مال زوجها حق.

أما القرابة فإنهم كانوا يورثون الأبناء دون البنات، والكبار دون الصغار فإذا ترك الميت

أولاداً وإناثاً، فإن الذي يرثه ابنه الأكبر، وليس لغيره من إخوته وأخواته نصيب، حتى لو

كان هذا الابن بالتبني.

أما السبب الثاني للتوريث عند العرب في جاهليتهم وهو الحلف، فكان أحدهم إذا

تحالف أو تعاقد مع آخر، فإنه يرث كل منهم الآخر بعد موته، وإن كان في ذلك حرمان لأولاد كل منهما.

نظام التوريث عند اليهود:

يتلخص نظام الإرث عند اليهود في القواعد التالية :

- 1- أسباب الميراث أربعة: وهي البنوة والأبوة، والأخوة والعمومة، ومن هنا نرى أن الزوجة ليست من الأسباب وإن الزوج يرث زوجته، على حين أنها لا ترثه إذا توفي قبلها.
- 2- إذا توفي الابن ميراثه لأبنائه وحدهم دون شريك، ويكون للولد البكري مثل حظ اثنين من إخوته الأصغر سناً منه «فهو مميز عنهم بعلة البكورة» ولكن إن إتفق مع إخوته على اقتسام الميراث بالسوية صح الاتفاق.
- 3- وإذا ترك الأب المتوفى أولاداً بنين وبنات كانت التركة من حق البنين وحدهم، ولكن يكون للبنات حق النفقة على التركة حتى تتزوج الواحدة منهن أو تبلغ سن البلوغ، كما يكون للبنات أيضاً على إختها الذكور قيمة مهرها من التركة بقدر ما كان يظن أن يعطيها أبوها.
- 4- الأم لا ترث في ابنها ولا في بنتها، وإن ماتت هي يكون ميراثها لابنها إن كان لها ابن، وإلا كان الميراث لابنتها، فإن لم يكن لها ولد، ولا بنت فميراثها يكون لأبيها إن كان، وإلا فلأبي أبيها إن كان موجوداً، وإلا لجد أبيها.
- 5- إذا توفي الابن وليس له ابن ولا بنت، كان الميراث لأبيه، إن كان موجوداً وإلا لإخوته-أي أخوة المتوفى- الذكور، وإلا لإخوته الإناث .
- 6- للرجل حق فيما تكتسبه زوجته من كدها، وفيما مجده لقيه، وفي ثمره مالها، إذا توفيت ورثها، وإن كل ما تملكه الزوجه يؤول بوفاتها ميراثاً شرعياً إلى زوجها وحده لا يشاركه فيه أقاربها ولا أولادها سواء كانوا منه أم من رجلاً آخر.
- 7- أما الزوجه فلا ميراث لها من تركة زوجها إذا توفي قبلها، حتى إذا اشترطت أن ترثه وكان له ورثة بطل الشرط، ولو حصل قبل الزواج، ولكن للزوجه الأرملة الحق في أن تعيش من تركة زوجها المتوفى ولو كان قد أوصى بغير ذلك (موسى، التركة والميراث في الإسلام، ص 14).

نظام الإرث عند الرومان:

أسباب الميراث عند الرومان اثنان: القرابة وولاء العتاقة، ولم يجعلوا النكاح سبباً من أسباب الميراث، لأنه لا توارث بين الزوجين عندهم، ذلك أنه يلاحظ في نظام التوريث عن الرومان مبدأً اثنان:-

أ - استبقاء الثروة في العائلات وحفظها من التفتت.

ب- المحافظة على كيان هذه العائلات وعلى سلطة أرباب الأسر.

وتطبيقاً للمبدأ الأول ورثوا أولاد الظهور دون أولاد البطن، أي ورثوا أولاد الأبناء ولم يورثوا أولاد البنات، كما منعت التوارث بين الأم وأولادها، فالأم لا ترث من أولادها وذلك لأنها لو ورثت شيئاً لآل إلى أسرتها هي، وكذلك الأولاد لا يرثون أمهم، فإذا كان للأم ما ورثته من أبيها فإنه يؤول بعد موتها إلى إختها وأختها وليس لأولادها منه شيء.

ونلاحظ أن توريث الأولاد عند الرومان لا يقتصر على ما ثبت بالنسب عندهم بل يشمل أولاد الزنا أو ما كان نتيجة التبني.

مما تقدم ندرک أن مناط الميراث عند العرب قبل الإسلام كان الرجولة والقوة، فكانوا لا يجعلون من الميراث حظاً للنساء ولا الأولاد الصغار، ولا يرث الرجل إذا مات من أبنائه إلا من أطاق القتال، ولهذا كانوا يعطون الميراث للكبير فالأكبر، ولما نزلت آيات الفرائض قال بعضهم للرسول- صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله: أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم، ونعطي الصبي الميراث وليس يغني شيئاً.

وكذلك كان الأمر قريباً من هذه لدى اليهود، فقد كانت البنت لا نصيب لها من تركة أبيها- بل كلها يكون لأخيها، كما كانت المرأة بصفة عامة بنتاً أو أمّاً أو أختاً للمتوفى لا ترث شيئاً إذا كان للمتوفى ابن أو قريب آخر من الذكور كالأخ والعم، وكذلك لا يرث أحد من الإخوة والأخوات، بل الميراث كله يكون لأبناء المتوفى الذكور، وللأكبر سناً منهم حظ الأثنين ممن دونه سناً، وإلا فلأب إذا كان موجوداً، أما الزوجة فكل ما تتركه يكون من حظ زوجها دون أولادها وأقاربها على حين أنها لا ترث زوجها في شيء....

أخي الدارس، اختي الدارس أما وقد عرضنا لأنظمة الإرث لدى عدد من التشريعات الوضعية والدينية، فإننا نعرض هنا بصورة عريضة عن نظام الإرث في الإسلام. فنقول إن

الآيات الكريمة لخصت موضوع الإرث في قوله تعالى: **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ**

مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا

النَّصِيبُ وَاللِّبْيَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وُلْدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ

لَهُ وُلْدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ

وَصِيَّةٌ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٌ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا
 فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۝ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ
 إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ
 يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمُ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ
 وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
 كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ
 شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۗ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ (النساء، 11-13).

وبالوقوف على مضامين الآيات الكريمة المتقدمة نخلص إلى ما يلي:

- 1- إن أسباب الإرث في الآيات الكريمة هي القرابة والنكاح.
- 2- أقام الإسلام الإرث على جملة من القواعد والمبادئ هي:
 - الغرم بالغنم ومفاد هذه القاعدة أن من يجب عليه النفقة يستحق الميراث بصفة عامة.
 - لكل بقدر حاجته والواجبات الملقاة عليه، ولما كان يجب على الذكر أن ينفق على الأنثى بنتاً وزوجة وأماً، وعليه أن يدفع المهر لها، وهذا ما لا يجب على الأنثى، كان نصيب الذكر ضعفي نصيب الأنثى.
 - وهذه القاعدة لها استثناءاتها كذلك، إذ إن الأخت لأم تتساوى مع الأخ لأم. كما أن الأم تتساوى مع الأب إن كان للميت ولد.

كما أن حاجة المقبل على الحياة كالأبن، ليست كحاجة المدبر عنها كالجد ومن هنا كانت حصة الابن أكبر من حصة الأب والجد.

- يعطى أصحاب الفروض أنصبتهم من الميراث أول الأمر، وما بقي يعطى للعصبات، والغالب على أصحاب الفروض أنهم من الإناث، ويستنتج من هذا أن الشارع يتجه إلى حفظ حقوق النساء أولاً وفقاً للأنصبة المقدرة بحيث لا تقل عنها، ومع ذلك - فإن أنصبتهم قابلة للزيادة.

- راعى الإسلام درجة القرابة عند التوزيع، فيقدم الابن على الأخ الشقيق، ويقدم الأخ الشقيق على الأخ لأب، ويقدم الإخوة على الأعمام وهكذا.

- قدر الإسلام العلاقة الزوجية فجعل لكل من الزوجين حقاً في الإرث من الآخر إذا توفي الزوج الآخر قبله. وفي هذا إنصاف لكل منهما لقاء معاورته ووقوفه إلى جانب شريكه.



نشاط (6)

ارجع إلى كتاب التركة والميراث للدكتور محمد يوسف موسى ولخص أهم قواعد الإرث في الإسلام.



تدوين (8)

بين الإعجاز التشريعي في قضية الميراث من خلال المقارنة بين تشريع القرآن الكريم والتشريع الروماني.

شبهات حول نظام الإرث في الإسلام:

أخي الدارس، أختي الدارسة بعد هذا العرض نجد أن ما أثير حول نظام الإرث الذي قرره القرآن الكريم والسنة المطهرة من شبهات ليس إلا ظلماً لا يقوم على أساس من منطق سوي وفكر مستقيم، وهو يتنافى مع الواقع الذي تتوخى فيه العدالة، وهذه الشبهات تتلخص في اثنتين:

أولاهما: أن الإسلام جعل نصيب الأنثى أقل من نصيب الذكر.

والثانية: أن الإسلام ورث الأصول على حساب الفروع.

ونحن نعلم أن الشبهة الأولى لا ينبغي أن يقام لها وزن، فإن أكثر النظم كما رأينا من قبل تحرم المرأة حرماناً تاماً، وهذا تفريط منافي للعدالة، والقليل من هذه النظم جعلت الرجل والمرأة سواء، ولكنها مع ذلك فيها كثير من الثغرات، وذلك إقراط، ومن العدالة أن نجنب الإقراط والتفريط.

ونحن نعلم أن القرآن الكريم حينما جعل للذكر مثل حظ الأنثيين لم يرد من ذلك إلا إنصاف الرجل والمرأة على السواء، فالمرأة تجب نفقتها على زوجها أو أخيها أو ابنها، وجعل لها حقاً وهو المهر الذي يدفعه الزوج، وهكذا يقدم الرجل المهر لأمراته، وتجب عليه نفقتها، وكذلك إن كان أباً أو أخاً أو ابناً، أفمن النصفة أن يقال بعد ذلك إن إعطاء المرأة أقل من الرجل فيه ظلم وحيف، سبحانه هذا بهتان عظيم.

أما الشبهة الثانية وهي توريث الأصول مع الفروع كسابقها بعيدة عن الحق والإنصاف، صحيح أن الفروع يستقبلون الحياة، وإن الأصول يستدبرونها-والأجال لا يعلمها إلا الله-لكن، هل من العدل والإنسانية والشفافية أن يحرم الآباء وهم أحنى على الميت من غيرهم، وأن يكونوا عالة، ما نظن ذلك يتفق مع الفطرة، على أن التشريع القرآني جعل نصيب هؤلاء الأصول أقل من نصيب الفروع.

إننا بعد المقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم من أحكام الموارث، وبين ما عرفناه عند اليهود وفي القانون الروماني وغيرهما، لا يسعنا إلا أن نقرر جازمين بأن ذلك النظام وهذه التشريعات لدليل صدق وشاهد حق على إعجاز القرآن التشريعي.

إن هذه الجزئيات الدقيقة في هذا النظام، وهذا التقسيم المحكم، لم نجد في أعظم القوانين التي مرت على إصلاحها قرون طويلة من الزمن، كانت محلاً للتهذيب والتشذيب والإصلاح، وسد الثغرات، كما لم نجد في ديانات أصلحت فيه هذه القوانين بفعل الأجر والمجاهدين، فإذا عرفنا أن هذه التشريعات جاء بها نبي أمي-صلى الله عليه وسلم- لم يزوال القراءة والكتابة، ولم تسبق له معرفة بما كان عند الأمم من قواعد قانونية وتشريعية؛ أدركنا عظمة هذا الكتاب وإعجازه التشريعي وتشريعه المعجز، وصدق الله العلي العظيم

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الزمر: 27-28.

2.4.3 الطلاق

كان موقف الناس من الطلاق موقفاً متناقضاً، فمنهم الذي يبيحه ويفتح الباب فيه على مصراعيه، من غير أن يكون له قواعد وضوابط، وفي هذا من المساويء والسلبيات ما لا يحصى، ومنهم من تشدد فيه وجعله أمراً ممنوعاً محرماً مهما كان في ذلك من شقاء وضنك وضيق يعيشه الزوجان وفي ذلك من الشرالعضال، والنتائج السيئة، والخروج من حصن الفضيلة، وغير ذلك من السلبيات ما لا يحصى كذلك، فما هو موقف الإسلام من هذه القضية الخطيرة؟

أخي الدارس، اختي الدارسة، نضع بين يديك بعض قواعد التشريع لمسألة الطلاق

وهي:

أ - الطلاق في الإسلام بدون سبب صحيح حرام لما فيه من قطع الزوجية، التي هي من النعم العظمى، ولما فيه من ضياع الأولاد، أما إذا وجد التباعد والتقاطع، ولم يمكن الصلح بينهما، وغلب على الظن عدم إقامة حدود الله في الزوجية فالدواء الأخير هو الفراق فيكون حينئذ مباحاً.

ب- جعل الشارع أمر الطلاق بيد الرجل، لأنه أحرص على بقاء الزوجية، وذلك لما أنفق في سبيله من المال، ثم إنه أكثر صبراً فلا يسارع إلى الطلاق. ومع ذلك فقد جعل الشارع للمرأة حق اشتراط أن يكون طلاقها بيدها عند إجراء العقد. ولها بعد ذلك أن تطلب إلى زوجها طلاقها مخالفة مقابل أن ترد له ما دفعه من مهر.

وفوق ذلك فقد أعطى الشارع للمرأة حق طلب التفريق عن زوجها لدى القضاء في حالات كثيرة منها: الامتناع أو العجز عن الانفاق، والشقاق والنزاع، والغيبة المنقطعة، والهجر، ووجود العيوب التي تحول دون استمرار الحياة الزوجية.

ج- وضع الإسلام ضوابط كثيرة تحد من حالات الطلاق منها:

1- من حكمة التشريع أن يكون الطلاق مفرقاً وأن لا يقع دفعة واحدة، يقول

الله سبحانه وتعالى: **الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**

[البقرة: 229].

2- يجب أن يقع الطلاق في حالة طهر، ومعنى هذا أن الزوج لا ينبغي أن يطلق زوجته في حالة الحيض؛ لأنها حالة يمكن أن يكون فيها نفرة بين الزوجين،

ويجب أن يطلقها في حالة طهر لا وطء فيه، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا**

طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ [الطلاق: 1].

3- أوجب على المرأة أن تقضي العدة في بيت الزوج، وحرّم على زوجها أن يخرجها من بيته، وفي هذا محاولة لكي يفكر كل من الزوجين ملياً قبل أن يقرر فمص عرى الزوجية، فقد يكون وجودها في بيته سبباً لمراجعة نفسه، وارجاع زوجته إلى عصمته، قال تعالى: **وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (الطلاق:1).**

4- وازدياداً في الحيلة طلب القرآن الإشهاد على الطلاق، قال تعالى: **وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (الطلاق:2-3).**

5- ونلاحظ أنه قد كثر في سورة الطلاق- وهي التي تسمى سورة النساء الصغرى تمييزاً لها عن سورة النساء- كثر فيها الحث على التقوى، وبيان ما أعد الله للمتقين من خير في الدنيا والآخرة، وذلك كله من أجل تذكير الأزواج بما يجب عليهم، نقرأ هذه الآيات في السورة الكريمة: **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**

(الطلاق:2) وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (الطلاق:4) وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا (الطلاق:5) سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ

يُسْرًا (الطلاق:7) ، فقد حرم الله على الأزواج والأولياء الإضرار بالنساء، فقال

سبحانه: وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۗ أَلَمْ تَكُونُوا

خطاب للأزواج، وقال تعالى: وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

البقرة: 232] وهذا خطاب للأولياء.

ذلكم هو تشريع الطلاق في كتاب الله تبارك وتعالى، وهناك تفصيلات كثيرة في السنة المطهرة، فقولوا لي بركم: أي تشريع من تشريعات البشر، يمكن أن يصل سمواً وعدالة إلى هذا التشريع، إنه والله الإعجاز التشريعي، والتشريع المعجز، وصدق الله إن هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الإسراء: 19.

وأكتفي بهذه الموضوعات التي ذكرتها، على أن الإعجاز في القرآن الكريم يظهر في كل مجال من مجالات التشريع، يظهر فيما حرمه القرآن الكريم، سواء كانت هذه المحرمات في المطاعم والمشارب كالميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر أم كانت في مجال الاجتماع كالزنا والقتل، أم في مجال الاقتصاد كتحريم الربا، كما يظهر ذلك الإعجاز في المعاملات، وإن من يتدبر آية الدين وغيرها من الآيات التي نظمت الشؤون المالية، يجد حقيقة الإعجاز في كل قضية من هذه القضايا، كذلك من يتأمل الآيات التي نظمت شؤون الجهاد وعلاقة المسلمين بغيرهم، يجد العدالة المعجزة، وصدق الله العظيم أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى

عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ المنكوت: 51] وصدق الله وَنَزَّلْنَا

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ النحل: 89.



نشاط (7)

ارجع إلى كتاب إعجاز القرآن/د . فضل حسن عباس والمخص ما جاء فيه حول الإعجاز التشريعي في قضية الزكاة. ناقش ذلك مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.

3.4.3 العقوبات

وهي ما يتعلق بالجرائم وما يترتب عليها من جزاء وهو ما يسمى أيضاً بالحدود والتعزيرات.

وقد شرع القرآن من العقوبات الرادعة ما تتطهر به المجتمعات من الرذيلة، وتتجه ناحية الفضيلة، ويتحقق الخير في كل مظاهر الحياة خالياً من أدران الشر.

والعقوبات في الإسلام قسمان: عقوبات مقدرة، وعقوبات غير مقدرة، والعقوبات المقدرة تعدّ أعلى العقوبات في نوعها، وغير المقدرة تعدّ دون الأعلى، وقد تولى القرآن الكريم بيان أكثر العقوبات المقدرة، والعقوبات غير المقدرة ترك تقديرها للقاضي أو ولي الأمر، فالإسلام يذكر الحد الأعلى للعقوبة وترك للقاضي تقدير ما دونها.

والعقوبات المقدرة قسمان: قسم منه حقوق العباد واضحة، كالقصاص، وقسم كان لحماية المجتمع من شروره وحق العباد فيه ليس في وضوح الأول.

وقد وضع الإسلام منذ خمسة عشر قرناً أسس وقواعد التشريع في خير أوضاعها المثلى، لأنه يقرر مبدأ: «لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص في الشريعة»، ونشرع الآن في الحديث عن بعض الجرائم الحدود وهي التي بيّن الله نوعها وحدد عقوبتها وأوجب تنفيذها بلا هوادة ولا إبطاء وهي: قتل النفس والزنا وقذف المحصنات والسرقه والحراة وشرب الخمر والردة .

أولاً: جريمة قتل النفس: تعدّ الشريعة الإسلامية التعدي على النفس من أخطر الجرائم،

لأن الإسلام أعلى من شأن الإنسان بقوله تعالى: **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** الآية (70). وعلى قدر ما أعلى الإسلام من قدر الإنسان فإنه قد اشتد في العقوبة على من يعتدي على حياة غيره بغير حق. بل أن الإسلام عدّ قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً، وأن إحياء النفس الواحدة بمثابة إحياء الناس جميعاً، وقد جعل الله عقاب القاتل كعقاب الكافر.

وبهذا الحكم العادل جعل الشرع القصاص علاجاً يمنع العدوان، إذ لم يجعل الإسلام لدم أحد من الناس فضلاً على دم آخر، بل إن الإسلام ليققتص من الحاكم نفسه إذا اعتدى على أحد من رعيته بالقتل العمد، لأن الإسلام نظر إلى القاتل على اعتبار أنه بفعلته الشنعاء قد سلب القتل حياته، وترتب على ذلك أنه يتم أطفاله، وأيم زوجه، وحرّم المجتمع من يد عاملة في خدمته، كما أنه تحدى بذلك شعور مجتمعه وخرج على نظامه وقوانينه. قال

تعالى: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**

وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا (النساء: 192).

ولا شك أن رحمة الله عظيمة بفرضه القصاص الذي جعل فيه حياة الناس وأمنهم ومنع العدوان بينهم، لأن من يهم بالقتل والفتك بغيره وهو يعلم أن في ذلك هلاكه، سيعتد ولا يقدم على تنفيذ جريمته فيبقي ذلك الخوف على حياة من يهم بقتله وهلاك نفسه، وأن من يتدبر قول الله تعالى: **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** (البقرة: الآية 179). يجد فيها كل الإعجاز البياني والتشريحي من حيث روعة الإسلوب وروعة المعنى وهما يؤكدان معجزة القرآن.

ومن عدالة التشريع القرآني أنه لا ينظر في أحكامه إلى بواعث القتل ومسوغاته، كما تنظر إليها القوانين الوضعية التي تدعو إلى الرأفة بالجاني وتخفيف العقوبة عنه، وتهمل أمر الجاني عليه مما يؤدي إلى الأخذ بالثأر وتسلسل هذا الثأر، وقد جعل القرآن القصاص حقاً لولي الدم إن شاء عفا وأخذ الدية، وإن شاء طلب القصاص ويمكن له فيه، كما أنه جعل القصاص لا يكون إلا على الجاني نفسه، لقوله تعالى: **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**. وقد عدّ بعض من يضعون القوانين الوضعية القتل للقاتل عقوبة فظيمة ورأوا أن يرحموا بنخفيف هذه العقوبة بالحبس وظنوا أنهم بذلك يصلحون المجتمع. ولكن ثبت بعد ذلك أنهم أساءوا إليه لأن جرائم المجرمين بذلك قد ازدادت واستفحلت فرجعوا عن تشريعهم الواهي وعادوا إلى عقوبة القتل، وهذه شهادة على عدالة الأحكام الإسلامية وحكمتها.

ثانها: الزنا والذف: لقد شدد سبحانه في إيقاع عقوبة الزنا فقال سبحانه: **وَلَا تَأْخُذْكُمْ**

بِهَمَّا رَأْفَةً فِي يَدَيْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (النور: الآية 2). وذلك

لشدة حرص الإسلام على حفظ النسل وعلى حفظ الأجسام من الأوباء وعلى أن تكون العلاقة بين الرجل والمرأة في دائرة الإجتماع تحت ظل الله، وكلمة الله، ولا تكون مساندة كالحبوان، يساند الذكر مع أي أنثى يلتقاها، وعلى أن تكون هذه العلاقة سامية تليق - بسمو الإنسان، وعلى أن تكون تلك العلاقة رحمة دائمة بين عنصري الوجود الإنساني - كما قال تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ**

مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (الروم: الآية 21).

كانت الشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على الكرامة الإنسانية، وعلى النفوس وعلى الذرية فشدت في عقوبة الزاني لكيلا يهوي الإنسان بإنسانيته، وينحط إلى دركة الحيوانية.

ولكن الأوروبيين ومن سلك مسلكهم استنكروا هذه العقوبة، واستغلظوها، وأخذتهم الرأفة وما كانوا مؤمنين، وجعلوا الأساس في اعتراضهم يقوم على ثلاثة أمور:-
أولها: أن أساس العقاب أن يكون من الشخص اعتداء على غيره، وإذا تراضى اثنان على هذه الحادثة، فكيف يعاقب كلاهما عليها مع أنها أمر شخصي لا اعتداء فيها، ولا مساس لغيره.

ثانيها: أن العقوبات البدنية في ذاتها غليظة لا تجوز، وهي بقية من بقايا الهمجية، ولا تتفق مع الحضارة القائمة.

ثالثها: أن مقدار العقوبة في ذاته كبير، فقد تضعف القوة الجسمية عن احتمالها فيكون الموت. (شريعة القرآن دليل على أنها من عند الله، مجلة المسلمون-العدد الثامن- ص 21-22).

أخي الدارس، أختي الدارسة :

ذلك قولهم بأنواهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وإن أساس القول عندهم أنه لا جريمة في الزنا إلا إذا كان اعتداء، وإذا لم تكن جريمة فلا عقوبة، وعلى فرض أن ثمة عقوبة فعقوبة الإسلام قاسية في نوعها، وقاسية في مقدارها.

وهنا يختلف نظر الإسلام في الجريمة عن نظريهم، فالإسلام نظر إلى هذه الجريمة من حيث المعنى الخلقي فيها، ومن حيث ما تؤدي إليه من إضعاف النسل، وإفشاء الأمراض -وأن ما يعانیه الناس اليوم من مرض الأيدز لدليل على نظرة الإسلام الصائبة- التي تتوارث وتشوه الأجسام وتفسد الضمائر، وتخرج إلى الوجود أطفالاً لا أسر لهم، ولا آباء يرعونهم، ويكونون كلاً على المجتمع، فوضع العقوبة على قدر هذه المآلات، وليمنع الإنسان من التردّي إلى الحيوانية، وإن هذه العقوبة من جنس الجريمة لأن الزاني والزانية انحدرتا بجريمتهما إلى الدركة الحيوانية، فحق عليهما أن يعاقبا عقاب الحيوان بالضرب الشديد والقرع العنيف، ولا يصح أن ينزل امرؤ إلى درك الحيوانية الأسفل ويطالب أن يعامل معاملة الإنسان الكامل، فطبائع الأشياء تقتضي التجانس بين العمل والأجر والعقاب. هذه نظرة الإسلام، أما أولئك فسوغت لهم أنفسهم أن يفهموا الجريمة ذلك الفهم القاصر، ولم يلتفتوا إلى المعنى الخلقي، ولا إلى

المعنى الإنساني، ولم يلتفتوا إلى تلك المآلات الاجتماعية والصحية، فشاعت بينهم الفاحشة، واختلَّ النسل عندهم، وانتشرت الأمراض الفتاكة، وحملوا إلى الشرق، مع الداء النفسي - وهو فشو الزنا - الداء الإفرنجي، فوجدت في الشرق تلك الأمراض الخبيثة وشاهت الأجسام، وتوارث الأبناء الداء عن الآباء.

ومن الغريب أن يتكلم الغربيون، ومن لفَّ لَفْهم في العقوبات البدنية وهم في الحروب ومعاملة غيرهم لا يراعون إلا ذمة، وفوق ذلك فإن العقوبة البدنية ليست شرًّا لذاتها، بل هي شر لما فيها من إيلاء، وكذلك كل عقوبة، فلماذا تعد هذه همجيةً وتلك إنسانية. إنه حيث وقعت الجريمة وجب العقاب، فالعدل والإصلاح هو الذي يقرر العقوبة، وقد ذكرنا أن الجزاء من جنس العمل (شريعة القرآن، مجلة المسلمون، العدد الثامن، السنة الأولى ص 23).

على أن شريعة القرآن جعلت عقوبة العبد على النصف من الحر، ولو نظرنا إلى شريعة الرومان لوجدنا أنهم كانوا يضاعفون عقوبة العبد إن ارتكب جريمة ويخفون العقوبة على الحر، فهم يقولون إن العبد إذا زنى بحرة يقتل، وأما الشريف الروماني فإنه إذا زنى يغرم غرامة بسيطة، فمنتقمهم الظالم يسير سيراً عكسياً، تصغر العقوبة عندهم بكبر المجرم وتكبر بصغره.

أما الإسلام فإنه ينظر في الأمرين منطقاً مستقيماً، فالجريمة تكبر بكبر المجرم ويكون العقاب على قدرها وتصغر بصغر المجرم ويكون العقاب على قدرها، وذلك لأن الجريمة هوان وإن الهوان سهل على الضعيف، إذ لا قوة نفس تعصمه وتنهاه، وأن العبد والأمة في ذل وهوان، فالجريمة منهما قريبة فيخفف عنهما العقاب، وذلك هو منطق العدل السليم وشرع الله العظيم. أما حد القذف ففيه زجر لأولئك المستهينين المستهترين الذين يشيعون القول الفاسد، والإسلام يريد جماعة طاهرة لا يسودها إلا الكلام الطيب النزيه العف (أبو زهرة، في المعجزة الكبرى، ص 429-432).

وكل من يتأمل ما جاءت به الشريعة الإسلامية في عقوبة جريمة القذف من جلد ومن حرمان من قبول شهادته، ومن التعزير لغير من بلغوا سن الرشد، ثم اللعان بين الزوج وزوجته، كل ذلك يدل أوضح دلالة على إعجاز التشريع الإسلامي الذي يستحيل على البشر أن يأتوا بمثله ضمناً لإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

والعاقبة جريمة السرقة: قال الله تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً

بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (المائدة: 138). هذه الجريمة معناها في

الحقيقة افزع الناس وازعاج الأمنين، فلا يأمن أحد على نفسه أو ماله، ومع ذلك يتشدد المتشدقون ويعيبون على شريعة القرآن هذه العقوبة، ونسوا أو تناسوا أن قطع يد السارق أهون عند الله، وعند كل من يفهم حكمة شرع الله، من أن تنتهب الأموال، ويسود الخوف بدل الأمن، وترتكب الجرائم والجنايات على الأرواح في جنح الليل البهيم، ويسأل الذين ينقدون حكم الشارع في هذا كم جريمة سرقة أفضت إلى موت المسروق، وكم يد تقطع كل عام إذا أقيم حد السرقة، مع ملاحظة أن الحد لا يقام إلا إذا انتفت كل شبهة كما قال عليه وآله أفضل الصلاة والسلام «ادروا الحدود بالشبهات ما استطعتم» إن نتيجة الإحصاء ستكون لا محالة أن عدد المقطوعين بحكم الله دون عدد من يموتون تحت سلطان الهوى وغواية الشيطان.

لقد أصبح من المألوف لدى الباحثين أن يكون القتل لقصد السرقة، حتى أن رجال التحقيق عندما يبتدئون تحقيقهم ليضعوا أصابعهم على الجريمة والمجرمين، وليضبطوا التحقيق بين أيديهم يبحثون أولاً أكان القتل لأجل المال أم كان لما سواه، وكثيراً ما يتجهون إلى الصواب في الأمر، إن قصدوا ذلك القصد، ويعرفون أن القتل لأجل السرقة والمال، لا لشيء سوى ذلك.

فإن جاء امرؤيقول: إن العقوبة ليست متكافئة مع الجريمة مهما يكن نصاب السرقة، فهل تقطع يد في سرقة عشرة دراهم أو ربع دينار كما قال الإمام مالك، ويرددون قول أبي العلاء:

يد بخمس مئتين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

ولا يخفى أنه ليس التساوي بين العقوبة في الحدود بين الفعل والعقاب، إنما التساوي بين العقاب وآثار الجريمة، فهل نظراً لسائل إلى ما يحصل من إفزاع وإزعاج للأمنين في سرقة تقع في حي أو قرية؟ فكم من حراس يقومون وكم من مغالقة يحترس بها من السارقين؟ فجريمة السرقة ليست آثارها واقعة فقط على المسروق منه، بل تتعداه إلى كل من يكونون معه في الحياة، فالعقوبة هنا رحمة. (أبر زهر، شريعة القرآن، العدد الثامن من مجلة المسلمين السنة الأولى ص40).

وإذا قال قائل إن قطع اليد ليس من قوانين الرحمة ولا بما يدخل في عمومها؟ والجواب على العكس فهذا نظر إلى الرحمة بالجاني وترك الرحمة بالمجني عليه، إن بين أيدينا اثنين قاتلاً ومقتولاً وسارقاً ومسروقاً، وهاتك عرض وأصحاب عرض مهتوكه، ووراء ذلك جماعة يجب أن يسودها الأمن ولا تشيع الفاحشة فيها، فإذا أراد ذو عقل أن يخص برحمته أحد الفريقين، أيخص برحمته من اعتدى وجنى وأزعج الأمنين، وهتك الأعراض وأشاع الرذيلة، وفتح باب الفوضى على مصراعيه أم يخص برحمته من اعتدى عليه، والجماعة التي يجب أن

يبدل خوفها أمناً، وتسودها الفضيلة، وتختفي فيها الرذيلة؟ إن قانون العقل يقول: إن الرحمة تكون بمن وقعت عليهم الجريمة، وإن النكال بهذا هو الرحمة بهؤلاء، فليُنل حكم الله في جرمته، ولتكن شاهد عارالي يوم القيامة ليرتدع من غوى، ولا يضلّ من اهتدى، وعسى أن يكون العقاب مكفراً لذنبه إن تاب وأناب.

على أن التماثل بين الجريمة والعقوبة ليس بشرط لا في نظر القانونيين، ولا في شريعة السماء، إلا إذا كانت العقوبة قصاصاً، فإن القصاص أساسه التساوي.

وأما فيما عدا القصاص فالتساوي ليس بشرط، لأن المقصد من العقوبة ليس هو المقصود من الضمان المالي بأن يضمن المعتدي على مال غيره بقدر ما أتلف له من مال، وما ضيع له من منافع، إنما المقصود من العقوبة هو الردع ومنع التفكير فيها من كل امرئ، تكون نفسه مستعدة لهذا الإثم، وحاله تسهل له ارتكاب ذلك الجرم، فالعقوبة إصلاح اجتماعي وتهذيب عام، وزجر نفسي للأحاد والشذاذ.

ولقد نهجت القوانين الحديثة ذلك المنهاج، فهي لا تنظر في جرائم السرقات ونحوها إلى مقدار المسروق بمقدار نظرها إلى نفس السارق، وما يترتب على جرمته من إشاعة للخوف وازعاج للأمن، ولذلك تضاعف العقوبة إذا اعتاد الجريمة وتكررت منه، وقد تحكم ببضع سنين في سرقة بضعة دنائير، فيكون هناك تفاوت ما بين الجريمة والعقاب وقد تكون العقوبة بمقدار خطر المجرم على المجتمع، وبمقدار جرأته على نشر المفاسد بين الناس.

وبهذا نظر الإسلام، وبهذا انطلقت مبادئه في العقوبات عامة، وفي الحدود خاصة، فقد قال الله تعالى في القصاص **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** وقال: **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً** بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فإن هذا صريح في أن العقوبة لمنع سريان الجريمة إلى غير المجرم، إذ النكال هو العقوبة الشديدة التي تجعل غير المجرم ينكل عن الجريمة إن وسوست بها نفسه، وهتف بها هاتف الشر في قلبه.

وإن المقررات العلمية في علم العقاب أن الجريمة كلما خفيت وجب أن تكون عقوبتها بمقدار خفائها والقدرة على سترها، والتخلص من أحكام القوانين في أمرها، وذلك لكي تضطرب نفس المجرم عند اقدامه على الجريمة وتذكر العقاب، فيرتدع ويحجم ولا يقدم، وإن استمر على اقدامه فإن الإضطراب يفوت عليه الإحتراس، فيترك أثراً يدل عليه، وإن من رحمة الله بالناس أنه لا يكاد مجرم يقدم على جريمة شديدة إلا كان منه ما يعلن عمله أو كان من آثاره ما يهدي إليه.

وإن جريمة السرقة كان لها ذلك الحفاء، بل إنها بطبيعتها لا تقع إلا مستترة بظلام دامس، فكان من الشارع الحكيم أنه جعل عقوبتها صارمة دائمة تلقي الذعر في نفس الجاني فيضطرب وينكشف أمره قبل تمام فعله، أو يكون منه ما يكون أثراً يدل عليه ويوحى إليه. فقطع اليد لا يقصد الشرع الشريف به الرغبة في قطع الأيدي، بل هو الرغبة في سلامة هذه الأيدي من القطع بمثل هذه العقوبة المخيفة التي تمنع السارق من ارتكاب جرائمه فهل بعد ذلك قسوة في الأحكام التي تحفظ الأمن وتمنع الإجرام .

رابعاً: جريمة الحراة: قال الله تعالى: **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ**

أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْأُخْرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (المائدة: 33) .

والحراة: اتفاق طائفة من المجرمين على الخروج على الجماعة بارتكاب مفسد من أنواع الإعتداء المختلفة من قتل أو اغتصاب أموال، وقرر القرآن عقوبتهم وهي التقطيل أو القتل والصلب ليكونوا عبرة لغيرهم، أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو تفريق جمعهم، ونفيهم من الأرض بأعادهم حيث لا يستطيعون أن يجتمعوا. وقد قرر مالك من بين الفقهاء أن ولي الأمر مخير في هذه العقوبات يختار منها ما يناسب حالهم.

ومن الناس من يلهجون باستفلاظ هذه العقوبة، ويحسبون آثمين أنها ليست إنسانية، وأولئك ينظرون إلى العقوبة ولا ينظرون إلى الجنائية، ويرحمون الجاني ولا يرحمون المجني عليه، والمجني عليه هنا الجماعة، أولئك يخرجون بقوة واتفاق، لا ليقبموا حقاً أو يخفضوا باطلاً بل لمجرد أذى الجماعة وينتهكون كل حرمة، ويقطعون الطريق على السابلة، ويزعجون الجماعة، فلا بد أن تكون العقوبة كفاء لما يرتكبون وراعاة، والعدالة الإنسانية توجب المساواة بين مقدار الجريمة ومقدار العقاب، وكلما عظمت الجريمة كان لا بد من عقوبة تناسبها.

ولو أن تلك العقوبة عوقبت بها العصابات الأمريكية التي لا تبقي على شيء إلا انتهكت حرمة، بحيث أن ميزانيتها من السرقات تبلغ أحياناً ميزانية ولاية كاملة، لو أنها عوقبت بتلك العقوبة لارتدعت وانزجر غيرها عن السرقات فأعْتَبِرُوا بِأُولِي الْأَبْصَارِ (ابو زهرة، المعجزة الكبرى، ص. 425) .

وهناك جرائم أخرى عالجها الإسلام خير علاج كجريمة البغي وجريمة شرب الخمر وجريمة الردة، ومقارنة حكم القرآن بقوانين الإنسان لمجد الفرق الشاسع بين شريعة الله وقوانين البشر، ونكتفي بما ذكرنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه سلم تسليماً كثيراً .

4. إخبار النبي من القرآن الكريم

أخي الدارس، أختي الدارسة نذكر في هذا الوجه مبحثين اثنين :

الأول : إخبار القرآن عن الأمم السالفة .

الثاني : إخباره عن أحداث المستقبل .

1.4 إخبار القرآن عن الأمم السابقة

قد يقول بعض الناس : لم جعلتم هذا من وجوه الإعجاز مع أن هذه القضايا تاريخية يتناقلها الناس بعضهم عن بعض ؟ .

ونقول لهؤلاء المتسائلين : إن ما قلتموه حق لا ينزاع فيه أحد، ولكن شتان بين ما ذكرتم وبين أمر القرآن الكريم، فحوادث التاريخ ليست وفقاً على أحد من الناس دون أحد، فقد يتناقل أجيال من الناس حادثة معينة، أو خبراً له شأن، أو قصة عجيبة، أو حادثة ذات أثر، ولكن الذي جأفي كتاب الله تبارك وتعالى ليس من هذا القبيل، فأخبار الأمم في القرآن الكريم جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم - من عند الله، وهو أُمِّي باتفاق محبيه ومبغضيه، وأوليائه وأعدائه وأصحابه وخصومه .

لم يقرأ كتب الأولين، ولم يجلس لمعلم يقص عليهم قصصه وما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ

مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُرُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيْنَاتٌ فِي صُدُورِ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (النجمت: 48-49) .

ثم إن الأخبار التي جاءت في كتاب الله تعالى، وجاء بها القرآن كان بعضها حديثاً عن أهل الكتاب، وبعضها عن غيرهم .

أما إخباره عن أهل الكتاب فكان منها ما لم يعرفه أهل الكتاب أنفسهم، وكان منها ما عرفوه ولكن على غير حقيقته، فجاء القرآن الكريم ليصحح لهم هذه المعرفة، ويبين لهم وجه الحق، ويدلهم على وجه الصواب .

وأما ما كان حديثاً عن غير أهل الكتاب، فكان بعضه عن العرب الأريين، وبعضه الآخر عن غيرهم، وهذا وذاك كان كثير منه جديداً على العرب، لم يستمعوا إليه إلا من القرآن الكريم، وكان بعضه الآخر مما كانوا يعرفونه معرفة غير سليمة، فجاء كتاب الله تبارك وتعالى يجلي لنا الحق في هذه الأخبار كلها، يقول الله تعالى بعد أن بين قصة نوح عليه الصلاة والسلام في سورة هود

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (مرد: 49).

ويقول في ختام قصة يوسف عليه الصلاة والسلام ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (يوسف: 102) ويقول بعد الحديث عن نبي موسى عليه الصلاة والسلام في سورة القصص وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (القصص: 44).

ويقول بعد الحديث عن قصة مريم- رضي الله عنها- ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (آل عمران: 44).

وبين لأهل الكتاب كثيراً مما اختلفوا فيه ويصحح لهم كثيراً مما اشتهر بينهم، فيقول سبحانه: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

النمل: 76.، ويقول: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا

كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (النمل: 116).

فمن قضايا التاريخ التي ذكرها القرآن وصححها إطلاته على حاكم مصر الملك مع أنهم

كانوا عرفوا بالفراعنة فيما بعد، وذلك في قوله سبحانه: وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ؟ (يس: 54)
وذلك لأن لقب فرعون جاء بعد يوسف عليه السلام.

والتأمل في قصص القرآن، والمتدبر لآياته يدرك أن ما جاء به القرآن الكريم مجملًا تارة
ومفصلًا تارة لا يمكن أن يكون إلا من خبر السماء، فكان حرباً أن بعدُ وجهاً من وجوه
الإعجاز.

على أن ما جاء في القرآن الكريم، وبخاصة أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كان
من أعظم الأدلة على صدق الوحي، وصدق النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ لأنه لم يكن فيه

ما يشين هذه الصفوة المختارة بما لا يليق بمكانتهم لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي

الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (يس: 111).



نشاط (8)

ارجع إلى كتاب القصص القرآني ابحاؤه ونفحاته للدكتور فضل حسن عباس واقرأ

ما جاء فيه من حديث عن قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام. وناقش ما قرأته مع

زملائك ومشرفك الاكاديمي.

2.4 إخبار القرآن بأمور من غيب المستقبل

لقد جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات تنبئ عن أمور لم تكن قد وقعت، وقد وقعت كما أخبر القرآن عنها لم يتخلف منها خبر، من ذلك :

1- قول الله تبارك وتعالى: **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسَّ إِلَهُهُ** (ال عمران: 12) ولقد كان ما أخبر عنه القرآن الكريم .

2- ما طمأن الله به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أنه سيعصمه من الناس، ويمنعه من كل من أراد قتله، فلقد بذل اليهود والمنافقون ما يستطيعون ما يستطيعون، وقاموا بأكثر من محاولة، ولكن الله حفظ نبيه عليه وآله الصلاة والسلام منهم، وهذا ما جاء صريحاً في الآية الكريمة **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** (المائدة: 67) .

3- وعد الله أن يحفظ هذا القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أي تغيير، أو يناله أي تبديل، فقال سبحانه: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (الحجر: 9) وكان ما أخبر عنه القرآن الكريم، وصدق الله **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** (النساء: 87) .

4- ما أخبر به القرآن الكريم من نصر نبيه -صلى الله عليه وسلم-، ونصر المؤمنين، وتمكين دينهم لهم، واستخلافهم في الأرض، وتبديل خوفهم أمناً، فقال سبحانه:

**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** (النور: 55) .

وقال سبحانه: **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**

وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (الحجر: 51) وقال سبحانه: **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَعْدَائِي فَأُوْحِيْنَا لَهُ أَنذُرْنَاهُمْ بِآيَاتِنَا فَتَوَسَّلَ بِنَا وَتَوَسَّلْنَا بِهِمْ إِلَىٰ عِلْمِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** (البقرة: 127) .

الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (المالعات: 171-173) .

5- ما وعد الله نبيه- صلى الله عليه وسلم- من دخول مكة، ودخول المسجد الحرام،

فقال سبحانه: **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ** [التقص: 185]

وقال: **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**
إِٰمِنِينَ مُخْلِقِينَ رِءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ
مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا [التفتح: 27].

6- وعد الله المسلمين مغانم كثيرة من أعدائهم، فقال سبحانه: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ**

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ
وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ^ط **وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**
وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَيَكْفِ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ
وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ^ط **وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ**
اللَّهُ بِهَا ^ع **وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا** [التفتح: 18-20].

7- وعد الله للمسلمين أن يهزم عدوهم، فقال سبحانه في شأن اليهود لَن يَضْرُوكُمْ إِلَّا

أَذَىٰ ^ط **وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**
أَيْنَ مَا تُثَقَّفُوا إِلَّا بِحِجْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحِبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأُوبَىٰ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ^و [ال عمران: 111-112] وقال سبحانه: **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ**

رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ
رَبَّكَ لَسَرِيعٌ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [الأعراف: 167].

واننا لنؤمن بهذه الآية إيماناً قوياً، لا يتزحزح من قلوبنا قيد أملة، ولا نتزحزح
عنه قيد شعرة، من أن اليهود سبسامون سوء العذاب، مهما علا باطلهم، ومهما
تقادوا في غيهم ومهما بذلت أمريكا وغيرها لهم، فيستحق وعد الله وَعَدَ اللَّهُ
لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الروم: 16].

وقال سبحانه: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا
دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا [الإسراء: 17].

والمخاطبون هم اليهود، والذي نختاره ونراه في تفسير هذه الآية الكريمة أن الآخرة
في الآية وهي المرة الثانية لإفساد اليهود، ليست شيئاً غير واقعنا الذي نعيشه
الآن، فهي تحدث عن اليهود بعد أن كانت لهم دولة، ولم يحدثنا التاريخ عن دولة
 لليهود في عهد المسلمين إلا هذه، فلا بد أن تتقوض أركانهم، وتسوء وجوههم،
و ندخل المسجد الأقصى ويتبرون شر متبر، وقال تعالى: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ
جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلْنَا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا
[الإسراء: 104-107].

8- ما ذكره القرآن الكريم وهو يحدثنا عن اليهود، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما
ثقفوا وأينما وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس» والذي نفهمه من هذه الآية
الكريمة أن اليهود لا يستطيعون أن يقفوا على أقدامهم، وليس بوسعهم أن يحيوا حياة
العزة والمنعة، وإنهم محتاجون دائماً إلى حليف يحميهم، ونصير يشد على أيديهم.

ونحن نجد أن وعد الله تبارك وتعالى يتحقق، فما هم اليهود اليوم يعولون في مسيرتهم وبقاء دولتهم على كثير من قوى البغي، وفي مقدمتها أمريكا التي تقدم بكل المقومات المادية من سلاح ومال وغذاء، وبكل المقومات المعنوية كذلك، ولا يجهل أحد من الناس موقف أمريكا وغيرها في مجلس الأمن وهيئة الأمم، وهذا كله يندرج تحت قوله سبحانه: **وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ**.

ولعل سائلاً يسأل هذا (جبل الناس) عرفناه، فماذا عن جبل الله؟ ولجيب السائل عن هذا التساؤل بما بيدولنا من الآية الكريمة، وهو أن جبل الله تبارك وتعالى، يكون لهؤلاء اليهود حينما يتنكب المسلمون الصراط، ويعرضون عن حكم الله وهديه، فليس جبل الله لليهود دليلاً على حب الله لهم، بل هو عقوبة للمسلمين وتذكرة لهم ليرتدعوا عن إعراضهم، وليرجعوا إلى الله، ولتحيا كلمات الله في نفوسهم، وليسد شرعه حياتهم كلها. ذلكم هو جبل الله وجبل الناس، وهو بحق- ويعلم الله- إعجاز في هذه الآية الكريمة أظهر من الشمس في رابعة النهار.

ويتصل بهذا ما أخبر به عن يهود من تسلط الأمم النصرانية عليهم، وذلك في قوله سبحانه: **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ إِنَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكُ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِّنَ**

الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

آل عمران: 155 .

والمتدبر للآية الكريمة يجد أنه قد ذكر فيها (الذين كفروا) مرتين، الأولى {ومطهرك من الذين كفروا} والثانية {وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا}، والذين كفروا في المرة الأولى هم اليهود يقيناً، فهم الذين ناصبوه عليه الصلاة والسلام العدا، وقد نجاه الله منهم، وإذن {فالذين كفروا} في قوله تعالى {وفوق الذين كفروا} هم اليهود كذلك. فالآية الكريمة تبين لنا أن تسلط الأمم النصرانية على اليهود مستمر، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فما لاقاه اليهود من الأمم النصرانية على مدى التاريخ من الشدة والقسوة والإيذاء والتعذيب والاحتقار لا يجهله أحد، ولا ينكره اليهود أنفسهم.

وفي هذه الأيام التي يظهر أن لليهود فيها دولة، لا ينكر أحد هذه الفوقية، فاليهود لا زالوا في أمس الحاجة إلى هذه الأمم والحكومات لبقاء دولتهم، وإلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً عندما يهيء الله لهذه الأمة من يرفع فيها علم الجهاد.

لِدِكُوا دَوْلَةَ الْبَاطِلِ وَلِيَنْخَلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ (الإسراء: 17)، وَيَقُولُونَ
سَتَىٰ هُوَ قَوْلٌ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (الإسراء: 151).

9- وإذا كان هذا وعداً بهزيمة عدو المسلمين من اليهود، فلقد وعد الله المؤمنين كذلك
أن يهزم عدوهم من مشركي العرب، فقال سبحانه: وَلَوْ قَتَلْتَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا
الْأَدْبِرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (النح: 22).

10- وعيد الله سبحانه لأهل مكة ومن شابعهم في بدر ما سبلاقونه يوم بدر، فقال
سبحانه: سَيَهْزِمُ الْجَمْعَ وَيَوْلُونَ الدُّبِيرَ (الفر: 45) وهذه الآيات نزلت في مكة
ولذا روي عن عمر رضي الله عنه قوله « ما عرفت الجمع الذي تتحدث عنه الآية إلا يوم
بدر » .

وقال سبحانه: فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ يَوْمَ

لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (الطرد: 45-46)

والمقصود بهذا يوم بدر.

ومن عجيب أمر القرآن الكريم، أن هاتين الآيتين من سورة الطور جاءتا بعد
قوله سبحانه: فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ

شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا فَلْيَتَرَبَّصْ بِنِعْمَتِ رَبِّهِمْ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ أَمْ يَتَّبِعُونَ

أَحْلَامَهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . . .

الى آخر الآيات (الطرد: 29-46) فقد ذكرت (أم) في هذه الآيات خمسة عشرة مرة،

وكانت غزوة بدر في السنة الخامسة عشرة من البعثة النبوية، حيث مكث النبي صلى
الله عليه وسلم- في مكة ثلاثة عشرة سنة، وكانت بدر في السنة الثانية للهجرة، فهذه
خمسة عشرة سنة.

11- ما تحدى الله به اليهود من تمنى الموت إن كانوا أولياء الله، وإن كانت الدار الآخرة

خالصة لهم، فقال: قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ

النَّاسِ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُ أَيْدِيَهُمْ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (الجمعة: 6-7) وكان ما أخبر عنه القرآن الكريم .

12- ما أخبر الله به عن أهل مكة في سورة الدخان من أنه سيأخذهم بالسنين، ويذيقهم

لباس الجوع والخوف، وذلك قوله سبحانه: فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ

يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّى لَهُمْ

الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُو

الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ

(الدخان: 10-16) والبطشة الكبرى هي ما أصابهم يوم بدر، أما الدخان المبين

فبيينه ما جاء في صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود قال: "إنما كان هذا لأن

قريشاً لما استعصروا على النبي صلى الله عليه وسلم -دعا عليهم بسنين كسني

يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء

فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي

السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ قال" فاتى رسول الله-

صلى الله عليه وسلم- فقيل: يا رسول الله: استسقى الله لمضر، فإنها قد هلكت،

قال : لمضر؟ إنك لجرى، فاستسقى فسقوا، فنزلت إنكم عائدون فلما أصابتهم

الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية ، فأنزل الله عز وجل (يوم نبطش

البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال يعني يوم بدر (أخرجه البخاري في كتاب تفسير،

باب يغشى الناس هذا عذاب أليم، رقم الحديث (4544) (1823/4) .

13- ما أخبر الله به عن فارس والروم وذلك في قوله سبحانه: **الْمَ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ** ^ط الروم: 1-3. وقد

تحقق الخبر القرآني، وفي المدة التي أخبر عنها القرآن الكريم .

14- ما أخبر الله به نبيه-صلى الله عليه وسلم-، مما سيحدث لأهل مكة بعد إخراج النبي-صلى الله عليه وسلم منها، فقال: **وَأَن كَانُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ**

لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ^ط الإسراء: 176.

15- ما هدد الله به المنافقين، والذين في قلوبهم مرض من أنهم إن لم ينتهوا عما هم فيه، فإنهم سيلقون سوء صنيعهم، وذلك في قوله: **لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ**

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُفِرِّنَنَّ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ^ط الأحزاب: 160 .

16- ما أخبر الله به في هذا القرآن من كشوف في آفاق هذا الكون، وآفاق النفوس البشرية، قال سبحانه: **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ**

أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ^ط الممتك: 153 .

17- ما أخبر الله به عن مكنونات في هذا الكون، ذكرت إشارات إليها ونبهت عليها بعض آيات القرآن، وذلك في قوله سبحانه: **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** ^ط لمر: 88 .

18- ما فضح به المنافقين، مما كانوا يخفونه في أنفسهم، فأظهره الله سبحانه وتعالى وأطلع نبيه-صلى الله عليه وسلم-، وبينه للمؤمنين، قال تعالى: **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ**

تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزْءُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ

العروة: 64] وهذا كثير في كتاب الله تبارك وتعالى، وقال تعالى: **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا**
 العروة: 74] والمتدبر للآيات الكريمة يجد أن الله تبارك وتعالى كان يطلع نبيه عليه وآله الصلاة والسلام على ما يخفيه المنافقون واليهود والذين في قلوبهم مرض.

ونرجوا أن يكون ما ذكرناه فيه غنية.

هذه بعض أنباء الغيب في كتاب الله تبارك وتعالى، ولقد تحقق كل ما أنبأ عنه القرآن

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا [النساء: 82] **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** [الإسراء: 105].

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة اجب عما يلي :



اسئلة التقويم الذاتي (2)

- س1 أ - ما المقصود بالإعجاز التشريعي وكيف يمكن فهمه ؟
 ب- وازن بين التشريعات القرآنية والتشريعات الوضعية .
- س2 أ - بين الإعجاز في التشريع القرآني من خلال قضية الميراث، وذلك بالمقارنة بين تشريع القرآن والتشريع عند اليهود .
 ب- بين الإعجاز التشريعي في قضية الطلاق .
- س3 أ- هات أربعاً من الأمثلة على الإعجاز الغيبي المستقبلي .
 ب- هات مثالين للإعجاز الغيبي الماضي.

وبعد أخي الدارس، أختي الدارسة، فهذه هي آخر الوحدات في هذا المقرر، حدثناك فيها عن وجوه إعجاز القرآن الكريم وهي التشريعي، والعلمي، والغيبى، فقد عرفت أن العلماء اختلفوا في عد الإعجاز العلمي وجهاً من وجوه الإعجاز، فرأى بعضهم أن الإعجاز يقف عند الوجه البياني فقط وعلى رأس هؤلاء الشاطبي، ورأى آخرون وهم الكثر، أن القرآن الكريم ليس معجزة بيانية فحسب، ورجعنا لك بين هذه الآراء، وكنا مع من ارتأى أن القرآن معجزة علمية وأن لا مانع من تفسير الآيات تفسيراً علمياً، لكن ضمن بعض الشروط التي ذكرناها، وذكرنا لك بعض النماذج من التفسير العلمي .

وحدثناك عن الإعجاز التشريعي، ماذا يقصد به، وكيف يمكن فهمه، وقارنا لك بين التشريع القرآني والتشريع الوضعي لتطلع على مدى دقة القرآن الكريم وصدقه في أحكامه، وبين جوانب التشريعات القرآنية، وأثبتنا لك بعض الأمثلة التي قارنا فيها بين القرآن الكريم وبين غيره من القوانين الوضعية .

وأخيراً حدثناك عن الإعجاز الغيبى سواء كان ماضياً، أي ما يتعلق بالأمم الماضية من حيث أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، أم كان مستقبلاً، ومثلنا لك بالأمثلة الكثيرة حول هذا النوع .

وبهذا نكون قد أتمنا لك هذا المنهاج، نسأل الله تعالى أن تكون لك فيه الفائدة ونسأله تعالى أن يهديك وإيانا إلى الصراط المستقيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٤١ آيات العنقرضات

تدويب (1)

الذين يرون أن القرآن معجزة علمية، استدلوا بقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) وقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ويفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب .

وقد رد عليهم بأن الآيات المراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكاليف والتعب، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ .

وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب عهداً بها، فقد عرفت في زمنهم، ويمكن أن تكون من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى .

يرى أن الذين نظروا إلى القرآن على أنه كتاب علم، أفسد ذلك عليهم علاقتهم بالقرآن وفسروا الآيات تفسيرات لا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله، وصاروا يدورون مع كل نظرية علمية يطبقونها على آي القرآن. وهو يرى أن هذه النظرة خاطئة وذلك :-

- 1- لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.
- 2- وهي خاطئة لأنها تحمل أصحابها والمفرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم .
- 3- وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن لدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصح غداً من الخرافات، فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها ولذا وقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه .

تحذير (3)

يرى الأستاذ مصطفى صادق الرافعي أن القرآن معجزة علمية، وهو يرى أن القرآن حين نزل كان العرب يحملون الآيات على ظاهرها ويأخذون منها حكم زمانهم، ولم يدر العرب لم جعل الله في كتابه المعاني المختلفة والفنون المتعددة. ولكن الزمان كشف بعدهم عن هذه المعاني، وجاء بها دليلاً بيناً على أن القرآن كتاب الدهر كله، وقد أخرج العلماء من كل معنى علماً برأسه، ثم عمل الزمن عمله فأخرجت الأمة من كل علم فروعاً، ومن كل فرع فنوناً .

تحذير (4)

الأول: لا ينبغي في فهم الآيات أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ، وتحمل على مجازه.

الثاني: أن لا نفسر كونيات القرآن إلا باليقيني الثابت من العلم لا بالفروض ولا بالنظريات التي لا تزال موضع فحص وتحصيل .

تدوين (5)

- 1- موافقة اللغة موافقة تامة بحيث يطابق المفسر المعنى اللغوي .
- 2- عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما له حكم المرفوع .
- 3- موافقة سياق الآيات بحيث لا يكون التفسير ناقراً عن السياق .
- 4- التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات .
- 5- أن لا يكون التفسير حسب نظريات وهمية متداعية، بل لا بد أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة .

تدوين (6)

- لا بد لمن يريد التحدث عن الإعجاز التشريعي أن:-
- 1- يقف مع تشريعات القرآن الكريم في شتى مناحي الحياة .
 - 2- يلم بالسنة المطهرة لأنها جاءت مفصلة ومبينة وشارحة لآيات القرآن .
 - 3- يدرس ما وصل إليه العقل البشري من قوانين وأنظمة في مناحي الحياة المختلفة .

تدوين (7)

- 1- القانون الوضعي تنظيم بشري من صنع الناس يخضع للأهواء والنزعات فهي لذلك عرضة للتغيير والتبديل وليس لها مقياس ثابت محكم .
والشريعة وحي إلهي منزه من ذلك، فهي تنزيل الحكيم العليم، لذلك فالشريعة ثابتة المقاييس لا يعترضها خلل أو قصور.
- 2- القانون الوضعي نظام محدود القواعد يلبي حاجة الجماعة لتنظيم حياتها الحاضرة، ويتطور بتطورها وقواعده مؤقتة لجماعة خاصة في عصر معين، فهي في حاجة إلى التغيير كلما تطورت الجماعة .
وقواعد الشريعة الإسلامية لم تأت لقوم دون قوم، أو لعصر دون عصر، ولكنها قواعد كلية ثابتة مستقرة تسد حاجة الجماعة وترفع مستواها في كل عصر.
- 3- القانون الوضعي لا يتناول سوى المعاملات المدنية في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم عليها سلطة الدولة، والشريعة الإسلامية تتناول الإيمان بالله ورسوله وعالم الغيب وصلة العبد بربه، وسلوكه الأخلاقي وأنظمة الحياة المختلفة في شتى مرافقها .
- 4- القوانين الوضعية تهمل المسائل الأخلاقية وتقتصر المخالفة على ما فيه ضرر مباشر للأفراد أو إخلال بالأمن والنظام العام، فلا تعاقب مثلاً على الزنى إلا إذا أكره أحد الطرفين.

والشريعة الإسلامية شريعة اخلاقية، والاخلاق في الإسلام التزامات من واجبات الدين.

5- تفقد القوانين الرضعية سلطتها على النفس البشرية، اما الشريعة الإسلامية فتنبثق من فكرة الحلال والحرام والإيمان بالدار الآخرة وترهب الضمير الإنساني ليكون رقيباً على المسلم في السر والعلن، يخشى عقاب الله الآخروي أكثر من خشيته للعقاب الدنيوي.

تدريب (8)

أسباب الميراث في الاسلام:

1- القرابة أو النسب

2- النكاح

3- الولاء

فالإسلام يورث الرجل ويورث المرأة، يورث الأولاد ذكوراً وإناثاً، يورث الأصول الأب والأم، يورث الصغير والكبير، كل ما في الأمر أنه راعى قواعد تحقق فيها العدالة.

أما عند الرومان فأسباب الميراث:

1- القرابة

2- ولاء العتاقة

ولم يجعلوا النكاح سبباً من أسباب الميراث، لأنه لا توارث بين الزوجين عندهم، إذ أن نظام الميراث يقوم على مبدئين:

أ- استبقاء الثروة في العائلات وحفظها من التفتت.

ب- المحافظة على كيان هذه العائلات وعلى سلطة أرباب الاسر.

ولذلك ورثوا أولاد الظهور - وهم الذكور - دون أولاد البطون - وهم الاناث - كما منغوا التوارث بين الأم وأولادها، فالأم لا ترث من أولادها، لأنها لو ورثت لآل المال إلى أسرتها هي، وكذلك الأولاد لا يرثون أمهم، فإذا كان للأم مال ورثته من أبيها فانه يؤول بعد موتها إلى إخوانها وأخوتها.

والتوريث عند الرومان لا يقتصر على ما ثبت بالنسب، بل يشمل أولاد الزنا، أو كان

نتيجته التبنّي.

التعزير: تأديب على معاص لم تشرع فيها عقوبة مقدرة كالحُدود والقصاص، وإنما يترك امر تقدير عقوبته الى الحاكم المسلم او من يقوم مقامه من القضاة.

التفسير العلمي: الاستعانة في توضيح آيات القرآن بما وصل إليه العلم من حقائق علمية.

الجرمة: هي الفعل القبيح، والقبيح هو ما قبحه الشرع، فهي فعل أو ترك ما نصت الشريعة الاسلامية على تحريمه والعقاب عليه.

الحدود: عقوبة مقدرة من قبل الشرع وجبت حقاً لله تعالى من أجل الصالح العام.

الحقيقة العلمية: هي التي لا تحتل الخطأ أو الصواب، ولكنها أمر يقيني ثابت .

الطلاق الهدعي: هو الطلاق المخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وذلك بأن يطلق الزوج زوجته طلقة واحدة رجعية في حيض أو في طهر وقعت فيه معاشرة زوجية.

الطلاق السني: هو الطلاق الذي يقع موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يأثم الرجل بإيقاعه، وذلك بأن يطلق الزوج زوجته طلقة واحدة رجعية في طهر لم يقع فيه ولا في الحيض الذي قبله معاشرة زوجية.

العقوبة: الجزاء الذي توقعه الدولة على عصيان أمر الشرع.

القصاص: عقوبة مشروعة تقوم على معاقبة الجاني بمثل ما فعل حقاً لله ولعباده سواء أدت الجناية إلى الموت أو إلى الجرح وقطع الأعضاء.

الميراث: قواعد من الفقه والحساب يعرف بها توزيع التركة والحقوق المتعلقة بها وشروط الارث وأسبابه وموانعه ومن يستحق الميراث ومن لا يستحقه ونصيب كل وارث من التركة.

النظرية العلمية: هي التي احتملت الخطأ والصواب، فهي تفيد الظن وليس اليقين .



- 1- البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية سنة 1410هـ - سنة 1981م .
- 2- البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ذيب البغا، دار القلم، الطبعة الأولى سنة 1401هـ - 1981م .
- 3- الجميلي، السيد الجميلي، الإعجاز الطبي في القرآن، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية- 1403هـ 1982م .
- 4- دراز، د. محمد عبدالله، مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن)، دار القلم (1400هـ - 1980م) .
- 5- دراز، د. محمد عبدالله، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، دار القلم، الطبعة الثانية 1394هـ - 1974م .
- 6- ذياب، د. عبد الحميد وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن دمشق، الطبعة الثانية 1402هـ - 1982م .
- 7- الرافعي، الأستاذ مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة التاسعة 1393هـ - 1982م .
- 8- رضا، الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الثانية .
- 9- أبو زهرة، الشيخ محمد، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي للطباعة والنشر- 1390هـ - 1970م .
- 10- الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الشرق الأولى .
- 11- شلتوت، الأستاذ محمود، تفسير القرآن الكريم، دار القلم .
- 12- العابري، رشيد رشدي، بصائر جغرافية، بغداد، سنة 1370هـ - 1951م .
- 13- عباس، د. فضل حسن، إعجاز القرآن، عمان .
- 14- عباس، د. فضل عباس، لطائف المنان في دعوى الزيادة والتكرار في القرآن، دار النور، سنة 1409هـ - 1989م .

- 15- عباس، د. فضل حسن، القصص القرآني إبحاره ونفحاته، دار الفرقان، الطبعة الأولى سنة 1407 هـ 1987 م.
- 16- عبده، الإمام محمد، تفسير جزء عمّ .
- 17- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، شركة ومطبعة عيسى البابي الحلبي 1358 هـ - 1939 م.
- 18- الغمراوي، الأستاذ محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، إعداد الأستاذ أحمد عبد السلام الكرداني، دار الكتب الحديثة .
- 19- الغوايبي، د. حامد، بين الطب والإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، القاهرة سنة 1967 م.
- 20- الفخر الرازي، التفسير الكهبر، الطبعة الأولى، ملتزم الطبع، عبد الرحمن محمد، مصر، ميدان الأزهر.
- 21- قطب، سيد، في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، 1286 هـ .
- 22- موسى، د. محمد يوسف، التركة والميراث في الإسلام، دارالمعرفة، الطبعة الثانية، 1967 م.
- 23- ابن بني، مالك: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم الأستاذ محمود شاکر، مكتبة دار العروبة، مطبعة الجهاد ، الطبعة الثانية سنة 1961 م .
- 24- نوفل، عبد الرزاق، الله والعلم الحديث .
- 25- مجلة الوعي الإسلامي العدد 10 السنة الثانية .
- 26- مجلة المسلمون، شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، العدد الأول السنة الأولى .